وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القـــــــادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين قسم الكتاب والسنة

تخصص التفسير وعلوم القرآن

مسلك فاضل السامرائي في التفسير البياني من خلال كتابه "على طريق التفسير البياني"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الاتجاهات المعاصرة في التفسير وعلوم القرآن

إشراف الأستاذ الدكتور: رمضان يخلف

إعداد الطالبة: فريحة غربي

أمام اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة	الجامعة الأصلية
عبد الرحمن معشي	رئيسا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
د.رمضان يخلف	مشرفا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
د.ذهبية بورويس	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر
محمد لمين بوروبة	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/ 2014-2015م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

{ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين}.

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الله عز وجل على تسهيل أمور هذه الرسالة العلمية وتيسيرها بعونه تعالى.

وأتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى المشرف الدكتور: "رمضان يخلف" الذي كان خير معين وموجه طيلة فترة إعداد هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كافة أساتذة العلوم الإسلامية, وأخص بالذكر أساتذة كلية أصول الدين.

كما أتقدم كذلك بالشكر الجزيل إلى عمال مكتبة أحمد عروة على ما بذلوه من جهد في خدمة طلبة العلم..فجزاهم الله خيرا..

و إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إتمام هذا البحث أسأل الله له الخير الوفير وأشكره الشكر الجزيل على تقديم يد المساعدة .

فريحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــداء

إلى روح أبي...أهدي ثمرة جهد زرع بذوره بيديه الطاهرتين.

إلى روح تُسندني على وجعها لأرقى...أمي.. حفظ الله بقاءها .

إلى أخي محمد خاصة ..لسمو شخصك أهديك ثمرة جهدي.

وإلى إخوتي الأعزاء: عبد الرحمن, أحمد, لطفي.

إلى أخواتي العزيزات: فاطمة , فايزة, خيرية, صفية, سماء, وأخص بالذكر منهن: علية .

إلى بهج الحياة: محمد أصيل, شهد, أنس, لينا, تسنيم.

إلى ابني الروحي: يحي .

إلى كل من رافقني في هذه المسيرة العلمية المتواضعة...

فريحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقـــدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على نبيه فرقاناً، وتحدّى به الثقلين وأعجزهم ببيانه، فقال عزّ من قائـــل:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾{الإسراء: ٨٨}، فأذعن لبلاغته العاقلون، وأعرض عنه المشركون جحوداً وكفرانـاً، نحمـده أن كفـى المـؤمنين حفـظ كتابـه، فـلا نقـص يعتريـه، ولا زيـادة تـدخل فيـه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾{الحجر: ٩} ، وصلى الله وسلم على البشير النذير، الذي جاء بالحق الساطع المنير، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حظي القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية الأخرى منذ نزوله على اهتمام أتباعه وحرصهم على فهمه وتدبره, فكان الصحابة رضوان الله عليهم يلتمسون فهم ما أُشكل عليهم من كتاب الله عز وجل , فإن لم يجدوا فمما تيسر عليهم أخذَه من رسول (ﷺ), فإنْ تعذّر ذلك رجعوا إلى اجتهادهم وأعملوا رأيهم. ومن ثمّ شهد تاريخ التفسير منذ بدايته اتجاهين مختلفين: التفسير النقلي والتفسير العقلي, اللذان توافقا في المنهج وسارا على النمطية نفسها. وقد امتد هذان الاتجاهان إلى عصور متقدمة إلى أن جاء العصر الحديث بدعواتٍ تجديدية أسفرت عن اتجاهات فرعية متعددة, اقتضت مناهج تفي بالأهداف والأغراض التي تطمح إليها هذه الاتجاهات, دون قطع الصلة بالاتجاهات والمناهج القديمة.

ومن هذه الاتجاهات التي كانت نتيجة لروافد هذا العصر ومناهجه الفكرية الاتجاه الأدبي في التفسير الذي يقضي بتفسير القرآن الكريم تفسيرا أدبيا كونه كتاب العربية الأكبر , وفرض هذا الاتجاه ضوابطه وقيوده التي عجز عن تحقيقها بعض أتباعه, فكان نتيجة ذلك أن بات لكل مفسر مسلكه في التفسير البياني, وطريقته التي تميّز بها, ومن هؤلاء المفسرين فاضل صالح السامرائي صاحب المنهج الخاص في علم اللغة والبيان القرآني, وقد وقع اختياري على تفسيره ليكون موضوعا لبحثي, واخترت أن يكون عنوانه: مسلك فاضل السامرائي في التفسير البياني من خلال كتابه على طريق التفسير البياني.

أهمية الموضوع:

لا شكّ أن البحث يشرف بموضوعه وغايته، وأهمية هذا الموضوع تكمن في شقين، أولاً من حيث الموضوع، وثانياً من حيث الشخصية.

أولا: من حيث الموضوع: وهو التفسير البياني باعتباره اتجاها من الاتجاهات المعاصرة، تنصب فيه العناية باللفظة القرآنية من حيث الإفراد والتركيب، والذي احتل مكانة كبيرة بين الاتجاهات الحديثة وقد اعتبر عفت الشرقاوي الاتجاه الأدبي في التفسير" أوسع آفاقا، وأعمق تأملا، وأكثر صلة بالفكر الحديث، وأغزر إضافة إلى التراث التفسيري"، حيث ترك من خلال روّاده بصمات بيّنة في عالم التفسير ككل. تستحق الدراسة والمتابعة لأطوار تطورها.

ثانيا: من حيث الشخصية: يعد فاضل السامرائي من علماء اللغة في العصر الحديث، كما يعد من المفسرين البيانيين البارزين في الساحة التفسيرية, الذي استطاع أن يقدم خطا تفسيريا بيانيا مميزا من خلال ما قدمه من دراسات بيانية نظرية وتطبيقية, مما يجعلني أطرح جملة من التساؤلات، والتي سأدرجها تحت إشكالية الموضوع.

إشكالية الموضوع:

مما سبق ذكره وانطلاقا من خصوصية السامرائي في التفسير البياني فإن السؤال الذي يطرح نفسه بقوة هو:

- ماذا أضاف فاضل السامرائي من خلال دراساته البيانية عامة, وتفسير بصفة خاصة للاتجاه البياني في التفسير؟ وتندرج تحت هذا السؤال أسئلة فرعية منها:
- ماهي الدراسات البيانية التي قدمها السامرائي ؟.
- ماهي القواعد التي اعتمد عليها في تفسيره " على طريق التفسير البياني"؟.
- وماهو مسلكه فيه؟.
- وما هي أهم المآخذ عليه؟. إلى آخره من الإشكالات التي سأحاول جاهدة -بعون الله- الإجابة عنها.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

لقد تشعبت الأفهام حول النص القرآني كل حسب رواسبه المعرفية، وخلفياته الثقافية, والناظر إلى الحركة التفسيرية في العصر الحديث يتبيّن له أن الكثير من القراءات المعاصرة للقرآن الكريم تسلب عنه قداسته وثوابته, وما كان معلوماً من الدين بالضرورة أصبح في ظلّ هذه القراءات محل شك وموضع تشكيك, ولذا يرجع اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية:

- أهمية الموضوع وقد أشرت إليها آنفا.
- إن المدرسة البيانية التي ترمي إلى استجلاء خصائص الأساليب القرآنية استجلاء يؤدي إلى تذوق القرآن الكريم, ومن ثمّة الوقوف على أسرار تعبيره ومواطن إعجازه كانت الدافع لاختيار كتاب "على طريق التفسير البياني " لفاضل السامرائي ليكون موضوع دراستي.
- ما قدمه فاضل السامرائي من دراسات بيانية تخدم الحقل التفسيري, والتي تعد الجانب النظري فيه, عزز اختياري لهذه الشخصية
- أن كتاب "على طريق التفسير البياني" كان مؤلفه بعيدا عن شطط التأويلات الحديثة, كما نأى به عن الخلافات العقدية والتفسيرية وحتى اللغوية, مما يزيد من أهمية تفسيره.

- **أهداف الموضوع:**

لكل بحث غاية ومقصد، ومن أهم أهداف هذا البحث ما يأتي:

- الاشتغال بكتاب الله, إذ هو خير ما أفنيت فيه الأعمار.
- بيان أهمية هذا الكتاب "على طريق التفسير البياني" في التفسير البياني.
- الوقوف على ما آلت إليه المدرسة البيانية ومنهجها المرسوم.
- الإبراز جهود شخصية معاصرة قد تخفى عن الكثيرين من طلبة العلم.
- الرغبة مني في المساهمة في هذه المسيرة البيانية.
- هدف ذاتي وهو الاستفادة مما كتابه الأستاذ الدكتور في هذا الكتاب.

-منهج البحث: أمّا المنهجية العلمية التي اتبعتها واقتضاها البحث فهي:

– **المنهج الوصفي**: والذي يقتضي في تطبيقه التحليل لموضوعات الدراسة, حيث قمت باستعراض أهم الجوانب التفسيرية وعرضها للوقوف على الجديد في منهج المفسر.

– ومنهجي في هذا البحث على النحو الآتي:

- **مع الآيات القرآنية**: قمت بتخريجها من مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم, ثمّ عزوها إلى سورها وترقيمها.

- **بالنسبة للأعلام**:قدمت لمن له صلة مباشرة بالدراسة بترجمة موجزة, ترجمات اقتضاها المتن, وأخرى ضمنتها الهامش حسب الضرورة.

- **الفهارس**: ألحقت البحث بفهارس تشمل الآيات مرتبة حسب ورودها في المصحف, والأعلام مرتبة ترتيبا هجائيا, وكذا قائمة المصادر والمراجع, وأتممتها بفهرس للموضوعات.

- **المصادر والمراجع**: اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع في التفسير والبلاغة والإعجاز..للتأصيل والتوثيق تارة, ولمقابلة الآراء بعضها ببعض تارة أخرى. هذا مع التركيز على مؤلفات الدكتور السامرائي, أذكر على سبيل المثال:

- **من كتب التفسير**: الكشاف للزمخشري, البحر المحيط لأبي حيان, والتفسير الكبير للرازي,..

- **من كتب علوم القرآن**: الإتقان للسيوطي, الزيادة والإحسان في علوم القرآن..

- **من كتب الإعجاز**: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني, إعجاز القرآن البياني لحنفي محمد شرف, الإعجاز البياني للقرآن لبنت الشاطئ..

- **من كتب اللغة**: لسان العرب لابن منظور, المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف لعبد الله العنزيك, الأدوات النحوية لمحمود أحمد الصغير....

– **عند التوثيق**: أشير أولاً إلى المؤلّف ثم المؤلف, ثم إلى معلومات الطباعة, ، وهكذا وفق المنهج العلمي لذلك.

– وأول الخطى التي اتبعتها بعد اختيار الموضوع, قراءة تفسير (على طريق التفسير البياني) ومحاولة استقصاء الجوانب البارزة في تفسيره, ثمّ دراستها والتمثيل لها.

– كما حاولت قدر المستطاع تجنب التكرار في عرض المسائل, إلاّ إذا كانت الإعادة تشمل عناصر جديدة, أو تكون هناك فائدة علمية مرجوة من هذا التكرار.

صعوبات البحث:

ومن الصعوبات التي واجهتني في بحثي تشعب الموضوع بين التفسير وعلم اللغة الذي اعترف بنقص الباع في قواعده وأصوله, منهجية بحثه.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة، هذا تفصيلها.

الخطة التفصيلية:

- **المقدمة:** و تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وإشكالية البحث، أسباب اختيار موضوع الدراسة والأهداف التي ترمي إليها, كما بينت المناهج المتبعة في البحث, ومنهجي في التحرير, وخطة البحث.
- **التمهيد:** ضمنته تعريفا موجزا لفاضل السامرائي, تناولت فيه اسمه ومولده, نشأته ومسيرته العلمية, وما أسهم به من مؤلفات لغوية وتفسيرية وغيرها. مع محاولة تتبع ما كتب عنه من رسائل وبحوث..
- **الفصل الأول:** وهو المعنون ب: التفسير البياني وعلاقته بالإعجاز البياني وتطور منهجيته في العصر الحديث. وجعلته في مبحثين: الأول منها عرفت فيه التفسير البياني, وحاولت الوقوف على الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني.

أمّا المبحث الثاني: فعرضت فيه لتطور المدرسة البيانية في العصر الحديث من دعوة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده,كما تحدثت عن والمنهج عند أمين الخولي, وأشهر محاولات

التطبيقية لمنهجه إلى مرحلة ما بعد التطبيق, مستهلة ذلك بلمحة عن المدرسة الأدبية وأصولها التاريخية.

- **الفصل الثاني**: وجاء تحت عنوان: الدراسات البيانية عند السامرائي والتعريف بتفسيره ومنهجه فيه.

ضمنته مباحث ثلاث: يندرج تحت كل مبحث ثلاث مطالب, خصصت المبحث الأول منها للدراسات البيانية عند السامرائي, والتي تتمثل في كتابه التعبير القرآني, لمسات بيانية من نصوص التنزيل, وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

وخصصت المبحث الثاني للتعريف بتفسيره وأهم المصادر التي اعتمدها من جميع العلوم.

أمّا المبحث الثالث فتكلمت فيه عن منهجه وما قام عليه من أسس والقواعد التي اعتمد عليها, وأختم هذا الفصل بمدى اتصال منهج السامرائي بمنهج التفسير البياني.

- **الفصل الثالث**: وهو الموسوم ب: مسلك فاضل السامرائي في التفسير البياني وأهم المآخذ عليه.
- وضمنت هذا الفصل ثلاث مباحث عرضت في الأول منها مسلكه العام وعرضت فيه عدة عناصر منها مسلكه في التعامل مع مصادر التفسير بالمأثور, ومسلكه في علم المناسبة والقصة القرآنية, ومسلكه في عرض مسائل البيان و المباحث اللغوية.
- أما المبحث الثاني فتقصيت فيه مسلكه في تفسير المفردة القرآنية وجوانبها الفنية.
- أمّا المبحث الأخير فعرضت فيه لأهم المآخذ على تفسيره وما انتقد عليه.

مدعمة كل مبحث من هذه المباحث وكل مطلب بنماذج من تفسيره تأكد وتعضد ما توصلت إليه بعد استقرائي لهذا الكتاب.

- **خاتمة البحث**: وتضمنت أهم النتائج والاستنتاجات بالإضافة إلى ما رأيته مناسبا من اقتراحات وتوصيات.

أتبعت ذلك بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أثناء بحثي, إضافة لفهرس الآيات والأعلام والموضوعات.

وأخيراً أسأل الله العظيم الذي من اعتصم بحبل رجائه وفقه وهداه، ومن لجأ إليه حفظه ووقاه، ومن تواضع له رفعه وحماه التوفيق والسداد وصلى اللهمّ وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

تمهيـــد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بفاضل صالح السامرائي[1]:

أولا: اسمه ونسبه:

فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة "البدري" إحدى عشائر سامراء ويكنى ب(أبي محمد) ومحمد ولده الكبير.

ثانيا: مولده ونشأته:

ولد في سامراء عام 1933 ميلادية, في عائلة متوسطة الحالة الاقتصادية, كبيرة في الحالة الاجتماعية والدينية, أخذه والده منذ نعومة أظافره إلى مسجد "حسن باشا" أحد مساجد سامراء لتعليم القرآن الكريم, وكشف ذلك عن حدة ذكائه, حيث تعلم القرآن الكريم في مدة وجيزة.

ثالثا: مسيرته العلمية و العملية:

أكمل الدراسة الابتدائية (1946م) والمتوسطة (1950م) والثانوية في سامراء, ثمّ انتقل إلى بغداد في مدينة (الأعظمية) ليدخل دورة تربوية لإعداد المعلمين, وتخرج فيها عام (1953م), وكان متفوقا في المراحل الدراسية كافة. عيّن معلما في مدينة (بلد) وبعدها أكمل دراسته في دار المعلمين العالية بقسم اللغة العربية (كلية التربية) عام 1957م, وتخرج فيها عام 1960م/1961م. حاز درجة البكالوريوس بتقدير امتياز, ورجع إلى التدريس في الثانوي, وفي أول دورة فتحت للدراسات العليا في العراق دخل في قسم الماجستير (القسم اللغوي) وكان أوّل من حاز درجة الماجستير في كلية الآداب, وفي السنّة نفسها عيّن معيداً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة بغداد 1965م. نال شهادة الدكتوراه عام 1968م, ثمّ عاد إلى العراق, وعيّن في كلية الآداب–جامعة بغداد– بعد دمج كلية التربية بكلية الآداب, وعيّن عميداً لكلية الدراسات الإسلامية المسائية في السبعينات إلى حين إلغاء الكليات الأهلية في العراق. بعدها أُعير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية عام 1979م, ثمّ رجع إلى العراق, وأصبح خبيراً في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي عام 1983م, وعيّن عضواً عاملا في المجمع العلمي العراقي عام

[1] – انظر:موقع الإخوان المسلمين: http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title2014 و بهجت الحديثي: القصيدة الإسلامية وشعراؤها في العراق: نقلا عن: توفيق زيادي: جهود الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني, بحث قدّم في: المؤتمر القرآني الدولي السنوي(مقدس:2), جامعة مالايا بماليزيا, 22–23–2012م, ص: 3.

1986م, وأحيل إلى التقاعد عام 1988م, بعدما قضى ما يقارب أربعين عاما أستاذاً للنحو في جامعة بغداد. ثمّ رحل إلى الخليج ليعمل أستاذاً في جامعة (عمان) التي أمضى فيها سنّة, ثمّ انتقل إلى جامعة (الشارقة) أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني عام 1999م, إلى صيف 2004م حيث عاد الدكتور فاضل السامرائي إلى بلده الحبيب العراق, وعاد للتدريس في جامعته الحبيبة بغداد.

رابعا: شيوخه وتلاميذه:

تتلمذ السامرائي على يد الشيخ العباسي[2] إذ تعلم القرآن الكريم و الأستاذ الدكتور مصطفى جواد[3] والأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي[4], والأستاذ الدكتور عبد الرزاق محي الدين والأستاذ سليم النعيمي....وغيرهم. وتتلمذ على يده تلامذة كثيرون وبخاصة من نالوا شهادات عليا (ماجستير-دكتوراه), حيث أشرف على الكثير من الرسائل مناقشاً أو مشرفاً أو موجهاً, ملئت بها قسم اللغة العربية.

خامسا: أخلاقه ومكانته العلمية:

عرف عالما نحوياً, ملماً بعلوم النحو واللغة والتعبير القرآني, أديباً متواضعاً ذا حكمة وبصيرة, صاحب عقيدة صافية, يؤمن بحركية الإسلام وصلاحه لكل زمان ومكان, دينا ودولة, يقول عليه صديقه بهجت الحديثي: تراه فتحترمه على البعد, وتزداد احتراماً له كلما دنوت منه, واطلعت على عقليته وإيمانه وروحيته وثقافته, مرهف الإحساس, خفيف الظّل, لا يذكر أحداً إلا بخير...جالس منذ أن كان يافعاً عدداً من العلماء وأهل الذكر في سامراء.كان ينظم الشعر في شبابه وتركه عام 1965م, وذلك لانشغاله بما هو

---

[2] – لم أجد له ترجمة.

[3] – مصطفى جواد الخياط التركماني أستاذ اللغة العربية في العراق وأحد أهم اللغويين العرب في القرن العشرين, تولد سنة 1904م, أكمل الماجستير والدكتوراه من جامعة السربون, شغل عدة مناصب, وله الكثير من الأبحاث والكتب أشهرها "قل ولا تقل" توفي سنة 1969م (انظرموقع: http://islamicbooks.info/H-28-Arabic-Variable/Mustafa%20Jawaad.htm).

[4] – محمد تقي الدين الهلالي بن عبد القادر الهلالي, ولد سنة 1311هـ بالمغرب . عرف برحلاته لطلب العلم حصل على الدكتوراه في فلسفة العلوم 1941م بألمانيا , شغل عدة مناصب في بلاد مختلفة حيث عين مراقبا للمدرسين بالمسجد النبوي, وفي الهند عيّن رئيسا لأساتذة الأدب, وأستاذا بجامعة بغداد, ثمّ أستاذا بجامعة محمد الخامس 1959م, له مؤلفات كثيرة منها: الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري توفي 25 شوال 1407هـ. (انظر: http://www.ahlalhdeeth.com.2009)

أهم, وعاد إليه عام 1999م. لم يكن مقلداً في أبحاثه, بل كان أصيلاً في نهجه معتمداً عقله وعلميته في فهم النصوص لا سيما القرآنية منها, مما يدل على اعتداءه بنفسه وثقته برأيه.

سادسا: مؤلفاته[5] وما كتب عنه:

أمّا مؤلفاته فكان يميّزها الابتكار واتساع الأفق, وعذوبة الأسلوب وسهولته, وقدرة كبيرة على استنباط معانٍ جديدة ذات أصول علمية وقواعد لغوية. وقد خلّف كتباً وبحوثاً ومقالات في علوم العقيدة واللغة والتعبير القرآني:

أولا: المؤلفات التفسيرية:

- كتاب التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم.
- من أسرار البيان القرآني.
- دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل.
- أسئلة بيانية في القرآن الكريم.
- التعبير القرآني.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل.
- كتاب: على طريق التفسير البياني (3 أجزاء). والذي يمثّل حلقة البحث في هذا الموضوع

2/ كتب الدراسات اللغوية:

-كتاب معاني الأبنية في العربية.
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها.
- تحقيقات نحوية.
- الجملة العربية والمعنى.
- معاني النحو (4 أجزاء).
- ابن جني النحوي.

[5] – كل مؤلفاته المذكورة مطبوعة ومنشورة.

- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري
- أبو البركات الأنباري ودراساته النحوية

3/ **كتب أخرى:**

- كتاب نداء الروح.
- ونبوة محمد بين الشكّ واليقين. وهو أوّل كتاب قبل دخوله للكلية.

ثانيا: ما كتب عنه:

1- رسائل وبحوث:

- رسالة ماجستير غير منشورة بعنوان "آراء فاضل السامرائي في كتابه (معاني النحو) مقدمة من قبل الطالب: مظفر عبد رومي الظاهري إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية, جامعة بغداد, كجزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربي –النحو- إشراف: الدكتور: هشام إبراهيم الحدّاد, 2005م.

- رسالة دكتوراه عن جهود الدكتور فاضل السامرائي النحوية, قدّمها: طلال وسام أحمد, في كلية التربية المختلطة –جامعة تكريت.غير مطبوعة ولا منشورة أيضا.

- بحث بعنوان "جهود الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني" قدمه: الدكتور توفيق عليلي زبادي محاضر بمعهد الإمام الشاطبي و المركز العلمي الأول-جدة- السعودية- . في فعاليات المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس:2),جامعة مالايا بماليزيا, 2012م.

2- ندوات: ندوة سامراء[6]:

وقد أقيمت ندوة في سامراء عرضت عن الأستاذ فاضل السامرائي أبحاث منها:

- الجانب التجديدي في النحو العربي عند الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.د. نعمة رحيم العزاوي
- ما نسب إلى الكوفيين من جواز تقديم الفاعل على فعله ورأي الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي بذلك أ.د. طه محسن.

[6] - أقيمت هذه الندوة في سمراء في: 20 /2010/4, ولم أتمكن من الحصول على مواضيع هذه الندوة. (انظر: موقع أهل التفسير على الرابط: http://vb.tafsir.net/tafsir19285/#.Vy8BTNIrLDc) .

– رسالة حب إلى الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.د. علي السامرائي
– رؤية الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي للزمخشري نحويا أ.د. محمد ذنون
– عالم النحو الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.د. زهير غازي زاهد
– الشواهد الجاهلية في كتاب معاني النحو للأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.م.د. أحمد العيثاوي
– إهراما النحو العربي في العراق الحديث السامرائي والنجفي الأستاذ هلال ناجي
– الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي والنحو القرآني أ.د. عهود عبد الواحد
– ذكريات من مسودة كتاب التعبير القرآني أ.م.د. جمعة حسين محمد
– أثر السياق في المتقابلات القرآنية عند الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.م.د. سناء طاهر
– الإيقاع القرآني بين تأصيل الأقدمين وجهود الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.م.د. محمد جواد البدراني
– أسلوب التفريق بين التراكيب اللغوية في مؤلفات الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي د. خير الله فتاح عيسى
– مع الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي عالما ومربيا أ.م.د. شهاب أحمد إبراهيم
– صور من البحث البلاغي في كتاب معاني النحو للأستاذ الدكتور فاضل السامرائي د. حازم ذنون إسماعيل
– منهج الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي في إستقراء دلالة التشابه والاختلاف في سرد النص القرآني د.نفلة حسن أحمد
– مواقف وذكريات مع الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي الأستاذ بدر حميد العلي
– كان النحو مجنونا فعقله الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.م.د. احمد هاشم السامرائي
– وقفات مع الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي د.صباح علاوي السامرائي
– لمحات من سيرة الأستاذ الدكتور السامرائي أ.م.د. كمال عبد الفتاح
– منهج الأستاذ الدكتور السامرائي في كتاب التعبير القرآني السيدة مها الدوري
– اللمسات البيانية أصل وتطور عند الأستاذ الدكتور السامرائي د.حيدر صاحب– حوار مع الأستاذ –
– الدكتور فاضل السامرائي د.طلال وسام.

- منهج الأستاذ الدكتور السامرائي وآراؤه في كتاب على طريق التفسير البياني د.سعاد الدوري
- أستاذي الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي أ.م.د. أمل عبد الله سلمان.

3-تراجم:

ترجم له صديقه بهجت الحديثي صاحب كتاب : القصيدة الإسلامية وشعراؤها في العراق, و كامل سلمان الجبوري, في مؤلفه: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى 2002, وكانت ترجمة هذا الأخير نقلا عن أعلام العراق في القرن العشرين.

هذا ما أمكنني جمعه عن حياة الدكتور ومسيرته العلمية حفظه الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

التفسير البياني وعلاقته بالإعجاز البياني, وتطور منهجيته في العصر الحديث.

المبحث الأول: التعريف بالتفسير البيـــاني والفرق بينه وبين الإعجاز البيـــاني.

المبحث الثاني: تطور المنهج البيـــاني في العصر الحديث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شهد القرن الماضي نهضة تفسيرية عُنِيَ أصحابها بالدعوة إلى تجديد روح القرآن الكريم بما يوافق روح العصر, فكان من نتاج هذه النهضة المدرسة البيانية والتي تنادي بالنظر إلى القرآن ككتاب العربية الأكبر, وإن كان المتقدمون قد اعتنوا بلغة القرآن إلاّ أنّ عنايتهم انصبّت على إثبات بيانه المعجز من خلال التمثيل للمباحث البلاغية, ولذا جاءت أغلب كتبهم بلفظ (الإعجاز), ومن ثمّ اختلفت أهداف ونتائج المدرستين القديمة والحديثة, وأحاول في هذا الفصل تحديد مفهوم كل من (الإعجاز البياني- التفسير البياني), والفرق بينهما مع تتبع تطور منهج المدرسة البيانية الحديثة .

المبحث الأول: التعريف بالتفسير البياني والفرق بينه وبين الإعجاز البياني.

يتألف مصطلح " التفسير البياني" من جزأين ركبا تركيبا وصفياً, ولذلك لابد من تعريف الجزأين أولا ثمّ تعريف المصطلح المركب منهما.

-المطلب الأول: تعريف التفسير:

التفسير لغة: الفسرُ: البيان، فسر الشيء يفسِره بالكسرة, ويفسُرُه بالضمّ, فسراً وفسرَه:أبانه[1]. وفي مفردات الراغب: الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول, والتَّفْسِيرُ في المبالغة كالفسر[2]. وفي" التاج":الفسرُ: الإبانة وكشف المغطى.[3] وجاء في التعريفات" التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار.[4] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[الفرقان: ٣٣] قال

قال

ابن كثير أي: وأبين وأوضح وأفصحُ من مقالتهم[5].

وعموماً عند تتبع معنى هذه اللفظة نجد أنها تدور على " الكشف والبيان والظهور".

---

[1]- لسان العرب: ابن منظور, دار المعارف- القاهرة- ت: عبد الله الكبير- محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (د.ط),(د.ت), 5/ 3412.

[2]- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني, دار القلم، الدار الشامية, دمشق, بيروت, صفوان عدنان الداودي, ط:1, 1412هـ, ص: 636.

[3]- تاج العروس: مرتضى الزَّبيدي, دار الهداية, ت: مجموعة من المحققين, (د.ط), (د.ت), 13/ 323.

[4] - التعريفات: الجرجاني, دار الكتاب العربي-بيروت- ت: إبراهيم الأبياري, ط:1, 1403هـ/ 1983, ص: 63.

[5] - تفسير القرآن العظيم: ابن كثير, ت: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة, ط: 2, 1420هـ/1999م, 6/ 190.

أما اصطلاحاً: فقد تعددت تعريفات التفسير عند العلماء كلا وفق نظرته وما برز فيه من العلوم ولعدم الإطالة اكتفيت بتعريفين, الأوّل لشهرته, والثاني لاختيار الدكتور فاضل السامرائي له في كتابه "على طريق التفسير البياني".

عرّف الإمام الزركشي (ت794هـ) التفسير بقوله:" علمٌ يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وبيان معانيه, واستخراج أحكامه وحكمه[1].

وجاء تعريف الإمام الزرقاني (ت1367هـ) في"مناهله" على النحو التالي:" والتفسير في الاصطلاح: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[2].

والسبب حسب نظري في اختيار الدكتور فاضل السامرائي لهذا التعريف, ارتباط تعريف الإمام الزركشي بالتفسير البياني أكثر من سابقه, ذلك أن التفسير البياني الذي يخوض غماره يحتاج إلى قدر زائد على مجرد فهم مراد الله, وهو الوقوف على معانيه لفظا وتركيبا.

المطلب الثاني: ماهية البيان:

إن اقتران لفظ البيان بالتفسير كوصفٍ يدعو إلى تحديد ماهيته, ومن ثمّة الوقوف على المقصود من هذا المركب الوصفي– التفسير البياني– مما يقتضي تعريف هذا العلم لغة وعند البلاغيين والمراد منه عند أهل الصنعة.

تعريف البيان لغة: جاء في لسان العرب: البيان: ما بُيّنَ به الشيء من الدلالة وغيرها, وبان الشيء بياناً: اتضح, فهو بيّنٌ, وأبان الشيء فهو مبين, واستبان الشيءُ: ظهر, والبيان الفصاحة واللسن وكلامٌ بينٌ: فصيح, وفلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضحُ كلاماً[3]. وكذا في مقاييس اللغة: البيان " من بان الشيء وأبان، إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان، أي: أوضح كلاما منه[4].كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في عدة مواضع, وقد اختلف المفسرون في

---

[1]– البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي, دار التراث– القاهرة– ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, (د.ط), (د.ت), 1/ 13.

[2] – مناهل العرفان: محمد عبد العظيم الزرقاني, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, ط: 3, (د.ت), 3/2.

[3]– لسان العرب: مصدر سابق, 5/406– 407.

[4]– معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس, ت: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, 1399هـ/1979م. 1/ 328.

مدلولها, من ذلك قوله تعالى:﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:138] قيل: إنّ البيان في هذه الآية الكريمة يعني القرآن "[1].

أمّا قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[الرحمن1-4], فقد اختلف المفسرون في تحديد البيان في هذه الآيات الكريمات، فقيل: أسماء كلّ شيء، وقيل المراد به اللغات، وقيل البيان: الكتابة والقلم، وقال الشوكاني: والأولى حمل البيان على تعليم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.[2]

ويذهب الزمخشري إلى أنّ البيان هنا ما يميّز الإنسان عن سائر الحيوان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير[3], ومنه قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[القيامة:19], بيانه: إخراجه من حد الإجمال إلى حد البيان, يقال بان الشيء يبين بيانا وتبيانا: ظهر واتضح, والبيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة والفصاحة وغيرها[4].

ومن هذه المعاني التي سقناها نخلص أنّ البيان: الفصاحة واللسن, والبيان الظهور, والبيان: الوضوح.

اصطلاحا: لقد تطور لفظ البيان من حيث دلالته على غرار الكثير من الألفاظ العربية, مع تطور علم البلاغة وتقسيمها والاصطلاح على ما تشمله من علوم, فنلاحظ أنّ اللفظ في بداية استعماله لم يخرج عن المعنى اللغوي, ثمّ تعددت تعريفات البلاغيين له بين موسع في المعنى ومضيق فنجد الجاحظ (ت255هـ) في كتابه " البيان والتبيين" وهو أوّل من استعمل كلمة البيان ودوّنها من علماء البلاغة وأفرد له باباً , لم يخرج به عن مدلوله اللغوي حيث قال:" والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان", وعرّفه بقوله: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائناً ما كان

---

[1] – جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري ت: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط:1, 2000/1420م, 7/ 231.

[2] – فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني, دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت, ط:1, 1414هـ, 158/5.

[3] – الكشاف: جار الله الزمخشري, ت: عادل أحمد عبد الوجود– علي محمد معوّض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي, مكتبة العبيكان, ط:1, 1418هـ/1998, 6/ 5.

[4] – المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم: محمد التونجي: دار الكتب العلمية–بيروت–لبنان, ط:1, 1424هـ/ 2003م, ص:315.

ذلك البيان, ومن أي جنس كان ذلك الدليل لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام, وبأي شيءٍ بلغت الإفهام"[1].

وقد ذكر الجاحظ تعريفا ليحي بن جعفر(ت187هـ) حيث قال عندما سئل عن البيان:" أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلي عن مغزاك، وتخرجه عن الشركة، ولا تستعين عليه بالفكرة. والذي لا بد له منه، أن يكون سليما من التكلف، بعيدا من الصنعة، بريئا من التعقد، غنيا عن التأويل"[2].

ولم يخرج الرماني(ت388هـ)[3], وابن رشيق (463هـ) في تعريفهما للبيان عن الكشف والإظهار. فعرفه الأوّل بقوله: البيان: الإظهار لما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الإدراك[4]. وعرفه الثاني بقوله: " الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، وإنّما قيل ذلك لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان"[5]. إلى أن جاءَ عبد القاهر الجرجاني(ت473هـ)[6] فعدّ الفصاحة والبلاغة والبيان شيئا واحداً[7]. في فصل عقده لتحقيق القول القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة, فساوى بينهما. ومع وضع السكاكي (626هـ)[8]

[1] – البيان والتبيين: عمر بن بحر الجاحظ, ت: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي –القاهرة–ط:7, 1418هـ/ 1998م, 1/ 106.

[2]– المصدر نفسه: 106/1.

[3] - علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني: باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. له نحو مئة مصنف، منها الأكوان " و " النكت في إعجاز القرآن" وغيرهما . (انظر الزركلي: 317/4)

[4]– ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: ت: محمد خلف الله أحمد– محمد زغلول سلام, دار المعارف –مصر– ط:3, ص:106 .

[5]– العمدة في محاسن الشعر والأدب: ابن رشيق القيرواني ت: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط:5, 1401هـ/ 1981م, 254/1

[6]- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغمة. من أهل جرجان (بين طبرسات وخراسان)من كتبه " أسرار البلاغة " و " دلائل الإعجاز" و " إعجاز القرآن". (انظر: الزركلي: 49/4).

[7]– انظر: دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني, قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر, مكتبة الخانجي–القاهرة– ط:5, 2005م, ص: 43.

[8] - يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين: عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه " مفتاح العلوم " و " رسالة في علم المناظرة" .(انظر: الزركلي: 222/8)

لقواعد البلاغة العربية نسجل تغيّر حال البيان العربي حيث عرّفه بقوله:" وأمّا علم البيان فهو معرفة إيراد

إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[1]. وذهب إلى نحو تعريفه الإمام القزويني في " إيضاحه"[2].

ويذهب عبد الرحمن حبنكة الميداني إلى أن هذا التعريف الذي استقر عليه البلاغيون يفتقر إلى جوانب أخرى من علم البيان, فيقول في ذلك:" وقد رأيت أنّ هذا التعريف ناقص، لأنّ هذا العلم يهتمّ أيضاً بما في الطّرقِ التي يبحثُها من عناصر جمالية وإبداعيّة، ويهتَمّ بتربية الذوق الفنّيّ لإِدْراكِ نِسبِ الجمال والإِبْداع، والتمييز بين مستويات الصُّور ودرجاتها جمالاً وإبداعاً، وإدْراكِ الصُّوَرِ المبتذلة والصّوَرِ المرذولة المحرومة من الإِبداع أو من الجمال، فأضفتُ هذه العناصر إلى التعريف"[3].

واستخلص أحمد بدوي طنطاوي بعد عرضه لتعريفات البيان أنّ للبيان معنيان, معنى أدبي واسع ومعنى علمي ضيق حيث قال: ومما تقدم نفهم أنّ البيان يطلق على معنين:

1/ معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر, بأساليب لها حظّها من الدّقة والوضوح والجمال, وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة.

2/ معنى ضيق, وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة والمجاز أو الكناية[4].

ومن التعريفات السابقة نلاحظ كيف تحوّل" البيان"من مفهومه الواسع إلى معنى بلاغي ضيق يشمل التشبيه, المجاز, والاستعارة, الكناية والتعريض.التشبيه, المجاز, والاستعارة, الكناية والتعريض.

ثمّ اكتسب مفهوما أوسع بمشمول عناصر بحثه للجوانب الفنية والجمالية والذوقية.

المطلب الثالث: تعريف التفسير البياني:

---

[1]– مفتاح العلوم: محمد بن علي السكاكي, دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان– ط:2, 1407هـ/ 1987م, ص: 162.

[2]– الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني, دار إحياء العلوم–بيروت– ط:4, 1998, ص: 201.

[3] – البلاغة العربية: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني, دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, ط:1, 1416 هـ – 1996 م, 127/2.

[4]– البيان العربي: دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: بدوي طبانة: مكتبة الإنجلو المصرية, ط: 2, 1377هـ/ 1958م, ص: 212-213.

رغم أنّ التفسير البياني تمتد جذوره إلى عصور متقدمة, إلاّ أنّه لم يصطلح عليه بهذه التسمية إلاّ في القرن الماضي, وذلك لوجوده ضمن سلسلة كتب الإعجاز القرآني -بمختلف تسمياتها- والتي أساسها البلاغة القرآنية. ثمّ ضمّن كتب التفسير عموما والتي تشتمل على فنون كثيرة.

وبعد تبلور أصوله النظرية في العصر الحديث, وإفراده بالتصنيف بادر المصنفون في تعريفه لتمييزه عن غيره, كل حسب رؤيته رغم شمول بعضها عن بعض, وأوّلها تعريف محمد حسين الصغير حيث قال فيه:

" هو المنهج الذي تدور مباحثه حول بلاغة القرآن في صوره البيانية من تشبيه واستعارة وكناية وتمثيل ووصل, وما يتفرع من ذلك من استعمال حقيقي أو استخدام مجازي أو استدراك لفظي, أو استجلاء للصورة أو تقويم للبنية أو تحقيق في العلامة اللفظية والمعنوية أو كشف للدلالات الحالية والمقالية"[1].

-كما عرّفه فاضل السامرائي في تفسيره بقوله:" هو التفسير الذي يبيّن أسرار التركيب في التعبير القرآني فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير القرآني من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظ على آخر, وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير"[2].

- ووفقا للخطوط العريضة التي سار عليها هذا المنهج, جاء تعريف جعفر السبحاني:" أنّه- أي المنهج البياني- عبارة عن استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماساً لسرّه البياني."[3].

- ولعل ما ذكره عثمان أحمد عبد الرحيم أشمل من سابقه وقد جمع بين رؤيته ورؤية عدنان محمد زرزور فقال: هو الاتجاه الذي يتناول القرآن من وجوه إعجازه البياني من حيث البلاغة والفصاحة وحسن الأداء وجمال المنطق وسلامة التعبير من خلال[4] قيام الدارس على دراسة النص القرآني وتحليله على نحو ما يفعل في سائر النصوص الأدبية العالية من منظوم ومنثور.

---

[1]- المبادئ العامّة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد حسين الصغير: دار المؤرخ العربي-بيروت-لبنان- ط:1, 1420هـ/ 2000م, ص:110.

[2]- على طريق التفسير البياني: فاضل صالح السامرائي, كلية الآداب والعلوم-جامعة الشارقة- 1423هـ/ 2002م, 1/ 07

[3] - المناهج التفسيرية في علوم القرآن: جعفر السبحاني, مؤسسة الإمام الصادق, ص: 145.

[4] - مجلة الوعي الإسلامي: التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط, د/ عثمان أحمد عبد الرحيم, الإصدار: الحادي عشر-الكويت. ص:79

– وإن كان لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني كما رأيت– وليس في هذا ما يخرجنا من نطاق «التفسير» إلى نطاق «الأدب» من كل وجه، لأن التحليل الأدبي للقرآن لا يستغني عن بعض قواعد التفسير، حتى لا يخطئ الدارس في فهم المعنى المراد, ويضيع عليه من ثم فهم المفردات والتراكيب ونواحي البيان[1].

ملاحظات:

بالنظر فيما سبق من التعريفات نلاحظ:

–أن التفسير البياني لا يراد به المعنى الضيق للبيان (إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة), وبذلك هو أقرب إلى مفهوم المتقدمين حيث يشمل فنون البلاغة كلّها.

–كما نلاحظ أن تعريف السامرائي جاء مقتصرا على بعض الجوانب التي يتناولها التفسير البياني بالدراسة, ومع ذلك فهو وافق ما سار عليه في تفسيره, وهو التركيز على أسرار التعبير القرآني.

–ولا يخلو تعريف من التعريفات المذكورة من نقص, فمنها من تكلم عن بعض الآليات المتبعة في الطريقة التي يسير عليها المفسر البياني وفق المنهج المرسوم. ومنها ما اقتصر على جانب دون آخر من علم البيان أو المعاني.

المطلب الرابع: الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني:

أشرنا سابقا أن التفسير البياني احتوته كتب الإعجاز دون أن يكون الهدف الأساس لمصنفي هذه الكتب, والمطلع الآن على كتب التفسير البياني ومنها كتب فاضل السامرائي يلتمس حتماً مواطن الإعجاز في هذا التعبير الربّاني في هذا التفسير وغيره من خلال إبراز خصائص أساليبه وأسرار تراكيبه ودلالات ألفاظه....إلخ.

فما الفرق بين الإعجاز البياني والتفسير البياني؟ وما هي العلاقة بينهما ؟.وللوصول إلى هذا الغرض لابد من تعريف الإعجاز البياني ومعرفة المراد منه.؟

يكاد يكون الكلام في الإعجاز مرهقا أو هو كذلك, لكثرت الكلام فيه قديما وحديثا, وتعدد الآراء حوله واستفاضتها, وسأكتفي في هذا المبحث بتعريف الإعجاز لغة واصطلاحا قبل تعريف

[1] – مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه: عدنان محمد زرزور, دار القلم, دار الشاميه – دمشق , بيروت, ط: 2, 1419هـ/ 1998م, ص: 224.

مركب الإعجاز البياني والفرق بينه وبين التفسير البيان, بعد عرض لوجه الإعجاز الذي قام به التحدي.

- البياني القرآني موضع التحدي: تميّز القرآن الكريم بخاصيةٍ عن جميع الكتب السماوية التي سبقته, وتتمثل هذه الخاصية في التحدي الصريح للناس كافة, بل للثقلين على حد سواء بأن يأتوا بسورة من مثله, فسجل التاريخ عجزهم على ذلك, "رغم ما خصوا به من مآثر في البيان, وذوق في الكلام, وحاسة دقيقة بين كريمه وسقيمه, وجميله وهجينه, وهم قوم مطبوعون على اللغة الفصحى, منقطعون لإحيائها وترقيتها, وكانوا يتفاضلون بالتفوق في علو البيان, وفصاحة اللسان.."[1], وبذلك ثبت إعجاز القرآن, إعجازاً لا مرية فيه, ولا شبهة تعتريه, وما أثر عن بعضهم من شبه أو معارضات, فلا تعدو أن تكون صرير باب, أو طنين ذباب[2].

وإذا كان العرب قد أذعنوا للقرآن, وأقروا بإعجازه, وشهدوا على أنفسهم بالعجز عن مطاولته في أقصر سورة من سوره – إذا كان هذا هو الواقع في شأن الإعجاز القرآني- فإن الأمر يختلف اختلافا واضحا في مجال الكشف عن وجه الإعجاز, والتعرف على الجهة أو الجهات التي كان منها هذا الإعجاز![3].

ورغم هذا الاختلاف إلا أنّ الإعجاز البياني كان محل اتفاق الجميع تقول بنت الشاطئ:" ومع إجماع العلماء عليه- أي على الإعجاز-إلاّ أنّ مذاهبهم قد اختلفت بعد ذلك في بيانه, وتعددت أقوالهم في وجوهه, لكنّ إعجازه البلاغي لم يكن قط موضع خلاف وإنّما كان الجدل بين الفرق الإسلامية في اعتباره الوجه في الإعجاز, أو القول بوجوه أخرى معه[4]. كما أنّ القائلون بتعدد هذه الوجوه مجتمعون على أنْ الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه, وأهمّها وأعمّها, ذلك لأنّه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى, أما الوجوه الأخرى هي ليست كذلك فهي مفرقة فيه."[5],ويقول صاحب كتاب "المعجزة الكبرى": " والأساس في عجزهم هو ما فيه من بلاغة ورنة قول, ونغمة

[1] – من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن): عبد الفتاح لاشين, شركة مكتبات عكاظ, المملكة العربية السعودية, ط:1, 1403هـ/ 1983م, ص:.10

[2] – المرجع نفسه: ص: 7.

[3] – إعجاز القرآن: عبد الكريم الخطيب, دار الفكر العربي, ط:1, 1974, ص:150.

[4] – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة بنت عبد الرحمن: دار المعارف, القاهرة, ط:3, ص:79.

[5] – إعجاز القرآن الكريم: فضل عباس وسناء فضل عباس: (د.د),(د.ط),(د.ت), ص: 29.

بيان أدركوها بذوقهم البياني".[1] ومن هنا كانت هذه الناحية التي نبغ فيها العرب هي وحدها دون سواها من نواحي الإعجاز الأخرى- مناط التحدي الموجه إليهم دون غيرهم, وتبقى سائر وجوه الإعجاز الأخرى تتحدى كل من ينبغ فيها[2].

وذهب جمهور من المحققين إلى أنّ موضوع التحدي هو الوجه الوحيد للإعجاز, وما عاداه مما يتعلق بمضامين القرآن وموضوعاته وحقائقه فهي دلائل على أنّه من عند الله تعالى, يقول عبد الفتاح الخالدي:" موضوع التحدي هو البيان القرآني, لأنّ الذي طلب من الكفار أن يأتوا بمثله هو البيان القرآني, والمثليّة في التحدي هي مثلية بيانية, وهذا معناه أنّ مضامين القرآن وموضوعاته لم تكن موضوع التحدِّي, ولم تكن مطلوبة في التحدي ويترتب على هذا أنّها لا ارتباط لها في الإعجاز, أي أنّها ليست وجوها للإعجاز"[3]. معتبراً أن هذه الوجوه لم يثبت بها العجز ولا جاءت النصوص مصرحة بالتحدي فيها, مشترطاً أن يكون التحدي بعد دعوى وإنكار وإقامة حجة[4]. ولم يكن سبّاقاً إلى هذا الرأي -الذي دافع عليه بقوة في كتابه "إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربّاني" في جزئه الأول- فهذا سيد قطب يوجه سؤاله لمنْ نَحى مناحٍ شتى في وجوه الإعجاز قائلا: فما القول في السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم, ولا تجمع بطبيعة الحال كل المزايا المتفرّقة في القرآن؟[5], ثمّ يضيف موضحاً: إنّ هذه السور القلائل قد سُحر العرب بها منذ اللحظة الأولى, وفي وقت لم يكن التشريع المحكم, ولا الأغراض الكبرى, هي التي تسترعي إحساسهم, وتستحق منهم الإعجاب.[6]

ويؤكد محمود شاكر هذا المعنى بقوله:"وإذا صحّ أنّ قليل القرآن و كثيره سواء من هذا الوجه، ثبت أنّ ما في القرآن جملة- من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله- كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب، وهو أن يستبينوا في نظمه وبيانه انفكاكه

---

[1]- المعجزة الكبرى: محمد أبو زهرة, دار الفكر العربي, (د.ط), (د.ت), ص:73.

[2]- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم: محمد إبراهيم شريف: دار السلام, ط:1, 1429هـ/2008م, ص: 393

[3]- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني :صلاح عبد الفتاح الخالدي, دار عمار, ط:1, 1421هـ/2000م, ص:110.

[4]- المرجع السابق, ص:110.

[5]-التصوير الفني في القرآن: سيد قطب, دار الشروق, القاهرة, ط:17, 1425هـ/2006م, ص:17.

[6]- المرجع نفسه: ص:17.

من نظم البشر وبيانهم، من وجه يحسم القضاء بأنه كلام رب العالمين. ويقول:" إنّ الإعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه.."[1].

وبهذا فإنّ الوجه الذي وقع به التحدي, والذي طولب المشركون أن يأتوا بمثله, هو كما تبيّن الوجه البياني الذي لمسه العرب منذ نزول القرآن الكريم, والذي انقطعوا عن معارضته, والإتيان بمثله, بغض النظر إن كان هو الوجه الوحيد أم أن هناك وجوها أخرى.

-تعريف الإعجاز:لغة: الإعجاز مشتق من العجز, والعجز: الضعف, والإعجاز: الفوت والسبق يقال: أعجزني فلان أي فاتني, وقيل: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه, ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه.[2] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[الزمر: ٥١], بمعجزين: بفائتين من العذاب بالهرب, وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾[سبأ: ٥], معاجزين: مسابقين, أي يظنون أنهم يفوتوننا[3].

وجاء في "المفردات" للراغب:" عجزُ الإنسان: مؤخرُهُ, والعجزُ: أصله التأخر عن الشيء, وصار في التعاريف اسماً للقصور عن فعل الشيء, وهو ضدَّ القدرة, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾[المائدة: ٣١][4]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[الحاقة:7] , أعجاز نخل أصولها, والأعجاز: جمع عجز, وهو مؤخر الشيء أو الجسم[5].

وقال ابن فارس: العين والجيم والزاي, أصلان صحيحان, يدلُّ أحدهما عن الضعف, والآخر عن مؤخر الشيء, فالأول عجزَ عن الشيء يعجزُ عجزاً, فهو عاجزٌ أي ضعيف[6].

ويرى فضل عباس أن أصل العجز ما ذهب إليه الراغب في مفرداته, واستعير لغيره, حيث يقول: وهنا كصلة وثيقة بين هذا المعنى وبين القصور عن الشيء, فإن التأخر والقصور متلازمان...ولسنا مع ابن فارس بأن هذه المادة تدلُّ على أصلين اثنين, بل تدلُّ على أصلٍ واحدٍ,

---

[1]- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي (المقدمة), دار الفكر المعاصر, بيروت, دار الفكر, دمشق, ترجمة: عبد الصبور شاهين, ط:4, 1420هـ/ 2000م, ص:28 .

[2]-لسان العرب: مصدر سابق, 32/ 2817.

[3]- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن: مصدر سابق, ص: 315.

[4]- المفردات: مصدر سابق, ص: 547.

[5] - المعجم المفصل:مصدر سابق, ص:315.

[6]- معجم مقاييس اللغة: مصدر سابق, 4/ 232.

وهو مؤخِّرُ الشيء, والتقصير إنّما هو ناتجٌ عن هذا المعنى. والمتدبِّرُ لآي القرآن الكريم يدرك هذه القضية, واللغويون والمفسرون مجمعون على أن ليس للعجزِ إلا هذا المعنى[1].

-اصطلاحاً: الإعجاز في الكلام أن يؤدّى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق[2].وهذا معنى عام يشمل الإعجاز في كلام الله عزّ وجل, والإعجاز في كلام غيره من البشر.

وإعجاز القرآن معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به فهو من إضافة المصدر لفاعله, والمفعول وما يتعلق بالفعل محذوف للعلم به, والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به[3].

وعرّفه أبي البقاء في "الكليات" بقوله : إعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر, ويعجزهم عن معارضته, على ما هو الرأي الصحيح لا الإخبار عن الغيبيّات, ولا عدم التناقض و الاختلاف, ولا الأسلوب الخاص, ولا صرف العقول عن المعارضة, ولا إيجاز اللفظ أو كثرة المعنى, وليس إعجازه لمعناه فقط, بل هو في المعنى تام كما هو في النظم, ولو كان حاصلا بدون النظم لم يكن مختصا بالقرآن, بل يكون بعض الأحاديث معجزا أيضا, وهذا خرق الإجماع[4].

ويرى مصطفى صادق الرافعي أن الإعجاز شيئان:

1- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة, ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته.

2- ثمّ استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه, فكأنّ العالم كلّه في العجز إنسان واحد ليس له مدنه المحدودة بالغة ما بلغت[5].

والمعجزة: أمرٌ خارق للعادة , مقرون بالتحدي,سالم عن المعارضة[6].

---

[1]- إعجاز القرآن: فضل عباس, مرجع سابق, ص: 11.

[2] - التعريفات, مصدر سابق, ص: 31.

[3]- البرهان: مصدر سابق, 2/ 331.

[4]- الكليات: لأبي البقاء الكفومي, ت: عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة, ط:2, 1419هـ/ 1998م, ص: 149.

[5]- إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعي: دار الكتاب العربي, بيروت, ط: 8, 1425هـ/ 2005م, ص: 98.

[6] - الإتقان: مصدر سابق: 303/4 .

وعرّفها محمود شاكر بقوله: والمعجزة هي الآية الكاشفة عن عجز جميع الخلائق المبطلة لجميع قدراتهم على مثلها, المبينة عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيءٌ في السموات والأرض[1]. وبعد تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة إعجاز نأتي إلى تعريف الإعجاز البياني والمراد منه.

تعريف الإعجاز البياني:

إذا أطلق لفظ إعجاز القرآن أوّل ما يتبادر إلى الأذهان, الإعجاز البياني, وإذا ما أطلقنا لفظ الإعجاز البياني, سبق إلى الفكر حالة التحدي التي عاشها مشركو قريش بالتحديد مع القرآن الكريم, والتي بها ثبتت نبوة محمد (ﷺ), يقول محمود شاكر: أنّ (إعجاز القرآن) كما يدل عليه لفظه وتاريخه، هو دليل النبي (ﷺ) على صدق نبوته، وعلى أنه رسول الله يوحى إليه هذا القرآن، وأن النبي (ﷺ) كان يعرف (إعجاز القرآن) من الوجه الذي عرفه منه سائر من آمن به من قومه من العرب..[2].

والإعجاز البياني كما عرفه عمار ساسي هو: "إثبات عجز الإنس والجنّ –على قدرتهم– بالتحدي على أن يأتوا بمثل هذا القرآن"[3].

وعرفه محمد حسين الذهبي بقوله:" إثبات عجز العرب وغيرهم عن الإتيان بمثله, فيظهر بذلك صدق النبي (ﷺ) في دعواه الرسالة, وأن القرآن ليس من كلامه, ولا هو في مقدور أحد وإنما هو كلام الله عز وجل[4].

وفي توضيح للقصد الأول من إطلاق لفظ الإعجاز القرآني يقول محمود شاكر ":...فلما جرى على ألسنتهم قولهم (إعجاز القرآن) –يقصد المتكلمين– كان تعبيرا موجزا عن صورة موقف مركب واضح: هو مجيء التحدي في القرآن يطالبهم بالإتيان بسورة من مثله هذا القرآن من ناحية, وإبلاس المشركين انقطاعهم عن فعل ما طولبوا به من ناحية أخرى, وإذن: فقولهم (إعجاز القرآن)

[1] – مداخل إعجاز القرآن: محمود محمد شاكر:, مطبعة المدني– دار المدني–جدة– ط:1, 2432هـ/2002م.ص: 17.

[2] – مقدمة الظاهرة القرآنية: مرجع سابق, ص: 25.

[3] – الإعجاز البياني في القرآن الكريم: عمار ساسي, جدار للكتاب العالمي, الأردن, عالم الكتب الحديث, الأردن, (د.ط)2007م , ص:73.

[4] – بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة: محمد حسين الذهبي: دار الحديث, القاهرة, 1426هـ/ 2005م, ص: 294

صفة لهذا الموقف المركب, ولما يؤدي إليه من أنه أظهر عجز المشركين عن فعل ما طولبوا به ليس غير, وبلا زيادة ولا نقصان[1].

ومن هذا التحقيق وذاك التعريف, نرى أن هذا المصطلح في حقيقته -الإعجاز البياني- هو وصف للحالة التي كان عليها كفار قريش بعدما تحدّاهم القرآن الكريم في أكثر من موضع بالإتيان بمثله. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[البقرة: ٢٣], وقوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[هود: 14] , وقوله:﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]

وقوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[الطور: ٣٣ - ٣٤]. هذا هو الأصل في معنى الإعجاز القرآني, إلاّ أنّ المتكلمين حادوا باللفظ على أصل معناه فأطلقوا إعجاز القرآن على الوجوه التي استنبطوها من القرآن, ورأوا أن العرب حصل لهم العجز بها, يقول محمود شاكر في ذلك:"..ولكن المتكلمين حين بلغوا هذا المبلغ وهم في طريقهم إلى استخرج لفظ (إعجاز القرآن) للدلالة على صفة موجزة لهذا الموقف المركب, لم يلبثوا طويلا حتى أخرجوه عن حيزه, بل لا بد أن يطلبوا السبب الذي من أجله كان التحدي مظهراً عجز العرب عن فعل طولبوا به, فنظروا في القرآن نفسه يتطلبون فيه الوجوه التي يمكن أن يكون سبب في إظهار عجز العرب بعد أن تحداهم بما تحداهم به, فلما ظفروا ببعض ما ظنوا أنهم أصابوه من هذه الوجوه, التمسوا له اسما جامعا, فكان أقرب شيء أن يسموه (إعجاز القرآن)[2].

وبسبب هذا المفهوم البلاغي وقع الالتباس بين الإعجاز البياني والتفسير البياني, للتداخل الحاصل بينهما.

[1] - مداخل إعجاز القرآن: مرجع سابق, ص: 31.

[2] - المرجع السابق: ص: 31- 32.

نتيجة: فالإعجاز البياني: يبحث في البيان القرآني المعجز[1]. منطلقا من قاعدة عامة التي تعتبر وجها من وجوه الإعجاز, ليبرهن على صحتها بآيات قرآنية. فهذا الرّماني مثلا يعرض لما يراه وجوها للإعجاز فيقول: وجوه إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي, وشدة الحاجة والتحدي للكافة, والصرفة, والبلاغة, والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة, ونقض العادة وقياسه بكل معجزة.[2] وعندما يتكلم عن البلاغة مثلا, وبعد أن يقسمها لعشرة أقسام, يدلل على كل قسم منها بآيات من القرآن, فيقول تحت مبحث الإيجاز: والإيجاز حذف وقصر...فمن الحذف (وسأل القرية) ومنه (ولكن البر من اتقى)...[3]وهكذا.

أما التفسير البياني: فينطلق من الآية القرآنية, وقوفا على مدلول ألفاظها, مستخرجا سر بيانها, مستجلياً خصائص الأساليب القرآنية استجلاء يؤدي إلى تذوق القرآن بالإضافة إلى إبراز وجوه الإعجاز, فهو أشمل وأوسع من الإعجاز البياني,حيث"يبحث في البيان القرآني المعجز, كما يبحث في الكشف في أسرار التعبير القرآني من الناحية الفنية".[4]فالإعجاز البياني هو ثمرة من ثمار التفسير البياني.

وقبل الخروج من هذا المبحث الشيّق رأيت أن أتبعه برأي فاضل السامرائي في الإعجاز, كونه الشخصية التي أنا بصدد دراسة آرائها وجهودها في التفسير.

رأي الدكتور فاضل السامرائي في الإعجاز: يرى السامرائي أنّ إعجاز القرآن لا يقتصر عن الناحية البيانية فحسب, وإن كان في كل آية مهما حوت من وجه من وجوه الإعجاز, إعجاز بياني, وهذا ما جعله ينأى عن تسمية كتابه (التعبير القرآني) ب (الإعجاز البياني) حيث يقول في مقدمة كتابه" لمسات بيانية في نصوص التنزيل": قال لي بعضهم بعد أن اطلع على كتاب (التعبير القرآني), لو سميته الإعجاز القرآني. فقلت له: هذا العنوان أكبر مني, وأنا لا أستطيع أن أنهض ببيان الإعجاز القرآني ولا شيء منه..[5].

---

[1]- جهود الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني: توفيق زيادي:, بحث قدّم في: المؤتمر القرآني الدولي السنوي, جامعة مالايا بماليزيا, (22-23-2012م), ص:7.

[2]- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: مصدر سابق, ص: 75.

[3]- المصدر السابق: ص: 75.

[4]- جهود الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني: مرجع سابق, ص: 07

[5]- لمسات بيانية في نصوص التنزيل: فاضل السامرائي: دار عمار, ط: 3, 1423هـ/ 2003م, ص: 5.

ثمّ يوضح رأيه في الإعجاز قائلا: إنّ إعجاز القرآن أمرٌ متعدد النواحي متشعب الاتجاهات, ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخصٌ واحدٌ, ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعةُ علمهم وتعدد اختصاصاتهم, إنّما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال[1].

ومن قوله هذا يتضح لنا أن السامرائي يعتبر أن القرآن معجز بكل ما فيه من العلوم التي توصل إليها العلم والتي سيتوصل إليها في المستقبل. ثمّ يضرب لنا أمثالاً من مختلف العلوم التي وافقت القرآن في نتائجها البحثية, ومن ذلك قوله: وقرأت فيما توصل إليه علم التاريخ وما دلت عليه الحفريات الحديثة من أخبار ذي القرنين أدق الكلام وأدق الأخبار ما لم يكن يعرفه جميع مفسري القرآن فيما مضى من الزمان. وأن الذي اكتشفه المؤرخون والآثاريون وما توصلوا إليه في هذا القرن منطبق على ما جاء في القرآن الكريم كلمةً كلمة, ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا القرن البتة[2].

ومن هنا نستطيع القول أن كل ما توصل إليه العلم في العصر الحديث وكانت له إشارات في القرآن الكريم فهو وجه من وجوه الإعجاز عند السامرائي..! فيقول في ذلك:" وعرفت من الإشارات الإعجازية في مختلف العلوم كما في أسرار البحار والضغط الجوي وتوسع الكون وبداية الخلق ما دعا كثيراً من الشخصيات العلمية إلى إعلان إسلامهم[3].

كما يذهب أنّ التعبير القرآني الواحد قد ينطوي على أكثر من وجه من وجوه الإعجاز, فيقول: إنّ التعبير الواحد قد ترى فيه إعجازاً لغوياً جمالياً, وترى فيه في الوقت نفسه إعجازاً علمياً أو إعجازاً تاريخياً, أو إعجازاً نفسياً, أو إعجازاً تربوياً, أو إعجازاً تشريعياً أو غير ذلك[4]. وهذا يعني أنّ الآية الواحدة تحتاج إلى أكثر من مفسر, فقد تحتاج إلى جانب المفسر عالما بيولوجياً, أو طبيباً أو فلكياً حسب ما تشتمل عليه الآية من علوم.

[1] – المرجع نفسه: ص: 7.
[2] – المرجع السابق: ص: 7 .
[3] – المرجع نفسه: ص:7.
[4] – المرجع نفسه: ص: 8.

ومن هنا يتوصل إلى نتيجة مفادها أنّ شأن الإعجاز أعظم من كل ما ذُكر فيقول:" أمّا شأن الإعجاز فهيهات, إنّه أعظم من كل ما نقول, وأبلغ من كل ما نصف وأعجب من كل ما نقف عليه من دواعي العجب"[1].

المبحث الثاني: تطور المنهج البياني في العصر الحديث:

تمهيد:

تجدر بيَ الإشارة قبل الدخول في الحديث عن تطور المنهج البياني في العصر الحديث, أن أعرض للمحة تاريخية لجذور هذه المدرسة البيانية, حتى أصل القديم بالحديث, وأبين الإرهاصات الحقيقية لبروز هذا الاتجاه.

لقد نزل القرآن الكريم على محمد (ﷺ) وهو أفصح الناطقين, وأبلغ القائلين ليتولى تفسيره وتوضيحه امتثالا لقول ربّه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤], والرسول العربي المبين بفطرته الصافية, وسليقته الهادية يعرف مكان الحسن في البيان ومواضع الزلل في القول[2]. وبذلك فإن التفسير عموما هو أقدم علوم القرآن نشأة لارتباطه بالوحي لما اقتضته الضرورة من توضيح ما غمض من آي الكتاب العزيز, والتفسير البياني هو أحد أوجه التفسير في عصر النبوة, "فقد تعرض الرسول الكريم في تفسيره إيّاه لتوضيح كثير من تشبيهاته وكناياته[3].وذلك من البلاغة العلمية في صميم الصميم[1], ومما أثر عنه في هذا الباب

[1]- المرجع نفسه: ص: 9.

[2] - خطوات التفسير البياني: رجب البيومي, ص: 11.

[3]- وحسب استقراء د/مساعد الطيار فإن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم قليل حيث يقول: لقد استقرأت التفسير النبوي التفسير النبوي للقرآن الكريم, ووجدت أنه صلى الله عليه وسلم لم يفسر للصحابة من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إليه, وهو قليل. وفي هامش النص يعرف التفسير النبوي بقوله: ما نص فيه النبي صلى الله عليه وسلم على التفسير صراحة, وقد يكون إثر سؤال من أحد الصحابة, أما ماعدا ذلك فإنه يعد تفسيرا بالسنة, وهو يشمل كل إفادة يستفيدها المفسر من السنة النبوية سواء

تفسيره (ﷺ) "للظلم", فلما نزل قول الله عز وجل:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢], فشُقّ ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأيّنا لا يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام ليس ذلك, وإنما هو الشرك, ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ .[لقمان: ١٣][2],وتفسير الظلم بالشرك على سبيل المجاز.

ومنه (ﷺ) نهل الصحابة الكرام فاتسعت دائرة التفسير ومنها التفسير البياني في أوساطهم, ويعدُّ ابن عباس(رضي الله عنه) صاحب الرأي الخالص بتفسير القرآن تفسيراً لغوياً يرجع فيه إلى شعر العرب لمعرفة ما قد يغمض من الألفاظ والتراكيب[3]. وسؤالات نافع ابن الأزرق[4] له وشهرتها جعلته (رضي الله عنه) الأشهر بين الصحابة في هذا اللون التفسيري, وإن كان عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) أوّل من استنن ذلك, فقد رُوي عنه أنّه سأل عن معنى قوله تعالى:" أو يأخذهم على تخوف" فقام الشيخ من هذيل ليقول إن هذه لغته وإن معنى التخوف: التنقص, فسأله عمر عن شاهد من أقوال العرب ينبئ عن ذلك فأنشده الهذلي قول القائل:

تخوف الرحل منها تامكا قردا **** كما تخوف عود النبعة السفن.

فاستراح الفاروق لما سمع وقال لأصحابه عليكم بديوانكم لا تضلوا, قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية, فإن فيه تفسير كتابكم, ومعاني كلامكم[5].

أكانت قولا, أو فعلا, أو تقريرا. (انظر: مساعد الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم, دار ابن الجوزي, ص:64-65, و الهامش:ص:64).

[1] – المرجع السابق: ص:13.

[2] – أخرجه البخاري في صحيحه, ج: 448/6.

[3] – خطوات التفسير البياني: مرجع سابق, ص:14.

[4] – مسائل ابن الأزرق: ذكرها المبرد(285هـ) في كتابه " الكامل" وقد روى ثلاث مسائل فقط, وأخرجها أبو بكر الأنباري(328هـ) في كتابه "إيضاح الوقف والابتداء من كتاب الله عز وجل" سماعا من شيخه بشر بن انس, وأخرجها الطبراني (360هـ) في معجمه الكبير في سياق مناقب ابن عباس ما, وذكرها البدر الزركشي(794هـ) مجملة في كتابه " البرهان في علوم القرآن", والجلال السيوطي(911هـ) وهو الذي جاء بأكبر مجموعة منها في كتابه " الإتقان في علوم القرآن". (انظر: عائشة بنت عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق, ص: 298-290-292-293-294.)

[5] – المرجع السابق, ص: 14.

وقد ورث عن ابن عباس (ﷺ) تفسيره طائفة من تلاميذه بما فيه من جذور التفسير البياني، فجاء تفسير مجاهد متأثّرًا بهذا اللون من التفسير..هذه المرحلة الأولى التي ذكرناها للتفسير البياني كانت قبل عصر التدوين. ولعل هذه الخاصة فيه هي التي جعلت كثيراً من المؤرخين يتجاوزون هذه المرحلة ويعرضون عنها مبتدئين تاريخهم للتفسير البياني ببداية عصر التدوين[1].

وإذا أردنا تحديد معالم التفسير البياني – في عصر التدوين–نجدها قد وزّعت بين كتب الإعجاز وكتب البلاغة، وفي كثير من الصفحات المتقاربة في كتب التفسير– على اختلاف ألوانها– وفي بعض الصفحات المتباعدة في كتب الأدب والثقافة العامة..[2].

وهذه لمحة موجزة عن ذلك: يسجل منظري هذا العلم كتاب " مجاز القرآن" لأبي عبيدة بن المثنى (ت210هـ)[3] في طليعة الدراسات القرآنية البيانية, والذي يرجع تأليفه إلى سنة 190هـ.

ويليه كتاب الفراء (ت207هـ)[4] "معاني القرآن" والذي يعتبر امتدادا للأوّل ومكملاً لدراسته اللغوية والأدبية للقرآن الكريم, وإن كان يغلب عليه الجانب النحوي إلاّ أنّه لم ينس الدراسة البيانية في بحثه فقد عرج على كثير منها هنا وهناك[5].

واعتبر الجاحظ (ت255هـ) رجل التفسير البياني الأوّل بما ضرب من أمثلة قرآنية على ما يريد من فنون البلاغة وأساليب البيان, مع أنّه لم يترك كتابا مستقلا في التفسير[6], ومن مؤلفاته " نظم القرآن" وهو كتاب مفقود لكن كتب الجاحظ والدارسين من بعده لا تخلو من الإشارة إليه وبيان

---

[1] – اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري: فهد الرومي, طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية, المملكة العربية السعودية, ط:1, 1407هـ- 1986م, ص:872.

[2] – مدخل إلى تفسير القرآن: مرجع سابق, ص: 223.

[3] - معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيد النحوي ن أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيا، شعوبيا، وما مات لم يحضر جنازته أحد، لشدة نقده معاصريه. له نحو 200 مؤلف.(انظر:الزركلي:272/7)

[4] - يحيى بن زياد بن عبد الله الديلميّ, مولى بني أسد أبو زكرياء، المعروف بالفراء, إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ولد بالكوفة، وتوفي في طريق مكة. كان مع فقيها متكلما، عالما بأيام العرب وأخبارها، عارفا بالنجوم والطب، يميل إلى الاعتزال. من كتبه "معاني القرآن".(انظر: الزركلي: 146/8).

[5] – إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: حنفي محمد شرف, الكتاب الرابع, 1390هـ/ 1970م, ص: 18-20.

[6] – خطوات التفسير البياني: مرجع سابق, ص: 64.

غرضه[1]. وما زال القرن الثالث الهجري ينضح معينه فألّف خطيب أهل السنة ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)[2] كتاب "مشكل القرآن" للرد على الطاعنين في بلاغته من المعتزلة والملحدين في معانيه[3].

ومنذ أواخر هذا القرن احتوت التفسير البياني كتب الإعجاز[4], وأوّل الكتب "إعجاز القرآن" لأبي عبد الرحمن محمد بن يزيد الواسطي(ت304هـ), ولكن هذا الكتاب لم يصلنا كما لم يصلنا شيء مما وضعه عبد القاهر الجرجاني من شروح له. وتبع أعلام القرن الرابع الهجري الواسطي في تسمية كتبهم ب"إعجاز القرآن", ومن مؤلفات هذا القرن " النكت في إعجاز القرآن" لأبي الحسن بن عيسى الرماني (ت384هـ), و" بيان إعجاز القرآن"[5] للخطابي أبي سليمان حمد بن محمد (ت386هـ)[6]. وللقاضي عبد الجبار أبي الحسن المعتزلي (ت315هـ) جزء في "إعجاز القرآن" ضمن كتابه " المغني في أبواب التوحيد", و"إعجاز القرآن" لأبي بكر الباقلاني (ت403هـ)[7], واعتبره الدارسون أوسع ما ألّف في بيان الإعجاز.

ويمتاز القرن الخامس بوفرة المتكلمين والمؤلفين في مسألة إعجاز القرآن, ويعدّ بحق عصرها الذهبي[8]. وأشهر من أسهم في هذا العلم من أئمة هذا القرن شيخ البلاغة العربية وإمامها الذي رفع قواعدها وأحكم بناءها الإمام عبد القاهر الجرجاني(474هـ)[9], ولم يخصص الجرجاني كتابا

---

[1] – اتجاهات التفسير في القرن(14) : مرجع سابق ص: 971.

[2] - أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو جعفر: قاض، من أهل بغداد، له اشتغال بالأدب والكتابة. ولي القضاء بمصر سنة 321 هـ وكانت وفاته بها.

[3] – إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : مرجع سابق, ص: 28.

[4] – أشار إلى ذلك الدكتور رجب البيومي في كتابه خطوات التفسير البياني, حيث عنون هذه الحقبة ب " علماء الإعجاز يفسرون".

[5] – شرحه الجرجاني شرحين كبيرا سمّاه المعتضد وصغيرا حسب ما ذكره صاحب كتاب "فكرة إعجاز القرآن": ص:86.

[6] – حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستيّ، أبو سليمان: فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل), له (معالم السنن) مجلدان، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن) و (إصلاح غلط المحدثين).(الزركلي: 273/2).

[7] – إعجاز القرآن: عائشة بنت عبد الرحمن, ص:22.

[8] – إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق: مرجع سابق, ص: 66.

[9] – المرجع نفسه: ص: 90.

معينا يقصره على البحث في إعجاز القرآن وإنما كتب ثلاثة كتب لها علاقة وثيقة بإعجاز القرآن وهي: أسرار البلاغة دلائل الإعجاز والرسالة الشافية[1].

وجاء القرن السادس, وألّف فيه أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)كتابه "تفسيره الكشاف" وحسبك به في هذا اللون من التفسير[2]. وبعد الزمخشري أصاب كلا من التفسير والبلاغة نوع عام من هبوط فكري تبعهما ما أصاب التفسير البياني من هبوط مماثل إذ هو نتيجة متوقعة لكل ما يجد في حقلي التفسير والبلاغة من أوضاع.

وفي أواخر هذا القرن ألف فخر الدين الرازي (ت606هـ) رسالته "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"[3]. كما تحدث عن الإعجاز في عدة كتب له, وقد نقل نعيم الحمصي قول " عبد العليم العليم الهندي": إنّه لم يأت بجديد من عنده و يذكر أنه إنما اختصر كتابي الجرجاني (دلائل

الإعجاز وأسرار البلاغة) ونظمها من جديد في كتابه[4].

وفي القرن السابع قدم زكي الدين عبد العظيم ابن عبد الواحد المصري المعروف بأبي الأصبع (ت654هـ)[5] كتابه "بديع القرآن" وكتابه "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح".

ومن أشهر أعلام القرن الثامن الإمام يحي بن حمزة العلوي (ت749هـ) وكتابه "الطراز", ويذكر سبب تأليفه أن جماعة من خلصائه وصفوة صحبته أشاروا عليه بعد أن قرؤوا تفسير الكشاف للزمخشري بأن يملي في إعجاز القرآن كتابا فأجابهم إلى طلبهم وحقق لهم رغبتهم[6].

وفي القرن التاسع ألف برهان الدين البقاعي(ت885هـ) كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" الذي أثنا عليه حاجي خليفة بقوله:" إنه كتاب لم يسبقه إليه أحد. جمع فيه من أسرار القرآن ما تتحير فيه العقول، وأتقن فيه المناسبات، وأوضح المعاني المشكلات"[1].

---

[1] –مباحث في إعجاز القرآن: مصطفى مسلم: دار مسلم, ط: 2, 1416هـ/ 1996م, ص: 96.

[2] – اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص: 874.

[3] – المرجع السابق: ص: 874.

[4] – فكرة إعجاز القرآن: نعيم الحمصي: مؤسسة الرسالة, ط:2, 1400هـ/1980م, ص: 99.

[5] - عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أَبي الإصْبع العدوانيّ، البغدادي ثم المصري: شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته بمصر. له تصانيف حسنة، منها " بديع القرآن", و" الخواطر السوانح في كشف أسرار الفواتح".(انظر الزركلي: 30/4).

1- مرجع سابق, ص: 126-128-130.

وفي أواخر هذا القرن وأوائل القرن العاشر جاء السيوطي "ت911هـ" وكان عصره عصر تأليف وتدوين وبلغت مؤلفاته عددا كبيرا أشهرها:" "تناسق الدرر في تناسب السور", " مفحمات الأقران في مبهمات القرآن", "متشابه القرآن", و" الإتقان في علوم القرآن" وغيرها كثير[2]. وعقمت عقول قرنين من الزمن فلم يسجل فيه مؤلفا ولا رسالة, يقول حنفي محمد شرف:" تركت مصر وانتقلت عبر الأزمنة والأمكنة في عصر الأتراك أفتش عمن كتب عن إعجاز القرآن, ومرت سنون طويلة تقرب من قرنين...".

وفي القرن الثالث عشر وفي بغداد بالتحديد ألف شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت1270هـ) تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني", والذي اعتبر امتدادا لتفسير الكشاف للزمخشري من الاهتمام بالمسائل البلاغية والنحوية.[3]

ومنذ عصر الألوسي نلاحظ أن التفسير البياني بدأ يستقل بذاته عن كتب الإعجاز وإن لم تخلو منه.

المطلب الأول: نشأت المدرسة الأدبية في العصر الحديث:

تظافرت الظروف التي كان يعيشها العالم الإسلامي لحتمية نهضة جديدة تعيد نبض الأمة وتبعث فيها الأمل والحياة من جديد بعد توالي النكبات, ويصف البيومي هذه الحالة بقوله:" تاه العالم الإسلامي في ظلمات ليل تتكاثف فلا تدع للنور طريقاً يسلكه السارون مهتدين, وطال العهد بهذه الظلمات حتّى أيأست الآمال, وأوحت لأعداء المسلمين أنّهم هامّة اليوم والغد... فقدر الله إذ جفاها الوابل الصيب أن يصيبها رذاذاً من الطل تنشط معه عناصر القوة فتتشقق التربة عن نبات حيّ يقاوم الأعاصير وينازل تحديات الظمأ والجذب والمحول, فكانت مدرسة جمال الدين الأفغاني[4]"[1]. الذي دعا إلى العودة إلى القرآن الكريم لإيجاد الحلول لخروج بلاد المسلمين من

---

[1] -نقلا عن: إعجاز ومسائل ابن الأزرق, ص: 28.

[2] – انظر: اتجاهات التفسير,ص: 875, وإعجاز القرآن البياني,ص: 186.

[3] – إعجاز القرآن البياني: مرجع سابق, ص: 193-194.

[4] – محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة. ولد في أسعد آباد بأفغانستان) ونشأ بكابل. وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، كان عارفا باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية, له (تاريخ الأفغان – ط) و(رسالة الرد على الدهريين) ترجمها إلى العربية تلميذه محمد عبده. توفي سنة 1363هـ. (انظر: الزركلي: 169/6).

حالة التخلف التي كانت تعاني منها آنذاك, حيث كان يرى فيه جميع أسس الحضارة التي كانت تنعم بها أوربا, فيقول:" القرآن, القرآن وإنّي لآسف إذ دفن المسلمون بين دفّيه الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون عن الجهل المدقع", ومع ذلك فهو لم يفسر القرآن, ولم يكن له تفسير مستقل وإنّما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته[2], التي كان ينشرها في مجلة العروة الوثقى, فقد كتب سبع عشرة مقالة من خمس وعشرين في تفسير سبع عشرة آية من القرآن, مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران: ١٠٣]. وقوله:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال:٤٦] وقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾

[آل عمران: ١١٨][3].ومع إقلاله فيه فهو لا يفسره إلا من جانب ما يؤيد به قوله من غير بيان للجوانب الأخرى[4].

ومن هنا يتضح لنا أن المدرسة الأدبية بدأت بدعوة من جمال الدين الأفغاني للعودة إلى القرآن الكريم, فنهض بالمهمة التي دعا إليها تلميذه الإمام محمد عبده, ففسّر القرآن لا ليضمّ نسخة جديدة تتشابه مع سابقاتها, بل ليجعله صيحة البعث ونور الشروق[5].

وفي إشارة إلى كون تفسير الإمام محمد عبده هو فاتحة التفسير البياني في العصر الحديث يقول رجب البيومي:" فتلألأت أشعة التفسير البياني في العصر الحديث أول ما تلألأت من شمس الأستاذ الإمام فقدّم في هذا المنحى لوناً أدبياً ممتازاً, يعيد السامعين إلى عهد البلاغة العريقة في أزهر عصورها"[6]. ويصف الإمام الطاهر بن عاشور العلاقة بين فكرة جمال الدين الأفغاني وتفسير الإمام بقوله: " واتخذت فكرة جمال الدين الأفغاني من بلاغة قلم تلميذه ونفوذ بيانه, معارض

---

[1]- خطوات التفسير البياني: مرجع سابق, ص: 283.

[2]- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: (د.د), الرياض, ط:2, 1403هـ/ 1983م, ص:986.

[3]- لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: محمد لطفي الصبّاغ: المكتب الإسلامي, ط:3, 1410هـ/ 1990م, ص:312

[4]- اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص:87 .

[5]- خطوات التفسير البياني: مرجع سابق, ص: 286 .

[6]- المرجع نفسه: ص: 288.

برزت فيها صورها صافية ناصعة"[1]. فها هو الشيخ الإمام يدعو بأن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه إليه, وهي ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية, فيقول:" ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه، على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية، ليستجاب لدعوته، كما استجاب لها رعاة الغنم وساقة الإبل ممن نزل القرآن بلغتهم، والقرآن قريب لطالبه، متى كان عارفا باللغة العربية، ومذاهب العرب في الكلام، وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي"[2]. إلا أنّه لم يتوسع رحمه الله في استخراج النكت البلاغية , واستجلاء الصور البيانية, وكشف أسرار التراكيب التعبيرية للقرآن الكريم, ذلك أن الهدف الأوّل من التفسير هو الهداية – في نظر الشيخ- حيث يقول:"والتفسير الذي نطلبه هو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا, وحياتهم الآخرة, فإن هذا هو المقصد الأعلى منه, وما وراء هذا فهو تابع له, وأداء أو وسيلة لتحصيله."[3]

ويجعل الهدف الثاني للتفسير بيان الوجوه البلاغية فيقول:" ويتبعه بلا ريب: بيان وجوه البلاغة بقدر ما يحتمله المعنى.."[4]. وقد أُعتبر ما جاء من نصوص في تفسير المنار نواة التفسير البياني, وقواعد هذا المنهج الذي خطه الإمام ولم يلتزمه, يقول عفت الشرقاوي متحدثا عن جهودهم:" لم تعد اللمحات العابرة التي تكشف عن نكتة بلاغية خفيّة, أو لمحة بيانية ذكية, فهي لم تكن تؤلّف في جملتها منهجاً أدبياً واضحاً يمكن أن ينسب إليها"[5].

وقبل أن أعرض لما جاء من نصوص في تفسير المنار للوقوف على بداية وضع قواعد المنهج البياني بصورة عملية, أقدم لترجمة موجزة للإمام محمد عبده:

- **ترجمة محمد عبده:**

ولد الإمام (محمد عبده) في أواخر (1265هـ) بمحلة نصر" من مديرية البحيرة, تعلم القراءة والكتابة بعد أن جاوز العاشرة, أوفد به والده إلى طنطا لتجويد القرآن في المسجد الأحمدي (1279هـ), وجلس في دروس العلم (1281هـ), تزوج في (1282هـ), وفي المنتصف من شوال

[1]- التفسير ورجاله: محمد الفاضل بن عاشور, ص: 199.

[2]- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي, مكتبة وهبه, ط:10, ص: 1.

[3] - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ): الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1990م, ج:1, ص:17.

[4]- المصدر السابق: ص: 19 .

[5]- اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث: عفت الشرقاوي: كلية الآداب-جامعة عين شمس, ص: 278.

لنفس السنة ذهب إلى الأزهر ليداوم عن طلب العلم على مشايخه, وفي سنة(1871م)، وفد إلى مصر " جمال الدين الأفغاني"، وكان "محمد عبده" قد ناهز الثلاثين؛ وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة في الأزهر، فكان بين تلامذته وأدرك "جمال الدين" ما عليه "محمد عبده" من الذكاء الخارق، فخصه بعطفه، وأخلص في توجيهه.

أحرزهم شهادة العالمية سنة(1294هـ). اشتغل كمدرس في الأزهر, ثم عين مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم، فمدرسًا للعلوم العربية في مدرسة الألسن الخديوية يجمع بين العمل فيها، والعمل في الأزهر, وفي(1880م), تولى منصب رئيس لتحرير الوقائع المصرية. حكم عليه بالنفي ثلاث سنين بعد أن حبس ثلاثة أشهر, بارح بعدها مصر لسورية، وبعد أن أقام نحو عام في "بيروت" كتب إليه "جمال الدين"، وكان في "باريس" أوائل سنة (1883م) يدعوه للعمل معه، فلحق به, أسسا " العروة الوثقى" , وفي (1884م) ولما عاد إلى وطنه شمله عفو الخديوي "توفيق"، فعينه قاضيا في المحاكم الأهلية الابتدائية, ثم أسند إليه الخديوي سنة(1889م) منصب الإفتاء في مصر, قام بإصلاحات كبيرة في الأزهر.

له من الأعمال شرح نهج البلاغة وتفسير سورة الفاتحة وتفسير سورة العصر,تفسير جزء عم , القرآن الحكيم, أو ما يعرف بتفسير المنار (وصل فيه إلى الآيه125من سورة النساء) ,...وغيرها.توفي رحمه الله تعالى: 1323هـ/ الموافق ل 1905م[1].

هذا ملخص تعريفي بالإمام "محمد عبده" لا يفي الإمام حقه ولكن لا يكتمل البحث إلا به.

- **قواعد منهجه:**

للتفسير مراتب: أدناها, أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه, ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير, وهذه هي التي قلنا إنّها متيسرة لكل أحد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٧]. وأمّا المرتبة العليا فهي لا تتمُّ إلاّ بأمور:

(أحدهما): فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن, بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات اللغة, غير مكتفٍ بقول فلان وفهم فلان, فإنّ كثيراً من الألفاظ كانت تستعمل في

[1] – انظر: (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: محمد رشيد رضا: مطبعة المنار, مصر, 1350هـ/ 1931م, ط:1, 1/ 22-24, و الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة: محمد كامل الفقي: المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف, (د.ط), (د.ت), 126/2 وما بعدها.)

زمن التنزيل لمعان ثمّ غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أم بعيد[1]. وبعد أن ضرب مثلا لذلك بلفظ "التأويل" يقول: يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملّة, ليفرّق بينها وبين ما ورد في الكتاب, فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى, فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله[2].

ونلمح إشارته إلى المنهج الموضوعي في قوله تتمّة لما سبق:" والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في موضع منه وينظر فيه, فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظة "الهداية"[3].

وهذا اللون من تفسير اللفظة القرآنية هو أول أنواع التفسير الموضوعي التي تكلم عنها مصطفى مسلم في كتابه " مباحث في التفسير الموضوعي حيث يقول:" اللون الأول: أن يتتبع الباحث لفظة من القرآن الكريم, ثمّ يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية, وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمل القرآن الكريم لها."[4] وتعد هذه النقطة من أهم قواعد التفسير البياني كما سنعرض له فيما بعد.

ثمّ يشير إلى أهمية السياق في تفسير اللفظ القرآني, فيقول:" ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية, فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه, وقد قالوا: إنّ القرآن يفسر بعضه ببعض, وإنّ أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول, واتفاقه مع جملة المعنى, وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته."[5].

ومن هذه القاعدة نلحظ اهتمام الإمام بالمفردة القرآنية واستعمالاتها الزمنية ودلالاتها السياقية.

---

[1]- تفسير المنار: مصدر سابق, ص: 21.

[2]- المصدر نفسه: 21-22.

[3]- المصدر نفسه: ص 28 .

[4]- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم, دار القلم, دمشق, ط: 1, 1410هـ/ 1989م, ص:23.

[5]- المصدر نفسه, ص: 22.

ثانيا: الأساليب فينبغي أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الأساليب الرفيعة وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته, مع التفطن لنكته ومحاسنه, والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه[1].

ويترك محمد عبده باب الاجتهاد في الفهم والتفسير مفتوحا بقوله:" نعم إننا لا نتسامى إلى فهم مراد الله تعالى كله على وجه الكمال والتمام, ولكن يمكننا فهم ما نهتدي به بقدر الطاقة. ويحتاج إلى هذا علم الإعراب وعلم الأساليب (المعاني والبيان), ويرى أن هذه الأمور في حقيقتها ملكة مكتسبة بالسماع والمحاكاة, ومجرد العلم بهذه الفنون وفهم مسائلها وحفظ أحكامها لا يفيد المطلوب[2].

ثالثا: علم أحوال البشر: فقد أنزل الله هذا الكتاب وجعله آخر الكتب وبيّن فيه ما لم يبينه في غيره ..ثمّ يقولّ: فلا بد للناظر في هذا الكتاب من النظر في أحوال البشر في أطوارهم, وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم من قوة وضعف وعزٍّ وذلّ.ويحتاج في هذا إلى فنون كثيرة من أهمها التاريخ بأنواعه[3].

رابعا: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن: فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة من العرب وغيرهم, لأنّ القرآن ينادي بأن الناس كلهم كانوا في شقاء وضلال, وأنّ النبي (ﷺ) بعث به لهدايتهم وإسعادهم, وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفا بأحوالهم وما كانوا عليه[4].

خامسا: العلم بسيرة النبي (ﷺ) وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشؤون دنيويها وأخرويها[5].

---

[1]- المصدر نفسه: ص:22.

[2]- تفسير المنار: مصدر سابق, ص: 22.

[3]- تفسير المنار: مصدر سابق, ص:22.

[4]- المصدر نفسه: ص: 23-24.

[5]- المصدر نفسه: ص:24.

هذا ملخص ما ذكره الشيخ رشيد رضا على لسان أستاذه في مقدمة تفسير "المنار" وهو يشرح المرتبة العليا للتفسير. والذي نلمح من خلاله الأفكار الأساسية التي قام عليها المنهج البياني فيما بعد. وأعرض لنماذج من آرائه البيانية توضح العمق الأدبي للإمام:

- **أنموذج من تفسيره:**

نقف هنا عند بعض لمحاته التفسيرية البيانية حيث يقول عند تفسيره لفظ (سجى) في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[الضحى:٢] :, أي سكن, وسكون الليل هو ما تجده من سكون أهله وانقطاع الأحياء عن الحركة فيه ولما كان السجو أو السجو من لوازم الظلمة جاء فيه بالماضي كالتجلي في النهار بخلاف الغشيان في الليل فإنّه مما يعرض له في الأوقات القليلة يغشى فيها الضياء[1].

-وعند قوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[الكوثر:١] يقول محرراً معنى اللفظ, عارضاً لأقوال الأئمة, مرجحاً بينها بما يراه موافقا لسياق السورة, مستبعدا أن يكون الكوثر هو نهر في الجنة, رادّاً المعنى المراد من الآية للمعنى اللغوي يقول:" الكوثر صيغة مبالغة من الكثرة ومعناه: الشيء البالغ من الكثرة حد الإفراط.. وقد اختلف في معنى الكوثر اختلافا كثيرا, ولكن تعريف اللفظ يدل على أن المقصود به كان أمرا معهودا للسامعين, تذهب أذهانهم إليه إن كانوا لم يعهدوا وصفه بأنّه أكثر الكثير, وهو الذي كان يستقله أعداؤه والذي أعطيه النبي (ﷺ) وكان معروفا لسامعي الكتاب هو النبوة والدين الحق والهدى وما فيه سعادة الدارين الدنيا والآخرة. وأمّا أن هناك نهرا في الجنّة اسمه الكوثر وأن الله أعطاه نبيه فلا يفهم من معنى الآية بل الذي يدل عليه سياق السورة وموضع نزولها هو الذي بيناه من أحد القولين"[2].

ويعود في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱلۡفَجۡرِ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ﴾[الفجر: ١– ٢], إلى النسق القرآني كله فيرد بذلك ما ذهب إليه المفسرون في عدم التلاؤم بين تفسير "الفجر" وتفسير "ليال عشر" في لفتة ذكية فيقول: "كثر خلاف المفسرين والرواة في معنى كل من الفجر وليال عشر إلى آخر ما أقسم به, وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه, وغالب ذلك يجري على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم, وقد جرت سنة الكتاب بأنه إذا أريد تعيين

[1]– تفسير القرآن الكريم (جزء عم): محمد عبده: مطبعة مصر, ط: 3, 1341هـ, ص:08.

[2]–المصدر السابق: ص:165-166.

يوم أو وقت ذكره بعينه كيوم القيامة في لا أقسم بيوم القيامة, وكاليوم الموعود في سورة والسماء ذات البروج, وكليلة القدر في سورتها, فإذا أطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمّه الاسم, كما سبق في قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[التكوير: ١٧-١٨] فالفجر ههنا على هذا هو جنس ذلك الوقت المعروف الذي يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الألف واللام, والمراد والله اعلم من ليال عشر يتشابه حالها مع حال الفجر وهي ما يكون ضوء القمر مطاردا لظلام الليل إلى أن تغلبه الظلمة, فكأنه وضع التناسب على شيء من التقابل فضوء الصبح يهزم ظلمة الليل ثم يسطع النهار, ولا يزال الضوء إلى الليل, وضوء الأهلة في عشر ليال من أول كل شهر يشق الظلام ثمّ لا يزال الظلام يغلبه فيسدل على الكون حجبه[1].

ويذكر سبب تنكير " ليال" فيقول: ولما كانت هذه الليالي العشر غير متعينة في كل شهر ذكرها منكرة, وذلك أن ضوء الهلال قد يظهر حتى يغلب أول الظلمة في أول ليلة من الشهر, وقد يكون ضئيلا يغيب ضوؤه في الشفق فلا يعد شيئا, فالليالي العشر تبتدئ تارة من أول ليلة, وأخرى من الليلة الثانية, لذلك نكرها على أنها ليال عشر من كل شهر[2].

ومن خلال هذه الأمثلة تظهر النظرة المتفحصة للبيان القرآني عند محمد عبده لذا عُدَّ صاحب الانطلاقة الأولى للتفسير البياني في العصر الحديث.

المطلب الثاني: تبلور الأصول النظرية للمنهج البياني:

تعد الولادة الحقيقية للتفسير البياني بتبلور الأصول المنهجية على يد الأستاذ "أمين الخولي" الذي نظر إلى القرآن نظرة أدبية, حيث نصّ في دائرة المعارف تعليقا على مادة " التفسير على أن الهدف الأول للتفسير:" هو النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأعظم فهو الكتاب الذي أخلد العربية وحمى كيانها, وخلد معها فصار فخرها, وزينة تراثها, وتلك صفة القرآن يعرفها العربي مهما يختلف به الدين, أو يفترق به الهوى, ما دام شاعرا بعربيته"[3].

وبعد هذه النظرة الأدبية للقرآن الكريم والتي تعد تحولا في المنهج التفسيري عن النمط القديم ,كما أشارت إلى ذلك بنت الشاطئ في مقدمة تفسيرها حيث عبرت عن هذا التحول بقولها:"

[1]- تفسير جزء عمّ: مرجع سابق, ص: 77.

[2] - المصر السابق: ص: 77.

[3]- دائرة المعارف الإسلامية: أحمد الشنتناوي, إبراهيم زكي خورشيد, عبد الحميد سونس, دار المعرفة, بيروت, لبنان,5/ 365.

وكان المنهج المتبع في درس التفسير – إلى نحو ربع قرن من الزمان – تقليديا أثريا، لا يتجاوز فهم النص القرآني على نحو ما كان يفعل المفسرون من قديم. حتى جاء شيخنا الإمام "الأستاذ أمين الخولي" فخرج به عن ذلك النمط التقليدي، وتناوله نصا لغويا بيانيا على منهج أصله, وتلقاه عنه تلامذته وأنا منهم."[1].

وبعد النظر للقرآن نظرة أدبية وضع الخولي" الخطوط العريضة لهذا المنهج الأدبي فيما سطره تحت مادة" التفسير" في دائرة المعارف الإسلامية. وسيأتي الكلام عن منهجه بعد هذه الترجمة.

- **ترجمة أمين الخولي:**

ولد سنة1895م بمحافظة المنوفية وتخرج في القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي سنة 1920م واختير مدرسًا بها. وفي سنة 1923م عين إماما للمفوضية المصرية بروما ثم في برلين. عاد إلى مصر سنة 1927م ليدرس بقسم التخصص في مدرسة القضاء الشرعي وفي العام التالي نقل إلى كلية الآداب بالجامعة المصرية "جامعة القاهرة الآن" مدرسا فأستاذا مساعدا فأستاذا فرئيسا لقسم اللغة العربية واللغات الشرقية ثم أستاذا للأدب المصري ثم وكيلا لكلية الآداب وظل فيها حتى سنة 1953م حيث نقل مستشارا فنيا لدار الكتب المصرية ثم عين مديرا لإدارة الثقافة في وزارة التربية والتعليم حتى بلغ سن التقاعد سنة 1956م.

وأنشأ الأستاذ أمين هو وتلاميذه سنة 1943م مدرسة أدبية هي "الأمناء" نسبة إليه، وحاضر في معهد الدراسات العربية العالية سنة 1957-1958م، وفي معهد الدراسات الإسلامية، وتوفي سنة 1966م.

وله مقالات وبحوث في اللغة والأدب والبلاغة والنحو والتفسير, وله تعليقات على كثير من مواد دائرة المعارف الإسلامية في الأدب والفقه، ومن أهمها ما كتبه في مواد التفسير وأصول الفقه والبلاغة، وجمع أكثرها في كتاب اسمه "مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب والتفسير" وطبع تعليقه على مادة "تفسير" مستقلا مرة بعنوان "التفسير معالم حياته منهجه اليوم" طبعته جماعة الكتاب سنة 1944م ومرة بعنوان "التفسير نشأته تدرجه وتطوره" تحت سلسلة "كتب دائرة المعارف الإسلامية" وصدرت طبعته الأولى سنة 1982م في بيروت[2]. وغيره من المؤلفات.

[1] – التفسير البياني للقرآن الكريم: عائشة بنت عبد الرحمن, دار المعارف –القاهرة– ط:7, 1/ 13.

[2] – هذه الترجمة نقلا عن فهد الرومي في اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري, 3/ 901-902.

- **مراحل التأسيس للمنهج عند أمين الخولي:**

1-ما قبل المنهج (التخطيط للمنهج): لقد مهّد أمين الخولي لمنهج التفسير الأدبي بمقدمات قبل أن يضع قواعد وضوابط هذا المنهج وفق رؤيته الخاصة.

المقدمة الأولى: فتح باب التجديد: وذلك من خلال ما نقله عن أسلافه, عندما قسموا العلوم فقالوا أن هناك "...علم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير.."[1], حيث يقول في كتابه "مناهج تجديد": "أليس قول القدماء بعدم نضج هاذين الأخيرين يعد إذنا صريحا منهم بالمحاولة المجددة في حياة هاتين المادتين"[2].

وأُعتبر ما ذهب إليه من الدعوة إلى دراسة القرآن دراسة أدبية هي الخطوة الناقصة في الدرس التفسيري القديم, يقول محمد إبراهيم شريف:" لعل أمين الخولي هو أول مفسر مصري لفت- وهو يعاني درس التفسير ويمارسه- إلى الخطوة الناقصة في ذلك العلم واكتشف السبب الموضوعي لقصور منهج القدماء عن انجازها متخذا من دعوتهم إشارة خضراء الطريق إلى تطوير التفسير."[3]

المقدمة الثانية: ونلمحها في قوله:" وقد تقدمت إلى هذه المحاولة تحت الشعار الذي اتخذته لنفسي وهو أوّل التجديد قتل القديم فهما."[4] وكأنّ الخولي يلمّح أنّ لا تجديد قبل معرفة نقاط الضعف ومواطن النقص فيما ترك لنا القدماء لسد هذه الثغرات.

المقدمة الثالثة: تحديد المقصد والغرض من التفسير: فيرى أنّ المقصد الأساس الذي لابد أن يسبق كل مقصد هو النظر للقرآن الكريم بصفته كتاب العربية الأكبر, فيقول معقبا على أستاذه محمد عبده:" فالمقصد الحقيقي عنده هو: الاهتداء بالقرآن وهو مقصد جليل, ولا شك..لكن ليس بدعا من الرأي أن ننظر في هذا المقصد لنقول: أنه ليس الغرض الأول من التفسير..بل إن قبل ذلك كلّه مقصد أسبق, وغرضا أبعد.."[5].

وفي ترسيخ لهذا الغرض يقول في موضع آخر:" فجملة القول: أن المقصد الأول اليوم أدبي محض صرف, غير متأثر بأي اعتبار وراء ذلك.."[6].

---

[1] -دائرة المعارف: مصدر سابق, ص: 365.

[2] - مناهج تجديد نقلا عن محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن: ص: 354-355.

[3] - اتجاهات التجديد: مرجع سابق, ص: 354.

[4] - دائرة المعارف الإسلامية: مصدر سابق, ص: 366.

[5] - المصدر نفسه: ص: 366.

[6] - المصدر نفسه: ص: 367.

المقدمة الرابعة: الدرس الأدبي للقرآن الكريم: وهذا الدرس الأدبي حسب رأيه لا يختص به المسلم, ولا ينطوي على عقيدة بالقرآن نفسه, وليس له جنس أو عرق, بل ألزمه كل من كانت له صلة باللغة العربية.

هذا باعتبار أن صفة القداسة للقرآن ملتصقة به فنيا وأدبيا, وإن لم تكن ملتصقة به دينيا – كما يرى –فيقول:" وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني, دون نظر إلى أي اعتبار ديني, هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلا, العربية اختلاطا, مقصدا أول, وغرضا أبعد, يجب أن يسبق كل غرض, ويتقدم كل مقصد.."[1].

هذه هي النظرة الشاملة للتجديد في التفسير عند أمين الخولي, والتي لابد أن تكون وفق ضوابط وقواعد, حيث يقول : التفسير اليوم فيما أفهمه: هو الدراسة الأدبية, الصحيحة المنهج, الكاملة المناحي, المنسقة التوزيع."[2] ليضعنا بعد ذلك على عتبات المنهج.

2–التأصيل للمنهج: بعد هذه التقدمة يضعنا الخولي بين يدي الخطة بتساؤلٍ مفاده: وهل نتبع فيه الخطة التي سادت حتى اليوم, فندرسه على ترتيب سوره وآيه في السور أو على غير هذا الترتيب؟[3].

ويعتبر محمد شريف أنه بهذا التساؤل: إنما يكون قد خطا الخطوة الكبرى في البناء الفكري لدراسة القرآني, وانتقل من مرحلة الفكر والنظر الأدبي العام– كاتجاه يخالف غيره من اتجاهات– إلى مرحلة المنهجية والتطبيق التي أخذت حظا موفوراً في الاتجاه الأدبي "[4].

بين يدي الخطة:ونلحظ بين يدي الخطة نقطتين هامتين, وهما بمثابة الحقل التطبيقي والأرضية الأولية لتنفيذ المنهج: أولهما:– الترتيب الموضوعي لآيات القرآن. وثانيهما:– الترتيب الزمني لظهور الآيات.

– الترتيب الموضوعي لآيات القرآن: أوّل ما يعرض له أمين الخولي في هذه النقطة طريقة ترتيب القرآن الكريم, والنظر في واقع هذا الترتيب, وأثره في التفسير, فيقول:"والقرآن كما هو

[1]– المصدر نفسه: ص: 366.

[2]– المصدر السابق: ص: 367.

[3]– دائرة المعارف: مصدر سابق, ص:367.

[4]– اتجاهات التجديد: مرجع سابق: ص: 359.

المعروف لم يرتب على الموضوعات والمسائل فيفرد كل شيء منها بباب أو فصل..وإنما نثر ذلك كله نثرا وفرقه تفريقا..."[1].

ويصف واقع هذا الترتيب أنه لا يمكن من الفهم الدقيق والإدراك الصحيح لمعاني القرآن وأغراضه إلاّ إنّ وقف المفسر عن الموضوع ليستكمله في القرآن كله.[2]

فإذا كان الغرض الأوّل من التفسير عند الخولي أدبي محض صرف يسبق كل غرض, فإن النظرة الموضوعية للآيات تسبق كل نظرة للتفسير, ويتبع هذه النقطة بما يكملها وهو:

-الترتيب الزمني لظهور الآيات:ويقصد بها أنّ المفسر بعد أن يجمع آيات موضوع بعينه يجب أن يخطو الخطوة الثانية فيرتب هذه الآية حسب ترتيب نزولها[3]. ومما يقتضيه ترك القرآن للترتيب الموضوعي والزمني, يقول:" ..وذلك كله يقتضي في وضوح بأن يفسر القرآن موضوعا, موضوعا, وأن يجمع آيه الخاصة بالموضوع الواحد جمعا إحصائيا مستقصيا, ويعرف ترتيبها الزمني ومناسباتها وملابساتها الحافة بها ثم ينظر فيها بعد ذلك لتفسر وتفهم فيكون ذلك التفسير أهدى إلى المعنى وأوثق في تحديده[4].

إن النظرة الموضوعية الشاملة لكل موضوع من موضوعات القرآن الكريم, مع الاعتبارات الزمنية لنزول الآيات هي الطريقة النموذجية للفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل, وتعتبر المرحلتان السابقتان تمهيدا وتوطئة للمرحلة الثالثة إذ إنّ هذه الأخيرة هي جسد التفسير البياني وإن المرحلتين السابقتين هما القاعدة لهذا الجسد[5].

3-الخطة العامة للمنهج الأدبي: وهي صميم منهجه, والتي بناها على تلك الأسس التي قررها خطته العامة لهذا الاتجاه الأدبي, والتي تتمثل في صنفين من الدراسة , كما هي الخطة المثلى في درس النص الأدبي, والصنفان هما:- دراسة ما حول القرآن- ودراسة القرآن نفسه[6].

أ-دراسة ما حول القرآن: وقد قصد بدراسة ما حول القرآن أمرين: دراسة خاصة ودراسة عامّة, فيقول في أولاهما:

---

[1]- المصدر السابق, ص:367

[2] -انظر: المصدر نفسه: ص: 367

[3]- اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص: 887.

[4]- اتجاهات التجديد: مرجع سابق, ص:368.

[5]- اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص: 888.

[6]- دائرة المعارف: مصدر سابق, ص: 368-369.

والدراسة الخاصة: هي ما لا بد لمعرفته، مما حول كتاب جليل كهذا الكتاب:و هي الدراسات التي عرفت اصطلاحيا منذ حوالي القرن السادس الهجري باسم علوم القرآن[1], معتبرا أن مثل هذه الدراسات جد لازمة للمفسر ليستطيع فهم القرآن فهما أدبيا صحيحا.

بناءً عليه فالخولي يشترط على المفسر الأدبي أن عالما تاريخ القرآن وأسباب نزوله وجمعه وترتيبه وناسخه ومنسوخه، وغيرها من مباحث علوم القرآن.

الدراسة العامة: وفي هذه الدراسة يكون المفسر أقرب من عالم الجيولوجيا ومنقب الآثار, وكاتب التاريخ, حيث يرى الخولي أن من ضروريات فهم القرآن الكريم, معرفة الأحوال المادية والمعنوية المحيطة به والتي عاش فيها, فيقول:" وأما ما حول القرآن من دراسة عامة فهو ما يتصل بالبيئة المادية والمعنوية التي ظهر فيها القرآن وعاش.."[2].

فالدراسة العامة عند الخولي هي دراسة للبيئة التي نزل فيها القرآن من جميع جوانبها المادية والمعنوية, وكل ذلك مما لزم المفسر من معرفته والإحاطة به.

ب–دراسة القرآن نفسه: وهي خطة المفسر الموضوعي في دراسة النص القرآني نفسه, بعد اختياره للموضوع القرآني المراد درسه واستقصاء جميع آياته وترتيبها ترتيبا تاريخيا[3]. وتبدأ بالنظر في المفردات من الناحية اللغوية مع مراعاة تدرج معانيها, ثمّ التماس معناها في الاستعمال القرآني, وتنتهي بالنظر في المركبات, متخذا من العلوم الأدبية من نحو وبلاغة أداة للوصول لذلك.

–النظر في المفردات:وذلك بوضع ترتيب زمني لتدرج دلالات الألفاظ ليعرف معنى اللفظة الواحدة وقت نزول القرآن الكريم ومعناها بعد أن تداولتها أفواه مختلفة الألوان والدماء ليتم التمييز بين المعنى اللغوي والمعنى القرآني[4]. وعمل المفسر هنا: النظر في المادة اللغوية للفظ, وتمييز معناها اللغوي عن المعنى الاصطلاحي, ثمّ النظر في تدرج المعاني اللغوية لها فتقدم الأسبق الأقدم منها على السابق..[5].

–النظر في المركبات: بعد هذه الرحلة الشاقة ترسو سفينة المفسر البياني على آخر شواطئ هذا المنهج وهو النظر في المركبات, ويوضح الأستاذ أبعاد هذه الخطوة بقوله:" ثم بعد المفردات يكون

---

[1]– المصدر نفسه: ص: 369.

[2] – المصدر نفسه: ص: 369-370

[3]– دائرة المعارف: مصدر سابق, ص: 362.

[4]– اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص:894.

[5]– المصدر السابق: ص:371.

نظر المفسر الأدبي في المركبات وهو في ذلك ولا مرية مستعين بالعلوم الأدبية من نحو وبلاغة..إلخ ولكن لا على أن الصنعة النحوية عمل مقصود لذاته، ولا لون يلون التفسير كما كان الحال قديما بل على أنها أداة من أدوات بيان المعنى وتحديده, فالنظرة البلاغية هي النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل الجمال القولي في الأسلوب القرآني وتستبين معارف هذا الجمال وتستجلي قسماته[1].

بهذه الرؤية يضع أمين الخولي اللبنات الأخيرة للمنهج الأدبي ممهداً إلى القول بالإعجاز النفسي, لأنّ ما استقر من تقدير صلة البلاغة بعلم النفس قد مهد السبيل إلى ذلك، كما كشف عن وجه الحاجة إلى تفسير نفساني للقرآن يقوم على الإحاطة المستطاعة بما عرف العلم من أسرار حركات النفس البشرية في الميادين التي تناولتها دعاوة القرآن الدينية..[2].

وفي تصورنا الآن أنّ أمين الخولي إذا كان قد بدأ نظرته التفسيرية ليجدد منهج التفسير القرآني في مصر متخذا من إشارة القدماء إلى عدم نضج علم التفسير, أو احتراقه – هاديا ومرشدا, فلقد انتهى الأمر بالتفسير في نهاية نظريته إلى أن أصبح علماً لم يبدأ بعد, ولكن من الممكن له أن يبدأ بل أن ينمو وينضج إذا ما سار على ذلك الدرب الشاق بكل صعوباته ومسؤولياته التي كشفنا عن بعض منها[3]. هذا ما قاله محمد إبراهيم شريف في نهاية ما أورده من عرض ونقد للمنهج, ولم يكن إدراجي لهذا القول على سبيل النقد, إنّما كانطلاقة لتقصي أثر هذا المنهج بعد أمين الخولي, وإلى أين وصلت تطبيقاته؟. وأوّل تلامذة هذه المدرسة والداعين إليها: عائشة بنت عبد الرحمن.

المطلب الثالث: مرحلة التطبيق: وهي المرحلة التي حاول فيها تلامذة الخولي تطبيق منهجه التفسيري الأدبي, وأولها هذه المحاولات التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطئ:

- **ترجمة عائشة بنت عبد الرحمن:**

عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ, ولدت عام (1913م) بمحافظة دمياط, حفظت القرآن الكريم قبل أن تبلغ سن السادسة, تلقت علوم الإسلام والعربية على مناهج الأزهر الشريف على والدها وزملائه الشيوخ بالمعهد الديني الأزهري بدمياط وتقدمت من المنزل لامتحان كفاءة المعلمات سنة (1929م)ثم الشهادة العامة الابتدائية سنة (1931م) والكفاءة والثانوية سنة (1932م) والبكالوريا أدبي سنة (1934م) دون أن تلتحق بأية مدرسة لهذه المراحل.ثم

[1]– المصدر نفسه: ص: 371.

[2]– المصدر السابق: ص: 373.

[3] – اتجاهات التجديد: مرجع سابق, ص: 365.

تابعت الدراسة الجامعية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة حتى نالت: الليسانس الممتازة في اللغة العربية سنة (1939م). ثمّ الماجستير في الآداب سنة (1941م), ونالت الدكتوراه في الآداب سنة (1950م) وتدرجت في المناصب الجامعية من معيدة بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة سنة (1939م) إلى أن استقرت أستاذا للتفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرويين سنة (1970م).

مؤلفاتها:قدمت المؤلفة إلى المكتبة العربية نحو أربعين كتابا؛ منها في الدراسات القرآنية والإسلامية أشهره وأهمها (التفسير البياني للقرآني الكريم) في جزءين, ومنها في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية (لغتنا والحياة, تراثنا بين ماضٍ وحاضر, الخنساء.أبو العلاء المعري,...وغيرها)[1].

توفيت بنت الشاطئ رحمها الله تعالى في عام 1998 م.

- **تطبيقها للمنهج:**

يعد كتاب التفسير البياني للقرآني الكريم هو النموذج التطبيقي لما تلقته عائشة بنت عبد الرحمن من منهج أدبي عن زوجها وأستاذها أمين الخولي, حيث نظرت للقرآن ككتاب العربية الأكبر. وأخذت على أصحاب الدرس الأدبي انشغالهم عن القرآن الكريم بدراسة التراث الأدبي فتقول:".. وشغلنا نحن أصحاب الدرس الأدبي، أو شغلت الجمهرة منا، بالمعلقات والنقائض والمفضليات، ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات، ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، شغلنا بهذا ومثله عن القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر، ومعجزتها البيانية الخالدة..."[2].

لقد تبنّت بنت الشاطئ منهج أستاذها وروّجت له في كل دراساتها القرآنية وكتبها المتعلقة بالقرآن الكريم, وتحمست لهذا المنهج لترتفع بمحاولتها التطبيقية إلى أن تكون من خيرة الجهود الحديثة في التفسير[3], ونلاحظ من خلال مقدمة تفسيرها إتباعها لشيخها في أفكاره حذو القذوة بالقذوة حيث تؤكد على الغرض الأوّل من التفسير, قائلة:" ..فإني لأطمع كذلك في أن أؤكد بها ما سبق أن قرره أستاذنا، من أن الدراسة المنهجية لنص القرآن الكريم، يجب أن تتقدم كل دراسة أخرى فيه، لا لأنه كتاب العربية الأكبر فحسب، ولكن – لأن الذين يعنون بدراسة نواح أخرى فيه، والتماس مقاصد بعينها منه؛ لا يستطيعون أن يبلغوا من تلك المقاصد شيئاً دون أن يفقهوا

[1]- انظر:اتجاهات التفسير: ص: 924-925و, ملتقى أهل الحديث: http://www.ahlalhdeeth.com

[2]- التفسير البياني للقرآن الكريم: مرجع سابق, 1/ 13

[3]- اتجاهات التجديد: مرجع سابق: ص: 422

أسلوبه ويهتدوا إلى أسراره البيانية التي تعين على إدراك دلالاته.."[1].وتلخص لنا ضوابط المنهج كما شرحه أستاذها كالآتي:

1- الأصل في المنهج التناول الموضوعي: ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

2- في فهم ما حول النص: ترتيب الآيات فيه على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان, كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية.

3- في فهم دلالات الألفاظ: نقدر أن العربية هي لغة القرآن, فتلتمس الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطينا حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية, ثمّ نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما في القرآن من صيغ اللفظ وتدبر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن كله.

4- في فهم أسرار التعبير: نحتكم إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصا وروحاً, ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص, ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير من مدسوس الإسرائيليات, وشوائب الأهواء المذهبية وبدع التأويل[2].

وبعد تقرير المنهج تقدم بنت الشاطئ محاولتها بتفسير قصار السور والتي لاحظت فيها وحدة الموضوع, وقد جاءت هذه المحاولة في جزأين تحدثنا المسافة بينهما عن صعوبة هذا المنهج, ولهذا عدت تجربتها هذه محاولة لإتاحة المجال في الدرس الأدبي لما هو مثلها أو خير منها[3].

- **أنموذج من تفسيرها:**

من الجوانب البارزة في تفسيرها, استقرائها للمفردات حيث يعد أبرز نجاح لهذه المحاولة هو حلقة تتبع الاستعمال القرآني لصيغ الألفاظ دون توقف طويل أمام مرحلة الاستقصاء المعجمي واكتشاف الدلالات المعجمية المختلفة[4]. فتقول عند تفسيرها للفظ "الفجر" والتي تعرض لمدلولها اللغوي ثمّ استعمالها الحسي فاشتقاقات اللفظة, ثمّ تربط بين دلالاتها الحسية والمجازية, لتذهب إلى استعمالاتها في القرآن الكريم فتقول:" و(الفجر) ضوء الصباح أوّل ظهوره في سواد الليل، ومنه يطلق على وقت ظهور هذا الضوء.وتقتصر معاجمنا على صيغة (الفجر) في هذا الاستعمال، فلا

---

[1]- المرجع السابق: ص: 15/1.

[2]- التفسير البياني للقرآن الكريم: مرجع سابق, 1/ 1-11.

[3]- انظر: المرجع السابق, 15/1.

[4]- اتجاهات التجديد: المرجع السابق, ص: 425-426.

يقال أفجر فلان بمعنى دخل في الفجر، مثلما يقال أصبح وأضحى وأمسى المساء.ولعل الاستعمال الحسي الأول للمادة، في تفجر الماء من الأرض. وتتصرف العربية في هذا الاستعمال فيأتي منه: فجَر وفجَّر وتفجر، كما تأتي صيغ اشتقاقية أخرى كالمتفجر والمفجر والمنفجر، وقريب من استعماله في الماء، التفجر والانفجار في البراكين وشبهها.

ومن هذه الدلالة الحسية جاءت الاستعمالات المجازية فيما هو انبعاث واضح، فإذا كان في النور والخير والجود والمعروف فهو الفجر، وإذا كان في الشر والفاحشة فهو فُجر، وفي الفسق والمعصية فجور، وأيام الفجار أربعة كان فيها قتال في الأشهر الحرم بين قريش وقيس عيلان في الجاهلية. وانفجرت الدواهي أتت من كل وجه.

وفي القرآن الكريم: جاءت المادة في أربعة وعشرين موضعاً، منها عشر مرات أفعالاً، يغلب مجيء الفعل منها في تفجر الماء وتفجيره، وانفجاره على المطاوعة..[1].

وبعد إحصاء جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة واشتقاقاتها ترجح بين دلالاتها الحسية والمجازية, مخالفة أو موافقة لما جاء به المفسرون من معاني للفظ فتقول: من ثم لا نرى وجهاً لتفسير الفجر بأنه النهار كله كما في "الطبري" عن "ابن عباس" وإنما هو الفجر المعهود عند تبين الخيط الأبيض من سواد الليل، وقد رده "الراغب" إلى معنى الشق "كما في تفجير الأرض عيوناً وأنهاراً، ومنه قيل للصبح فجراً لكونه فاجر الليل، والفجور شق في ستر الديانة, ونؤثر أن نرده كذلك إلى دلالة الانبثاق والانبعاث، يكون حسياً بشق متعمد، كما يكون تلقائياً كالانفجار، ومعنوياً في الفجور والانبعاث المجازي[2].

يتبن من تحريرها للفظ (الفجر) مدى عنايتها بالدلالات اللفظية, ومحاولة تطبيقها لأصول المنهج رغم صعوبة تتبع ذلك. وإذا كانت قد تتبع اللفظة القرآنية فهي قد أخفقت في تطبيق المنهج الموضوعي مع اعتبارها أنه الأصل الذي يقول عليه المنهج[3], مما جعل البعض يدرج محاولتها في هذه الدراسة ضمن محاولات المنهج التقليدي في الاتجاه الأدبي[4], ويسجل الشرقاوي هذه المخالفة:" ولقد نلاحظ أن المؤلفة قد خالفت أستاذها فلم ترتبط بفكرة الموضوع التي طال دعوته

[1]- التفسير البياني للقرآني الكريم: مرجع سابق, 1/ 125

[2]- المرجع نفسه: ج1/ 125- 126.

[3] - انظر: ص:44.

[4]- اتجاهات التجديد: مرجع سابق, ص: 423.

إليها، ولو فعلت لكان أمامها فسحة من الدراسات المنتجة الخصبة ذلك أن التحديد الموضوعي يسعف على تنبُّه دقيق إلى الدلالات المستخدمة في الموضوع[1].

لم تكن محاولة عائشة بنت عبد الرحمن الوحيدة في تطبيق المنهج الأدبي, وفي اعتدادها الشديد بما قدمه أمين الخولي, فقد سجل لنا التاريخ العديد من المحاولات التفسيرية قام بها تلامذة الخولي وقد أشارت بنت الشاطئ إلى ذلك في مقدمة تفسيرها قائلة:" وقد طبق الزملاء هذا المنهج تطبيقا ناجحا في موضوعات قرآنية اختاروها لرسائل الماجستير والدكتوراه"[2]. مع تفاوتهم في تطبيق هذا المنهج, ليتركوا مجموعة من التساؤلات حوله؟.

ومن أبرز هذه الجهود أيضا محاولة محمد شكري عياد في كتابه " من وصف القرآن ليوم الدين والحساب", وهذا هو المنهج كما من مقدمة تفسيره.

- **التفسير البياني عند محمد شكري عياد:**

يقول محمد شكري عياد بعد عرض كلام أستاذه مقررا ما ذهب إليه: " تلك أصول المنهج الأدبي في التفسير, وما بي أن أطيل الاحتجاج لها, أو أفصل القول فيها, فلمن أراد شيئا من ذلك أن يرجع إلى بحث أستاذنا, إنما أقرر هذه المبادئ واعتمدها قبل أن أطبقها على ما أحاوله من دراسة الوصف القرآني ليوم الدين والحساب"[3]. ويقسم خطته إلى ثلاثة أبواب:

فأما **الباب الأول**: فدراسة معاني المفردات كما أوضحها أستاذنا.

أما **الباب الثاني**: فدراسة الأسلوب, أي طريقة التأليف بين المعاني المفردة لتأدية الأغراض.

أما **الباب الثالث**: فدراسة المرامي الإنسانية والاجتماعية من القرآن[4].

وفي هذا البحث يقصر المؤلف دراسته في وصف يوم الدين والحساب في القرآن على الناحية الأدبية فيحاول أولاً أن يجرّد الألفاظ من المحاولات التي بذلتها الفرق الإسلامية لفهمها فهما يوافق عقيدتهم ويدرس الأساليب على أنها طرق للتأليف بين المعاني المفردة لتأدية المعاني الكلية التي

---

[1]- اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 317.

[2]- التفسير البياني للقرآني الكريم: مرجع سابق , 1/ 18.

[3]- يوم الدين والحساب: شكري محمد عياد: دار الوحدة, ط: 1, 1980, ص: 9.

[4]- المصدر السابق: ص: 10.

يسميها المرامي ثم يدرس هذه المرامي دراسة أدبية أيضا فيتناولها من حيث كونها توضيحا لمشكلات إنسانية كبرى تعبت في حلها البشرية[1].

وقد أُخذ على المفسر رغم المجهود الكبير الذي قام به الإطالة في المقدمات اللغوية, والتي لا تكاد تنتهي إلى نتائجها المطلوبة المتمثلة في إبراز الإعجاز الأدبي الذي يؤثر لفظا بعينه في مقام بعينه يقول عفت الشرقاوي بعد أن ضرب مثلا بما توصل إليه المفسر في تتبعه لكلمتي القيامة والساعة: وما جدوى الجهد الطويل في التتبع اللغوي للأصل الحسي للفظ وتطور دلالته إذا انتهى بنا الأمر إلى تقرير الواقع الأدبي للنص لا إلى تفسيره[2].

- **أنموذج من تفسيره:**

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه في أسماء الساعة الواردة في القرآن الكريم حيث يقول: ووردت تسمية الساعة " الواقعة" (الواقعة/1 والحاقة/15) و" الحاقة" (الحاقة/1-3) و" القارعة" (الحاقة/4 والقارعة1-3) و" الصاخة" (عبس/33), و" الغاشية" (الغاشية/1). ويلاحظ أن هذه الأسماء جميعها هي من قبل الكنايات, وهي أوصاف عامة عرفت بالألف واللام إشارة إلى أن مفهومها لا يتحقق على وجه الكمال إلا في ذلك الموصوف.. وهي جميعا قد وردت في سور مكية, وأربع منها جاءت في أوائل هذه السور. فاستعمال هذه الأسماء يناسب ما في طبيعة اللغة العربية من التوسع في تسمية الشيء الواحد بأسماء متعددة, وأخذ الأسماء من الصفات كتسميتهم السيف بالحسام والمهند والمشرفي, وتسميتهم الأسد بالهراس والخطار والحطام والباسل والاصيد. وهذه الأسماء التي تحمل معاني الصفات هي من أشد الكلمات إثارة للوجدان والخيال معا[3].

فالمؤلف الذي أشاد طويلا بقيمة الجذر الحسي, وتطور الدلالة وغير ذلك, يعود فيسوي بين هذه الأسماء جميعا, فلا يعلل تميز أحد منها بدلالة خاصة في مجال خاص[4].

- **محاولة محمد أحمد خلف الله:**

[1]- اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 313.

[2]- المرجع نفسه: ص: 314-315.

[3]-يوم الدين والحساب: مرجع سابق, ص: 41.

[4]- اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 315.

ونخلص إلى محاولة أخرى نالت نصيبها من الشهرة لا لانتمائها للمدرسة الأدبية فحسب, بل لما توصلت إليه من نتائج باهرة نتيجة القراءة الأدبية للقرآن الكريم, و منهج هذه الدراسة الذي صدّره الكاتب في مقدمة كتابه المسمّى " الفن القصصي في القرآن الكريم" لم يخرج فيه عن الخطوط العريضة التي رسمها أستاذه بداية من الطريقة الموضوعية للدراسة والمتمثلة في جمع النصوص فيقول في ذلك:" إذا كانت معرفة نص ما تستلزم حتما وجوده كانت أولى الخطوات من غير شك، هي الوقوف على النصوص وجمعها.."[1]. ثمّ يتبعها بالترتيب التاريخي والذي له دلالتان عنده, وأولاها دلالة تطور ذوق الكاتب, ودلالة التطور العام لتاريخ الآداب والفنون.

وتأتي الخطوة الثالثة متمثلة في الفهم للنصوص ويقسمه إلى: فهم حرفي, وفهم أدبي, فالأول " هو الذي يقوم على دراسة معنى الألفاظ والتراكيب والجمل، كما يقوم على توضيح العلاقات الغامضة والإشارات التاريخية وكل تلك أمور تتوقف إلى حد كبير على ثقافة الدارس"[2].

وأما الفهم الأدبي" هو ذلك الفهم الذي يقوم على تحديد ما في النص من قيم عقلية وعاطفية وفنية، فنقف على ما في النص من صور وآراء ونبحث عما خلف هذه الصور وهذه الآراء.."[3]. وهو ما يراه جديدا بالنسبة لموضوعه.

هكذا رسم أصحاب المدرسة الأدبية مناهجهم مقتفين أثر أستاذهم فنلاحظ إتباعهم لما خطه مع اختلاف التعبير وأسلوب الطرح. بغض النظر عن الدراسة النظرية والنقائص التي اعترتها في تطبيق المنهج.

المطلب الرابع: ما بعد مرحلة التطبيق:

والمقصود بهذا العنوان: إلى أين وصل المنهج الأدبي في تفسير القرآن الذي خطه الأستاذ" أمين الخولي", وبعد محاولات تلاميذه له؟.

لا شك أنّ المدرسة الأدبية عموما قد نالت حظها من القبول بين أوساط الدارسين مهما كان تفاوت هممهم, ولا شك أيضا أن أصحاب الاتجاه الأدبي هم الذين جددوا في الناس الحس الفني

[1] – الفن القصصي في القرآن الكريم: محمد أحمد خلف الله, مكتبة الأنجلو المصرية, ط: 3, ص: 13

[2] – الفن القصصي في القرآن الكريم: مرجع سابق: ص: 14

[3] – المرجع نفسه: ص: 15

بإعجاز القرآن, وهو الحس الذي أعوز الناس بعد أن قاسوا فترة طويلة من الركود الأدبي والفكري[1]. إلاّ أنّ صعوبة المنهج الذي وضعه مؤسس هذه المدرسة في العصر الحديث أسفر عن تخلف النتائج عن المقدمات مما حال دون الاستمرار في تطبيق المنهج المرسوم, وهذا ما جعل هذا الاتجاه ينحى مناحٍ شتّى سداً للثغرات الموجودة فيه حيناً, وعدم القدرة على تطبيق قواعده الصارمة أحيانا, فبات لكل مفسر نظرة خاصة قد تلتقي مع الخطوط العريضة لهذا الاتجاه في نقاط وتختلف معه في أخرى مع مراعاة الإطار الأدبي العام.

لقد تعددت وجوه المدرسة الأدبية وانبثقت منها أفكار عديدة منها ما هو خاص بموضوع الدراسة مما أوحت به إليهم هذه المدرسة. أي ما أستقل بالدراسة من أسس المنهج البياني الذي دعت إليه هذه المدرسة .ومنها ما هو خاص بجانب الشكل, ونقصد بالأخير المناهج التفسيرية أو الطرق التفسيرية. وأعرض في هذا المطلب حوصلة ما آلت إليه بعض أدوات هذا المنهج, وذلك حسب قراءة ما أمكنني قراءته عن هذه المدرسة.

أولا: من حيث الشكل (المنهج الموضوعي): يظهر مما عُرض عن المنهج الأدبي أهمية التناول الموضوعي في دراستها والتركيز على ذلك واعتباره أهم أسس هذا الاتجاه الذي يميزها عن التفسير التقليدي, ومن الغريب أنّ أول المآخذ على هذه المدرسة أنها وهي تدعو إلى سبيل التفسير الموضوعي لم تقدم خطة مثالية لسلوكه وإنما اكتفت بإبراز محاسن التفسير الموضوعي دون أن تخطو إلى رسم خطوات السير فيه[2], نذكر ذلك مع حفظ حقها في كونها أوّل من دعا دعوة واضحة محددة في تاريخ التفسير إلى تفسير القرآن على أساس من الموضوعات[3]. ورغم ارتفاع دعوتها هذه فإنّنا لا نجد استجابة محققة لهذه الدعوة وتمثلا حقيقيا لشروط المنهج إلّا في القليل النادر, حيث أعرض عنها جل من ذكرنا حتى صاحب النظرية نفسه[4], هذا من حيث التطبيق.

أمّا إذا تفحصنا في أبعاد النظرية نفسها فإنّنا كثيرا ما نجد أنّ الطبيعة والتاريخ والاجتماع ومسائل من العقائد وما وراء الطبيعة كلها تتمازج فيما بينها أي أنّنا أمام نقاط معينة ذات رباط

[1]– اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 281.

[2]– اتجاهات التفسير: مرجع سابق, 3 /972.

[3]– اتجاهات التجديد: مرجع سابق: ص:358.

[4] – هذا ما سجله فهد الرومي من مآخذ عن كتاب أمين الخولي " من هدي القرآن".

واحد, ومن هنا لاقت فكرة الإطار العام أو الوحدة العضوية[1] للسورة أو الروح العام الساري في السورة برغم اختلاف موضوعاتها, رواجا شديدا بين من ينتمون إلى الاتجاه الأدبي من غير مدرسة الأمناء, كفكرة بديلة عن الفكرة الموضوعية[2]. أي أنّ الموضوع المختار للدراسة من المفسر الأدبي لا يمكن أن يستقل بذاته عن بقية الموضوعات الأخرى كما هو متصور, فكثيرا ما تتداخل عدة مواضيع مع بعضها البعض. بحيث لا يكتمل تفسير واحد منها إلا بالأخرى.

وأشهر من تكلم عن الوحدة العضوية عبد الله دراز[3] في كتابه "النبأ العظيم" التي كانت أول طبعاته عام (1957م), وأوّل من تكلم عنها من المتأخرين الرافعي[4] في " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"[5], وإن لم تنل إلا حظا قليلا من عنايته[6], أما أكثر الدارسين توسعا في دراسة الوحدة العضوية وأعمقهم نظراً سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن" وتفسيره "الظلال"[7].

[1]– أطلقت عليها عدة اصطلاحات منها: (الوحدة النسقية – الوحدة الموضوعية– الوحدة البنائية– مقاصد السور– المناسبة أو التناسب– نظام القرآن) وكل هذه التسميات تصب في معنى واحد وهو: اتفاق سور القرآن في مواضيعها ومحاورها. استفدت ذلك من بحث ل(بودفلة فتحي: أثر البيئة في فكر وتفسير سيد قطب. ملتقى أهل التفسير 2010م).

[2]– اتجاهات التجديد: مرجع سابق: ص: 519-371.

[3]- محمد بن عبد الله دراز: عالم، أديب ولد في قرية محلة دياي بمصر، وانتسب إلى معهد الإسكندرية الديني، وحصل على الشهادة الثانوية الأزهرية، وعلى شهادة العالمية، ثم تعلم اللغة الفرنسية، واختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، حصل على شهادة الدكتوراة من السوربون، ونال عضوية جماعة كبار العلماء، وكان عضوا في اللجنة العليا لسياسة التعليم، وفي مجلس الإذاعة وفي اللجنة الاستشارية الثقافية في الأزهر واشترك في المؤتمر العلمي الإسلامي بمدينة لاهور بالباكستان، وتوفي بها في 16 جمادى الآخرة 1377(انظر: معجم المؤلفين: 2013/10).

[4] - مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم ووفاته في طنطا (بمصر) 29 صفر 1356أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. (انظر الأعلام للزركلي: 235/7).

[5]– مما قاله في هذا الموضوع:" وبالجملة, فإن هذا الإعجاز في معاني القرآن أمر لا ريب فيه, وهو أبلغ في معناه الإلهي, إذا انتبهت إلى أن السورة لم تنزل على هذا الترتيب, فكان الأحرى أن لا تلتئم وأن لا يناسب بعضها بعضا, وأن تذهب آياتها في الخلاف كل مذهب, ولكنه روح من أمر الله تفرق معجزا فلما اجتمع اجتمع له إعجاز آخر".

[6] – التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي: أحمد أبو زيد, مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 1992, ص: 45 .

[7] – المرجع نفسه: ص: 46.

هذا وإن عدم تقديم منهجية مناسبة للتفسير الموضوعي فتحت المجال للتنظير لهذا اللون التفسيري فوضعوا له حدوداً[1], وكتبوا في نشأته, كما جعلوا له ألواناً ومناهج بحث لكل منها. وبعد تسطير هذا المنهج استقلت الدراسات الموضوعية بذاتها حيث سلكت طريقة منهج التفسير الموضوعي الذي بات متعارفا عليه, لاكتمال خطته ووضوحها. وهذه الدراسات كثيرة وبذلك تكون قد خرجت من عباءة المدرسة الخولية.

ومجمل القول أن إغفال "أمين الخولي" عن تقديم منهج لخطة البحث للاتجاه الأدبي وهي التفسير حسب الموضوعات, فتح المجال لتوسيع دائرة التنظير للمنهج الموضوعي, مما ساهم في كثرت الكتابات في التفسير الموضوعي. كما وساهم في ظهور ما يعرف بالوحدة العضوية كبديل للمنهج الموضوعي.

ثانيا: من حيث المضمون:

1/ المنهج البياني: هو المنهج الذي قامت به المدرسة الأدبية, حيث إذا أطلقت كلمة التفسير الأدبي, أو المدرسة الأدبية – في بداياتها- تبادر إلى الذهن المنهج البياني, إلى أن اتسعت دائرة النظرة الأدبية لتفسير القرآن الكريم.

ورغم انتشار المنهج البياني في العصر الحديث و كثرة الدراسات البيانية, إلاّ أنّه ومنذ أن وضع "أمين الخولي" نظريته الأدبية للقرآن الكريم سنة (1944م)- وهو تاريخ أول طبعة لكتابه "مناهج تجديد"- والذي عرض فيه خطته, منذ ذلك التاريخ قصرت همم الدارسين على تأليف تفسير بياني للقرآن كله حسب النظرة الخولية, مما يؤكد عبأ ما ذهب إليه وصعوبته, وأوسع الجهود البيانية المطبوعة – حسب اطلاعي البسيط- هو ما أنا بصدد دراسته والمتمثلة في جهود الدكتور فاضل السامرائي وأغلب المحاولات تقتصر على تفسير بياني لسورة, أو على بعض السور, ك"التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني" والذي صرّح كاتبه أنه كتب تفسيره بأسلوب تعليمي, فسلك فيه مسلكا بعيدا عن كل ما ذكرنا, فقسم بحثه إلى ثلاث مستويات: خص الأول منها بالمفردات, والثاني بالمعنى الإجمالي, والثالث بالمعنى التفصيلي[2]. ويكثر هذا النوع من التفسير البياني – أي دراسة سورة ما من القرآن دراسة بيانية- في الدراسات الجامعية.

---

[1]- ذكر له د/ مصطفى مسلم خمس تعريفات رجح منها هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع. انظر:(مباحث في التفسير الموضوعي: ص:16).

[2] – التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع شحادة القدومي, دار وضاح, الأردن, عمان, (المقدمة).

لذلك أعود لأردد مقولة محمد إبراهيم شريف أن التفسير وفقا لنظرية الخولي علماً لم يبدأ بعد.

2/منهج التذوق الأدبي:

لقد انضمت للمدرسة الأدبية أفكار جديدة نالت حظها من الشهرة كالاتجاه البياني, ولاقت ما لاقاه من النقد إلاّ أنّها أثبتت وجودها في عالم التفسير وبقوة, وأشهر هذه المناهج "منهج التذوق الأدبي" أو" النزعة الانطباعية في التفسير" المتمثل في "التصوير الفني للقرآن" وتفسير "في ظلال القرآن" كلاهما لسيد قطب, وإن عدّه بعضهم اتجاهاً قائماً بذاته إلاّ أنّه في الحقيقة لا يخرج عن الدراسة الأدبية لتفسير القرآن." فمنذ السطور الأولى يبرز سيد قطب خصائص التعبير القرآني الفنية التي تدرج الظلال من أقصى طريق من الاتجاه الأدبي"[1].

ومنهج التذوق الأدبي هو منهج الرجل الواحد, حيث لم يقم به غيره, وقد أطلق هذا المصطلح على المنهج الذي سلكه سيد قطب في كتبه التي ذكرنا, فما المقصود بالتذوق الأدبي وما هو ضابطه؟.

مفهوم التذوق الأدبي وضوابطه:

إن هذا المصطلح الذي بين أيدينا هو مصطلح أدبي محض خاص بالنقد الأدبي واستعير للنزعة الذاتية في التفسير ومن تعريفاته عند أهل الأدب:

-أنه سلوك يعبر به القارئ أو السامع عن فهمه للفكرة التي يرمي إليها النص الأدبي, وللخطة التي رسمها للتعبير عن هذه الفكرة ومشاركته في الحياة التي تجري فيه وتأثره بالصور البيانية التي يحتويها وإحساسه بالواقع الموسيقي لألفاظه وتراكيبه, وتفطنه غلى عباراته المبتكرة وقدرته على التميز بين جيده ورديئه.

-أو أنه نوع من السلوك ينشأ من فهم المعاني العميقة في النص والإحساس بجمال أسلوبه والقدرة بالحكم عليه بالجودة أو الرداءة[2].

ومادام القرآن الكريم منزه عن كل نقص أو نقد فقد أرادوا بالتذوق للقرآن الكريم: الحركة النفسية والانطباع الذاتي الذي لا يملك الإنسان له رداً ولا يستطيع له منعا، بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى[3].

---

[1] - اتجاهات التجديد: مرجع سابق, ص:410.

[2] - التذوق الأدبي: طبيعته- نظرياته- مقوماته- معاييره- قياسه: ماهر شعبان عبد الباري, دار الفكر, عمان, الأردن, ط: 3, 1432هـ/2011, ص: 85- 86.

[3] - اتجاهات التفسير: مرجع سابق, ص: 3/.984

وضابطه: الموازنة بين الذات والموضوع, فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وعلى جانب الجمال الاجتماعي فيه. وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح[1].

لذلك يرى عفت الشرقاوي أنّ التذوق الأدبي وحتى لا نعطي الذوق قيمة سحرية غامضة لابد أن يكون حكما موضوعيا يخضع لعلة مشروعة هي التحليل الفني للنص نفسه,وهو التحليل والذي لا يتحقق إلا بجانب من التذوق الخاص[2].

- **ترجمة موجزة لسيد قطب[3]:**

هو سيد بن قطب بن إبراهيم بن حسين شاذلي, ولد عام (1906م) في قرية موشا جنوب مدينة أسيوط, أختلف في أصله أهو مصري أم هندي؟ ورجح أبو حسن الندوي الثاني, كانت لنهضة الحياة التي عاصرها نتيجة الاحتلال أثر كبير في حياته فظهرت جهوده العلمية فور تخرجه من كلية دار العلوم, حيث عمل بالتدريس ست سنوات, ثمّ موظفا في وزارة المعارف (1940-1948م), أرسل بعدها إلى أمريكا في بعثة حكومية لدراسة نظم التربية فيها, وبعد عامين عاد لمصر وأقبل على الثقافة الإسلامية إقبالا منقطع النظير حتى وصلت ساعات المطالعة في اليوم عشر ساعات.

هذا ويعتبر سيد قطب صاحب مدرسة جديدة لها خصائصها المتميزة عن غيرها, مدرسة اتجهت نحو التصوير الفني...وقد كتب سيد قطب في موضوعات شتى اجتماعية, وتربوية, وأدبية, وسياسية, ودينية, وله مؤلفات عديدة في مجالات متعددة منها:- معركة الإسلام والرأسمالية, السلام العالمي والإسلام, نحو مجتمع إسلامي, الإسلام ومشكلات العصر...وغيرها, كما كتب عن نفسه ما يشبه السيرة الذاتية في كتاب " طفل القرية".سجن عدة مرات, أطولها سجنه الذي حكم عليه فيه, والذي دام من (1955م إلى 1964م) أفرج عليه بعد هذه المدة بعفو ولكنه

---

[1] - المرجع نفسه: 3/ 983.

[2] -اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 337.

[3] -كتبت في سيرته عشرات الكتب: (رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيّد قطب, ليوسف العظم- عبقري الإسلام سيّد قطب لسيد بشير أحمد كشميري- سيد قطب الأديب الناقد لعبد الله الخبّاص- سيّد قطب الشهيد الحي. وسيّد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لصلاح الخالدي- سيد قطب من القرية إلى المشنقة لعادل حموده...وغيرها كثير).

أعيد إلى السجن بعد بضعة أشهر بتهمة الإعداد لانقلاب مسلح, فبقي فيه عامين كاملين انتهت بإعدامه صبيحة يوم الاثنين الموافق ل 8/29/ 1966م[1]. فكان شهيد المفسرين بحق.

- **تفسيره وطريقته فيه:**

يعد تفسيره وصفا أدبيا متميزا للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو منهج لم يسبق إليه سيد من قبل، فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة إلى الله، ثم دراسة الإيقاع الصوتي والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب؛ منهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير[2].

أما طريقته في ذلك فخلاصتها هي:

-يأتي بظلال بين يدي السورة كالمقدمة لها يوضح فيها أهداف السورة ومقاصدها, ويربط بين أجزائها ومقاصدها, مبرزا وجه ارتباط الموضوعات في السورة لخدمة الهدف والمقصد الرئيسي في السورة.(الوحدة العضوية)

-تقسيم السورة إلى دروس أو مقاطع يجمع كل درس أو مقطع منها فكرة عامة أو موضوع محوري.. وتكون عدة المقاطع أو الدروس شوطا أو شطرا كاملا من أشواط السورة.

- مع الإعراض عن المباحث اللغوية والنحوية وذكر الخلافات الفقهية وتاركا الخوض فيما أبهمه القرآن مهملا للإسرائيليات[3].

وإذا احتكمنا إلى صاحب الظلال نفسه, فلا نجد في مقدمة تفسيره منهجا مرسوما, أو خطة مسطرة إلا أنّه يوحي إلينا بشرط وحيد, وهو العيش في ظلال هذا القرآن العجيب.

- **أنموذج من تفسيره:**

يقول في قوله تعالى:﴿ غم فج فح فخ فم قح قم كج كح ﴾ الفرقان: ٤٣ .هو تعبير عجيب يرسم نموذجا عميقا لحالة نفسية بارزة، حين تنفلت النفس من كل المعايير

[1] – منهج سيد قطب في ظلال القرآن: أسماء بنت عمر حسن فدعق: إشراف: عبد الباسط إبراهيم بلبول, جامعة أم القرى, كلية أصول الدين, 1416هـ, 1/69- 95.

[2] – دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ط:12, 1424هـ/2003م, ص: 166.

[3] – انظر: اتجاهات التفسير: ص: 167, واتجاهات التجديد: ص: 415/ 416.

الثابتة والمقاييس المعلومة، والموازين المضبوطة، وتخضع لهواها، وتحكم شهواتها وتتعبد ذاتها فلا تخضع لميزان، ولا تعترف بحد، ولا تقتنع بمنطق، متى اعترض هواها الطاغي الذي جعلت منه إلها يعبد ويطاع. والله- سبحانه- يخاطب عبده في رفق ومودة وإيناس في أمر هذا النموذج من الناس: ﴿ أَرَءَيْتَ؟ ﴾ ويرسم له هذه الصورة الناطقة المعبرة عن ذلك النموذج الذي لا جدوى من المنطق معه، ولا وزن للحجة، ولا قيمة للحقيقة ليطيب خاطره من مرارة الإخفاق في هدايته. فهو غير قابل للهدى، وغير صالح لأن يتوكل الرسول بأمره، ولا أن يحفل بشأنه: ﴿ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا؟ ﴾.

ثم يخطو خطوة أخرى في تحقير هؤلاء الذين يتعبدون هواهم، ويحكمون شهواتهم، ويتنكرون للحجة والحقيقة، تعبداً لذواتهم وهواها وشهواتها. يخطو خطوة أخرى فيسويهم بالأنعام التي لا تسمع ولا تعقل.ثم يخطو الخطوة الأخيرة فيدحرجهم من مكانة الأنعام إلى درك أسفل وأحط:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤].[1]

-كما يعتمد المنهج الموضوعي في التفسير نمثل ويظهر ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٥- ٢٦], يقول مستعرضا أهوال يوم القيامة:

وهذه الآية وكثير غيرها في القرآن يقرر أن أحداثا فلكية ضخمة ستتم في ذلك اليوم. وكلها تشير إلى اختلال كامل في النظام الذي يربط أجزاء هذا الكون المنظور وأفلاكه ونجومه وكواكبه. وإلى انقلاب في أوضاعه وأشكاله وارتباطاته، تكون به نهاية هذا العالم. وهو انقلاب لا يقتصر على الأرض، إنما يشمل النجوم والكواكب والأفلاك[2].

ثمّ نجده يجمع الآيات التي تتكلم على نهاية العالم لتكتمل صورة هذه الظاهرة الكونية, فيقول:" ولا بأس من استعراض مظاهر هذا الانقلاب كما جاءت في سور متعددة:

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ١ – ٦] .

[1] - في ظلال القرآن: سيد قطب, دار الشروق - بيروت- القاهرة, ط:17 ,1412هـ: 2566/5

[2] - الظلال: 5/ 2559.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ [الانفطار: 1-4]... ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١– ٥].﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾[الرحمن: ٣٧] .. ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنْبَثًّا ﴾ [الواقعة: ٣–٦],﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٣–١٦]﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ [المعارج: ٨ -٩] .﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزلة: ١– ٢] .

فهذه الآيات كلها تنبئ بأن نهاية عالمنا هذا ستكون نهاية مروعة[1].

إلى آخر ما جمع من آيات في نفس الموضوع لتكتمل صورة المشهد القرآني في النهاية المروعة التي ستحصل لعالمنا, وما أوردناه جزء من كل, حيث سار على هذا المنهج في تفسيره كله.

وآخر ما أسجله من ملاحظات عن هذين المنهجين: المنهج البياني ومنهج التذوق الأدبي, أنهما عانا من قصورٍ في التطبيق, وإن كان سبب هذا القصور في تطبيق المنهج البياني القيود الصارمة المفروضة عليه رغم المحاولات المذكورة آنفا فهي معلومة..أما منهج التذوق الأدبي فهو العكس فشرطه وقيده أن يعيش المفسر في ظلال القرآن بعقيدة سليمة وذهن صاف..فكان مطلبه عزيزا!! فالاعتماد على التذوق الفردي واستنطاق الوجدان بما يراه من صور متمثلة في كلام إلهي يبدو من اليسر بمكان...فظل هذا المنهج منهج الرجل الواحد.

3/ المعاجم اللغوية:

وقبل الخروج من هذه الدائرة العامة للتفسير الأدبي لا يفوتنا التنويه عن الجهود المعجمية والتي كانت هي أيضا نتيجة لتنبه أصحابها لدعوة الأستاذ أمين الخولي لضرورة شحذ الهمم لوضع معاجم تفي بأغراض المفسر الأدبي كون أن معاجمنا لا تسعف عليه ولا تعين, وهذا ما تتطلبه حياة القرآن كتاب العربية الأعظم[2].

[1] – المصدر نفسه: 5/ 2559-2560.

[2] – انظر: دائرة المعارف: ص: 371-372.

وأوّل الجهود في هذا الصدد هو ما قام به أمين الخولي حيث عالج تطبيقيًّا بعض الأحرف الهجائية على الطريقة التي أشار إليها في "معجم ألفاظ القرآن الكريم" وهو وإن لم يتمه إلا أنه مهد الطريق الوعر في هذا المقام لمن أراد أن يسلك سبيل المعجم التاريخي لألفاظ القرآن الكريم[1].

ومنها: قاموس الألفاظ القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم ومنهجه قريب من المؤلف السابق, حيث يذكر التفسير اللغوي ثم يبين ما يوافق وجوه استعماله في السياق القرآني, مشيرا إلى الأساليب البيانية والمعاني الخاصة, وإيضاح مدلول الألفاظ التي أتى بها القرآن بمعان جديدة لم تكن مألوفة قبل الإسلام وزاد على سابقه عرض تراجم مبسطة, وتعريفات موجزة لجميع الأعلام التاريخية والجغرافية التي جاءت في سياق الآيات القرآنية[2].

-ومن المعاجم المتأخرة أيضا المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته لأحمد مختار عمر, والذي شرح عمله فيه بقوله:" لهذا كانت منطلقاتنا في عرض المعلومة كلها لغوية، بحيث تغطي الجوانب المتعددة للفظ بما يشمل جذر الكلمة، أو حروفها الأصلية، وما يتفرع عن الجذر من صور قياسية أو غير قياسية، مجردة أو مزيدة تتدخل عادة لتحديد معاني الصيغ أو المعاني الصرفية للكلمات، والتي تتقاسم مع المعاني المعجمية المعنى العام للكلمة. ويندرج أيضًا تحت المعلومة اللغوية بيان المعنى المعجمي للكلمة في سياقها القرآني المعين، وتعداد معانيها حين تتعدد إما لاشتراك لفظها بين أكثر من معنى، أو لاختلاف الموقف أو السياق المعين الذي وردت فيه الكلمة. ولم نكتف بهذا وذاك فحرصنا كذلك على تحديد المجال الدلالي، أو الموضوع الذي يدخل تحته اللفظ المعين[3].

-ومن المعاجم الملفتة للنظر والذي أخذ فيه صاحبه منحاً آخر عما سبق ذكره, " المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم" لصبحي عبد الرؤوف عصر, حيث قسمه لمحاور ثلاث كل محور منها خاص بموضوع من مواضيع العقيدة, وهذه المواضيع هي:

1- أركان الإيمان والإسلام.

2- التقوى.

3- الكفر والفسوق والعصيان.

---

[1] - اتجاهات التفسير: مرجع سابق, 894/3.

[2] - اتجاهات التفسير في مصر: مرجع سابق, ص: 306- 307- 308.

[3] - المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: أحمد مختار عبد الحميد عمر, الرياض, ط:1, 2002م, ص: 11.

وجمع تحت كل عنوان من هذه العناوين ما يتعلق بها من آيات, فيقول:" وحاولت جهدي أن أجمع تحت هذه العناوين كل ما له اتصال بها, بطريقة جديدة مبتكرة تيسر على الباحث مهمته, وتعين الواعظ في إرشاده, وتسهل على طلاب العلم مهمتهم, وتوفر عليهم الجهد والوقت"[1].

وليس القصد من هذا المبحث ككل نقد منهج ما أو استيفاء الدراسة حوله, وإنما توضيح ما مس المدرسة الأدبية وأصولها المنهجية من اتساع للأفكار التي قامت بطرحها, ومحاولة رصد للحركة التفسيرية بعد مرحلة التطبيق ومجمل القول في هذا الفصل أن التفسير البياني مصطلح ينطوي تحته كل ما من شأنه أن يكشف عن جمالية النص القرآني وإعجازه لفظا وتركيباً, ويسمح بتذوق أسراره البلاغية, ونظرا لهذا المفهوم تعددت المناهج داخل الاتجاه البياني.

[1] – المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف عصر, دار الفضيلة, (المقدمة).

الفصل الثاني:

جهود فاضل السامرائي التفسيرية والتعريف بتفسيره ومنهجه.

المبحث الأول: الدراسات البيانية عند السامرائي.

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره "على طريق التفسير البياني".

المبحث الثالث: منهجه فيه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تعدّ مؤلفات فاضل السامرائي من أبرز الجهود التي مهدت للدراسات البيانية في العصر الحديث والتي كانت حصيلة رحلته العلمية منذ بداية الستينيات كعالم من علماء اللغة والبلاغة القرآنية مستفتحا هذه الرحلة المباركة بكتاب (التعبير القرآني) ومنتهيا بتفسيره البياني المسمّى (على طريق التفسير البياني), مرورا ب (لمسات بيانية من نصوص التنزيل), (بلاغة الكلمة في القرآن الكريم) و (من أسرار التعبير القرآني). وهذا أهم ما سطره في هذه المؤلفات.

المبحث الأول: الدراسات البيانية عند السامرائي:

تتجلى هذه الدراسات عمّ سبق ذكره مما كتب في هذا الحقل التفسيري, أنّها مجال تنظيري تظهر فيه جمالية القرآن الكريم وخصائصه الفنية مع التدبر لمكامن أسراره والتعبير عنها بأسلوب بعيد عن التعقيد وشطط التأويل. ومن أول هذه الدراسات كتاب التعبير القرآني:

المطلب الأول: كتاب التعبير القرآني:

هو الكتاب الأوّل ضمن سلسلة الدراسات البيانية في الأسلوب القرآني التي قام بها السامرائي وقد استهل كتابه بمقدمة بيّن فيها الدافع لتأليفه, وهو القول بالإعجاز القرآني الذي كان يعتقد أنّ في القول به شيء من المبالغة, حيث يقول:" فقد كنت أسمع من يقول إنّ القرآن معجز, وإنّه أعلى كلام وإنّه لا يمكن مجاراته أو مداناته وأن الخلق أجمعين لو اجتمعوا على أن يقولوا مثله ما استطاعوا..وكنت أرى في هذا غلوا ومبالغة دفع القائلين به حماسهم الديني, وتعصبهم للعقيدة التي يحملونها"[1].

وبعد القراءة المستفيضة لكتب اللغة والتفسير والإعجاز والبلاغة, يقرر السامرائي دراسة النص القرآني بنفسه, ليكتشف حقيقة التعبير القرآني, فيقول:" ثمّ قررت أن أدرس النص القرآني بنفسي فبدأت أجري موازنات بين الكثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير والتقديم والتأخير, والذكر والحذف..."[2]. ليتوصل أن التعبير القرآني تعبير فني مقصود حُسِبَ لكل كلمة حسابها, بل لكل حرفٍ, بل لكل حركة.

[1]- التعبير القرآني: فاضل السامرائي, دار عمار-عمان- ط:4, 1427هـ/2006م, (المقدمة).

[2]- المصدر نفسه: (المقدمة).

1–هدفه من الكتاب: يرسم الدكتور الهدف من هذه الدراسة, وهو وصول القارئ إل اليقين الذي وصل إليه – وهو القول بإعجاز القرآن– وذلك —حسب رأيه– سيكون حتما إذا ما خلع عنه —أي القارئ– جلباب العصبية, ونظر بروح علمية مجرّدة[1].

2–تقسيمات الكتاب: قسم المؤلف كتابه من حيث المضمون إلى جزأين: جزء نظري, وجزء تطبيقي, تناول في الأول منه المواضيع الآتية: (التعبير القرآني– البنية في التعبير القرآني – التقديم والتأخير– الذكر والحذف– التشابه والاختلاف– فواصل الآي–السمة التعبيرية للسياق– الحشد الفني– الحشد الفني في القصص القرآني الذي مثل له بعقد المقابلات بين بعض القصص تمثلت في: قصة سيّدنا آدم عليه السلام: (قصة آدم في سورتي البقرة والأعراف — قصة آدم في سورتي الأعراف و(ص)– قصة آدم في الحجر و(ص)), وقصة سيدنا موسى عليه السلام: (في البقرة والأعراف– وفي الأعراف والشعراء).)

– أما الجزء التطبيقي: فخصصه لتفسير سورة التين.وفيما يأتي عرض لجهود الدكتور السامرائي في هذا الكتاب.

3–طريقته وأسلوبه في الكتاب:

–الموضوع الأول: رأيه في التعبير القرآني:

وهو عنوان واسع تندرج تحته مباحث الكتاب جميعها, حيث يقوم السامرائي بوصف جملة من خصائص النص القرآني وتركيبه, ممثلا لذلك بمواضيع عدة ليوضح حقيقة أن" التعبير القرآني تعبير فني مقصود, كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا مقصودا, ولم تراع في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها, بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله[2].وذلك لما تميز به من خصائص وما انطوى عليه من ترابط وانسجام, وقد ذكر جملة منها:

خصائص التعبير القرآني:

أ–**الأحرف الشائعة في السورة:** وتختص بالسور المبتدئة بالحروف المقطعة, حيث يقول:" لقد انتبه

[1] – التعبير القرآني: مرجع سابق: (المقدمة).

[2] – المرجع نفسه: ص: 10.

القدماء إلى أنّ السورة التي بدأت بالحروف المفردة بنيت على ذلك الحرف ..واستندوا في ذلك على الإحصاء, جاء في ملاك التأويل عن سبب بدء سورة لقمان ب(ألم) وسورة يونس ب (ألر):" أنّه تكرر في سورة يونس من الكلام الواقع فيها الراء مائتا كلمة وعشرون كلمة أو نحوها, وأقرب السور إليها مما يليها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة, سورة النحل وهي أطول منها, والوارد فيها مما تركب على الراء من كلمها مائتا كلمة مع زيادتها في الطول عليها"[1].

وبعد عرض جملة من الإحصاء الرياضي لألفاظ القرآن مما كشف عنه علماؤنا والتي تدل على دقة التعبير وروعته يقول:" لقد تبيّن أنّه لم توضع الألفاظ عبثا ولا من غير حساب بل هي موضوعة وضعا دقيقا بحساب دقيق دقيق".

ب–خصوصيات استعمال القرآن الكريم للألفاظ: اختص القرآن الكريم كثيراً من الألفاظ باستعمالات خاصة مما يدل على القصد الواضح في التعبير فمن ذلك:

– استعمل (الرياح) حيث وردت في القرآن في الخير والرحمة, واستعمل الريح في الشر والعقوبات[2]. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾[الأعراف:٥٧].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾[الروم: ٤٦], في حين قَالَ: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾[آل عمران:117].وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[الأحقاف: ٢٤]. وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾[الحاقة: ٦], وغير ذلك وغيره.

ولم يستعمل الريح إلا في موطن واحد أعقبها بالشر وهو قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ ﴾[يونس: ٢٢], وهي خاتمة غير حميدة[3].
قال صاحب التسهيل:" قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر، وقد اضطرد في القرآن جمعها إذا كانت

[1]– ملاك التأويل: أحمد بن إبراهيم الغرناطي, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, 240/1.
[2]– التعبير القرآني: مرجع سابق: 14.
[3]– المرجع نفسه: ص:14.

للرحمة، وإفرادها إذا كانت للعذاب"[1].

ومن ذلك ما اختص به القرآن في استعمال العيون والأعين, فلم يستعمل العيون إلا لعيون الماء في حين جمع العين الباصرة على أعين, واستعمال (وصّى) بالتشديد في الدين والأمور المعنوية و (أوصى) في الأمور المادية.وخصوصيات الاستعمال القرآني كثيرة لا يمكن إحصاؤها في هذا الموضع[2].

ج–الوحدة الفنية المتكاملة: وهي من خصائص التعبير القرآني, ويعبر عنها محمد دراز بقوله: "تمام التقريب بين أجزاء البيان والتأليف بين عناصره؛ حتى تتماسك وتتعانق أشد التماسك والتعانق"[3].

ويذهب السامرائي إلى أن أي تعبير في القرآن وحدة فنية حيث إذا نظرت إلى أي ضرب من ضروب التعبير فيه وجدته وحدة فنية متكاملة, ليس فيها نبوٌ ولا اختلاف, فإذا نظرت إلى التوكيد مثلا وجدته على تباعد مواطنه وتفرقها في القرآن وحدة فنية متكاملة متناسبا في كل موضع مع السياق الذي ورد فيه, منسقا معه ومنسقا مع كل المواطن التي ورد فيها التوكيد[4].

ويتابع قوله في هذا الصدد شارحا: فالقرآن قد يؤكد ب (إنّ) وحدها مثلا, وقد يؤكد ب (اللام) أو يجمع بينهما. ولو أمعنت النظر لوجدت أن كل موضع يقتضي التعبير الذي عبر به, فلا يصح أن تزاد اللام في الموضع المنزوع منه, ولا تحذف في موطن الذكر أينما وردت في القرآن, وكذلك أن ونحوها, فهو يقول مثلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[المائدة: ٢], مؤكدا ب(إنّ) وحدها في مواطن عديدة من القرآن, ويقول:﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[الرعد:٦], مؤكدا بإنّ واللام, ويقول: ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[آل عمران: ١] بلا توكيد, ويحذف ويؤكد في تعبيرات أخرى تبلغ المئات

---

[1]– التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي, ت: الدكتور عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت, ط: 1 – 1416 هـ, 1/ 291.

[2]– انظر : التعبير القرآني: ص: 16.

[3] – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: محمد بن عبد الله دراز دار القلم للنشر والتوزيع, 1426هـ– 2005م, ص:176.

[4]– التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 16.

وهو يراعي في كل ذلك الدقة في التعبير ووضع كل لفظ في مكانه حسبما يقتضيه السياق...وقل مثل ذلك عن الاستفهام, وعن التقديم والتأخير وغيرها[1].

الموضوع الثاني: البنية في التعبير القرآني:

يعرض السامرائي في هذا المبحث لاستعمالات القرآن لبنية الكلمة, وسبب اختيار صيغة عن أخرى, معللا ذلك بعدة تعليلات موضحة في الأمثلة المقررة:

– **استعمال الفعل والاسم**[2]: يستعمل القرآن الكريم صيغة الاسم في موضع, وفي موضع شبيه به يعدل إلى صيغة الفعل وفي كل ذلك "يستعمل القرآن الفعل والاسم استعمالا فنيا في غاية الدقة"[3]. نظرا لدلالة كل منهما "فإن الاسم يفيد الثبوت, والفعل يفيد التجدد والحدوث"[4][5], وذلك في نحو قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾[الأنعام: 95]. فاستعمل الفعل مع الحي فقال (يخرج), واستعمل الاسم مع الميت فقال: (مخرج) وذلك لأنّ أبرز صفات الحي الحركة والتجدد فجاء معه بالصيغة الفعلية الدالة على الحركة والتجدد, ولأنّ الميت في حالة همود وسكون وثبات جاء معه بالصيغة الاسمية الدالة على الثبات فقال:(ومخرج الميت من الحي).

ثمّ يجري مقارنة بين التعبيرات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد, واختلفت فيها بنية الكلمة, ويقارن بين الموضع السابق في الأنعام وشبيهه في آل عمران فيقول: وقد تقول: ولماذا قال في

---

[1]– المرجع السابق: ص: 17-18.

[2]– التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 22.

[3]– المرجع نفسه: ص: 22.

[4]– معاني الأبنية في العربية: فاضل صالح السامرائي: دار عمار– عمان– ط: 2, 1428هـ / 2007م, ص:9

[5]–جاء في البرهان:" هذا الذي ذكرناه من دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد والحدوث هو المشهور عند البيانيين وأنكر أبو المطرف بن عميرة في كتاب التمويهات على كتاب التبيان لابن الزملكاني قال هذا الرأي غريب ولا مستند له نعلمه..ثم قوله الاسم يثبت المعنى للشيء عجيب وأكثر الأسماء دلالتها على معانيها فقط ..ثم كيف يفعل بقوله تعالى "ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون", وقوله في هذه السورة بعينها "إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون", وقال ابن المنير طريقة العرب تدبيج الكلام وتلوينه ومجيء الفعلية تارة والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكروه...وقد جاء التأكيد في كلام المنافقين فقال {إنما نحن مصلحون}.فإن الاسم إنما يدل على معناه فقط أما كونه يثبت المعنى للشيء فلا (انظر البرهان للزركشي: 72/4, والبرهان للسيوطي:378/2).

سورة آل عمران:﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾[آل عمران:٢٧] بالصيغة الدالة على التجدد في الموطنين؟, ويجيب عن ذلك: إنّ السياق في (آل عمران) يختلف عنه في (الأنعام), وذلك أن السياق في آل عمران هو في التغيير والحدوث والتجدد عموما, فالله سبحانه يؤتي ملكه من يشاء أو ينزعه منه, ويعز من يشاء أو يذله, ويغير الليل والنهار, ويخرج الحي من الميت, ويخرج الميت من الحي وغير ذلك من الأحداث, فالسياق كله حركة وتغيير وتبديل, فجاء بالصيغة الفعلية الدالة على ذلك قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[آل عمران:26-27] في حين أن السياق في سورة الأنعام مختلف, وليس السياق في التغييرات وإنما هو في صفات الله تعالى وقدرته وتفضله على خلقه, قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾[الأنعام: ٩٥][1]. ولا يكتفي المفسر بعرض الأمثلة, واستخراج المتشابهات, بل كثيرا ما يعلل سبب ورود هذه الصيغة أو تلك, فمن ذلك قوله تعالى:﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾[الأعراف: ١٩٣] , فرق بين طرفي التسوية فقال:(أدعوتموهم) بالفعل ثمّ قال (أم أنتم صامتون) بالاسم, ولم يسوّ بينهما فلم يقل:"أدعوتموهم أم صمتم" بالفعلية, أو: أأنتم داعوهم أو صامتون, وذلك أن الحالة الثابتة للإنسان هي الصمت, وإنما يتكلم لسبب يعرض له[2].

ويقول نقلا عن الزمخشري جاء في الكشاف في هذه الآية:" إن قيل: هلا قيل: أم صمتم؟ ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم..فكانت حالتهم أن يكونوا صامتين عن دعوتهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءكم و

[1]- التعبير القرآني: ص: 23.

[2]- المرجع نفسه: ص: 24.

بين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم"[1].

–وقد يكون الاستعمال القرآني للصيغة لمقصد فني يثري المعنى, ويحقق أكثر من غرض بلاغي نحو قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾[غافر: ٦١] فاستعمل مع (الليل) الفعل "لتسكنوا فيه", ومع النهار الاسم "مبصرا", ولم يسوّ بينهما فلم يقل: "ساكنا ومبصرا" ولا "تسكنوا فيه وتبصروا فيه" مع أن الاستعمال الحقيقي هو "لتبصروا فيه", وذلك أنه جمع الحقيقة والمجاز في تعبير واحد ولو جعلها بصورة تعبيرية واحدة لفاتت هذه المزية الفنية, فإنّه ذكر نعمة الله علينا في الليل فقال:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾[يونس: ٦٧], ولو قال:" هو الذي جعل لكم الليل ساكنا" لم يكن فيه دلالة نعمة على الخلق من ناحية, ولكانت (لكم) هنا زائدة ليس لها فائدة, فهو جاء ب (لكم) وبالصيغة الفعلية للدلالة على قصد النعمة والتفضيل علينا.

وعلاوة على ذلك فإنّه لو قال (ساكنا) لم يكن التعبير مجازيا لأنّ الليل يصحّ أن يوصف بالسكون فيقال: ليل ساكن, وليل ساج..ولما تقررت دلالة النعمة في صدر الآية كان العدول على التعبير المجازي بعد ذلك كسبا فنيا. فعدل من الفعل إلى الاسم, ومن الحقيقة إلى المجاز العقلي فقال:" النهار مبصرا" وذلك أن النهار لا يبصر بل يبصر من فيه, فجمع بين التعبير الحقيقي والمجازي, ودلّ على المقصد الأول من الآية وهو الدلالة على النعمة بأقرب طريق, فكسب المعنى والفن معا[2].

ثمّ يتحدث فاضل السامرائي عن استعمالات القرآن للأبنية الأخرى, فهو يستعملها استعمالا فنيا عجيبا ويضعها وضعا معجزا, فمن ذلك:

–أنه يأتي بالفعل ولا يأتي بصدره: بل يأتي بمصدر فعل آخر يلاقيه في الاشتقاق فيجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق, نحو قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴾[المزمل:8] فإنّه جاء بالفعل (تبتل), غير أنه لم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر فعل آخر هو (بتّل) وذلك أن مصدر تبتل هو (التبتل) وأن مصدر تفعّل يكون على (التفعّل) كتعلم تعلم وتقدم تقدم.

[1]–الكشاف : مصدر سابق, 592/1.

[2]– التعبير القرآني: ص: 26–27.

وأمّا (التبتيل) فهو مصدر (بتّل)لا (تبتل) فإن التفعيل هو مصدر (فعّل) ..وكان متوقعا أن يقول: " وتبتل إليه تبتلا" غير أنّه لم يقل ذلك[1], ويعلل سبب هذا الجمع بقوله: أنّه أراد أن يجمع بين معنيي التبتل والتبتيل, وذلك أن تبتل على وزن تفعّل و(تفعّل): يفيد التدرج والتكلف مثل: تجسس وتحسس وتبصر وتدرج وتمشى وغيرها...ألا ترى أن في تبصّر من التدرج وإعادة النظر والتكلف ما ليس في (بصر) .

وأمّا (فعّل) فيفيد التكثير والمبالغة ..فالله سبحانه جاء بالفعل لمعنى التدرج ثمّ جاء بالمصدر لمعنى آخر هو التكثير, وجمع المعنيين في عبارة واحدة موجزة..ووضعهما وضعا فنيا فكسب المعنيين في آن واحد. وهذا باب شريف جليل[2].

–ويقارن في موضع آخر بين صيغة (بريء) في الأنعام و(براء) في الزخرف, وسبب ورود اللفظين بصيغتين مختلفتين مع أن البراءة واحدة, فيقول: ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام:﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[الأنعام: ٧٨], وقوله في مكان آخر على لسانه أيضا:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾[الزخرف: ٢٦].

فانظر كيف عدل من بريء إلى براء من الصيغة المشبهة إلى المصدر[3]. ويوحي المفسر للقارئ بأنّ الفرق واضح يمكن استنباطه بنفسه, وهذا من أسلوبه في تقريب المعنى القرآني من القارئ وشد انتباهه له دون تكلف, ويواصل قوله: وأنت ترى الفرق بين المقامين فإنّ إبراهيم عليه السلام في آية الأنعام في مقام الحيرة والبحث عن الحقيقة لا يعرف ربه على وجه التحقيق, فقد ظنّ أن الكوكب ربّه ثمّ القمر ثمّ الشمس ثمّ أعلن البراءة من ذلك[4].

---

[1] – التعبير القرآني: ص: 34.

[2] –المرجع نفسه: ص: 35.

[3] – المرجع نفسه: ص: 38.

[4] – وهذا التعليل غير مسلم, يقول ابن كثير في تفسيره: وَقَدِ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، هَلْ هُوَ مَقَامُ نَظَرٍ أَوْ مُنَاظَرَةٍ؟..وَالْحَقُّ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ فِي هَذَا الْمَقَامِ مُنَاظِرًا لِقَوْمِهِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ بُطْلَانَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْهَيَاكِلِ وَالْأَصْنَامِ (292/291/3), ويقول الشيخ الشعراوي: وكان يجب أن تؤخذ هذه المسألة من باب قصير جداً؛ لأن الذي قال: إن إبراهيم قال: هذا ربي، هو الذي قال في إبراهيم: {وَإِذِ ابتلى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} [البقرة: 124]

أما في الآية الثانية فهو في مقام التبليغ, فقد أصبح نبيّنا مرسلاً من ربّه أعلن حربه على الشرك وأعلن البراءة مما يعبد قومه, فهناك فرق بين المقامين والبراءتين وذلك أن (براء) أقوى من (بريء) فإنها براءة بصيغة المصدر الذي هو الحدث المجرد فإن قولك: هو رجل عدل أبلغ من قولك: هو رجل عادل, وذلك أنه أصبح هو العدل, أي لكثرة ممارسته للعدل صار هو العدل نفسه.[1]

الموضوع الثالث: التقديم والتأخير:

التقديم بعامة سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة من الوفاء بالمعاني ومطابقتها لمقتضى الحال, سواء أكان هذا الحال ملاحظ فيه جانب المخاطبين أو جانب المخاطب[2], وهو قسمان:

الأول: تقديم اللفظ على عامله نحو: (خالدا أعطيت) و(بمحمد اقتديت).

والثاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل وذلك نحو قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾[البقرة:١٧٣], وقوله:﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾[المائدة: ٣].

وهو ما عبر عليه الإمام الجرجاني بقوله: واعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

– تقديم يقالُ إنه على نيَّةِ التأخير وذلك في كل شيءٍ أقرَرْتَه معَ التقديمِ على حُكمهِ الذي كان عليه وفي جنسهِ الذي كانَ فيه كخبرِ المبتدأ إذا قَدَّمْتَه على المبتدأ والمفعولِ إذا قدمتَه على الفاعل كقولك : منطلقٌ زيدٌ وضربَ عمراً زيدٌ . معلومٌ أن " منطلق " " وعمراً " لم يَخرجا بالتقديم عمَّا كانا

إذن فقوله {هذا رَبِّي} لا تخدش في وفائه الإيماني، ولا بد أن لها وجهاً. ونعلم أن القوم كانوا يعبدون الكواكب، ويريد إبراهيم أن يلفتهم إلى فساد هذه العقيدة..وإبراهيم استخدم ما يسمي في الجدل ب «مجاراة الخصم» ؛ ليستميل آذانهم ويأخذ قلوبهم معه، وليعلموا أنه غير متحامل عليهم من أول الأمر، فيأخذ بأيديهم معه.(3750/3749/6). وذكر الإمام الرازي اثنا عشر حجة لبطلان هذا القول, انظر: مفاتيح الغيب(40/39/38/13), البحر المحيط(564/4) والكشاف(40/2) وغيرها. ولو قال الدكتور: أن إبراهيم عليه السلام لم يشأ أن يأت بصيغة المصدر القاطعة ببراءته لأنه في حالة استدلال لهم أن هذه الأجرام لا يمكن أن تكون آلهة, فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه كما قال الزمخشري, وهي الصيغة المناسبة لأسلوب اللين والروية التي بدأ به مجادلة قومه, وهذا أسلم له.

[1]– فاضل السامرائي: التعبير القرآني: ص: 38.

[2]– خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم إبراهيم المطعني: مكتبة وهبة, ط: 1, 1413هـ/ 1992م, 79/2

عليه من كونِ هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك وكونِ ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله .

– وتقديم لا على نيَّةِ التأخيرِ ولكنْ على أن تنقلَ الشيءَ عن حُكمٍ إلى حكمٍ وتجعلَ له باباً غيرَ بابهِ وإعراباً غيرَ إعرابهِ وذلك أن تجيءَ إلى اسمينِ يحتملُ كلُّ واحدٍ منهما أن يكونَ مبتدأً ويكونُ الآخرُ خبراً له فتقدمُ تارةً هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا[1] .

أغراض التقديم والتأخير: للتقديم والتأخير عدة أغراض عرضها المؤلف في هذا الباب فيقول في الغرض من النوع الأول: وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص.. ومثله في القرآن كثير, فمن ذلك قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: ٥], فقد قدّم المفعول به (إيّاك) على فعل العبادة وعلى أحد غيره ولا يستعان به..ولم يقدم مفعول الهداية على فعله فلم يقل (إيّانا اهد) وذلك لأنّ طلب فعل الاستعانة دون فعل الهداية, وسبب ذلك أنّ العبادة والاستعانة مختصتان بالله تعالى فلا يعبد الهداية لا يصح فيه الاختصاص[2] .

وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك, إلاّ أنّ الأكثر فيه أن يفيد الاختصاص, ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص قوله تعالى:﴿**وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ** ﴾[الأنعام: ٨٤] [3]. ويتبيّن من ذلك أن أغراض تقديم العامل على عامله كثيرة إلا أنّ الاختصاص أبرزها.

ويذكر النوع الثاني منها والأسباب الداعية إلى هذا التقديم, نافيا حصره في العناية والاهتمام كما يذهب إلى ذلك أغلب المفسرين وأنّه لو أردنا أن نبيّن أسباب هذا التقديم فإنّه لا يصح الاكتفاء بالقول إنّه قدّم هذه الكلمة هنا للعناية بها, والاهتمام دون تبيين موطن هذه العناية وسبب هذا التقديم[4] .

وفي ذلك يقول الجرجاني:" وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدّم للعناية ولأنّه ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية وبم كان أهم ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر

[1] – أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز, دار الكتاب العربي–بيروت– تحقيق: محمد التنجي ط: 1995م, ص:96.

[2] – التعبير القرآني: ص:49.

[3] –المرجع نفسه: ص:50.

[4] - المرجع نفسه : 51-52

التقديم والتأخير في نفوسهم وهوّنوا الخطب فيه."[1]

ونقل ابن القيم عن السهيلي قوله:"...فيقال متى يكون أحد الشيئين أحق بالتقدم ويكون المتكلم ببيانه أعنى قال والجواب أن هذا الأصل يجب الاعتناء به لعظم منفعته في كتاب الله وحديث رسوله إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر[2]"[3], والاكتفاء بالتعليل بالاهتمام يضيع معرفة التمايز بين الأساليب فلا تعرف الأسلوب العالي الرفيع من الأسلوب المهلهل السخيف[4].

ومن ثمّة فأغراض التقديم والتأخير في القرآن الكريم كثيرة فقد يقدم الألفاظ حسب القدم والأولية في الوجود, وقد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف, وقد يكون بحسب الرتبة, كما قد يكون التقديم لملاحظ أخرى تتناسب مع السياق[5], جاء في بدائع الفوائد:" تتقدم المعاني بأحد خمسة أشياء إما بالزمان وإما بالطبع وإما بالرتبة وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال"[6], وفي كل ذلك لا يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظ ونظر إليها نظرة شاملة في القرآن الكريم كله[7].

الموضوع الرابع: الذكر والحذف:

الحذف فن عظيم من فنون القول, ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعنى[8], وهو من مباحث الجملة التي عنى بها علماء البلاغة..فكل كلمة يمكن أن يفهم المعنى بدونها لوجود قرائن تدل على الحذف

---

[1]- دلائل الإعجاز: مصدر سابق, ص:98.

[2] -هذا الكلام ذكره ابن القيم في بدائعه للسهيلي ردا عن قول سيبويه أن العرب يقدمون في كلامهم ما هم به أهم وهم ببيانه أعنى.

[3]- بدائع الفوائد: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج, مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة, ط:1, 1416 -1996, 1/ 64.

[4]- التعبير القرآني: ص: 52.

[5]- المرجع السابق : 53-73.

[6]- بدائع الفوائد: مصدر سابق, 65/1.

[7]- التعبير القرآني: ص:53.

[8]- خصائص التعبير القرآني: مرجع سابق, 5/2.

حريٌ بها أن تحذف[1].

وقد ذكر السامرائي نوعين من الحذف حيث قال: ويدخل في هذا الموضوع ما حذف وأصله أن يذكر, كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر.كما يدخل فيه ما ذكر في موطن ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به لأن الموطن اقتضاه, والنوع الأول ما أطلق عليه الإمام السيوطي ب"الاختزال", حيث قسم هذا الأخير الحذف إلى أربعة أنواع: اقتطاع, واكتفاء, واحتباك واختزال[2].

واختزال[2].

القسم الأول: وعرض فيه المفسر أمثلة عن حذف الحرف فيقول:" وقد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق, فقد يحذف حرف أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف"[3].

– ومن ذلك: حذف (النون) في عدة كلمات منها في قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ** ﴾[آل عمران: ٥٢][4].

– ومنه ذكر الاسم الموصول وحذفه: فقد ذكر القرآن الكريم الاسم الموصول في مواطن وحذفه في مواطن أخرى, فقال مرة:﴿ **لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ** ﴾[طه:6].بتكرير الاسم الموصول.

وقال مرة أخرى:﴿ **بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ** ﴾[البقرة: ١١٦][5].وغيرها كثير في القرآن الكريم.

الكريم.

[1]– البلاغة العربية فنونها وأفنانها: مرجع سابق ص: 247.

[2]– الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: ت: أحمد بن علي, دار الحديث– القاهرة– ط:1427هـ/ 2006م, ص: 154– 156.

[3]– التعبير القرآني: ص: 75.

[4]– المصدر نفسه: ص: 76.

[5]– المصدر نفسه: 92.

القسم الثاني: وهو أن يذكر في موطن مالا يذكره في موطن آخر يبدو شبيها به, وليس عدم ذكره من باب الحذف, وإنّما هو قد يزيد لفظا أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام[1].

وحسب ما أورده فاضل السامرائي فإن الذكر ثلاثة أنواع:

أولها: **زيادة الحرف**: فقد يزيد حرفاً في مكان ولا يذكره في مقام آخر, حسب ما يقتضيه موطن الكلام, وهذه الزيادة قد تكون لغرض التوكيد أو زيادة التنبيه, ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[الأنعام: ٤٦], وقوله:﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[الأنعام: ٤٧].ففرق بين الخطابين وزيدت الكاف في الآية الثانية لسببين –والله أعلم[2]–:

الأول: أنّه قال في الأولى (أراءيتم) فاحتاجوا إلى زيادة في التنبيه والخطاب, وذلك أن فاقد السمع والبصر والمختوم على قلبه به حاجة إلى زيادة الخطاب أكثر من السوّي, فقال فيما بعد (أرايتكم).

والثاني: أنّ الآية الثانية أشدّ من الآية الأولى تنكيلا وعذابا فإن فيها عذاب الله الذي هو أشد من أخذ السمع والبصر فاحتاج الموقف إلى تنبيه أكثر وزيادة حذر وحيطة, فجاء بكاف الخطاب[3].

جاء في التحرير والتنوير في إضافة (الكاف):"...فكان التوبيخ على إهمال الحذر من إتيان عذاب الله، أقوى من التوبيخ على الاطمئنان من أخذ أسماعهم وأبصارهم، فاجتلب كاف الخطاب المقصود منه التنبيه دون أعيان المخاطبين."[4]

ومن هذا الباب أيضا ذكر أداة الاستفهام (ما, ماذا,..) وحذفها, ومنه أيضا ذكر (أن) في موضع وحذفها في موضع آخر, والأمثلة على ذلك كثيرة.[5]

---

[1]– المصدر السابق: 97.

[2]– التعبير القرآني:ص: 97.

[3] –المصدر نفسه: ص: 98.

[4]– التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور , الدار التونسية للنشر–تونس– 1984م, 7/ 237.

[5]– المرجع السابق, ص:102– 104.

ثانيا: زيادة كلمة أو أكثر: وقد يزيد كلمة أو أكثر في موضع, ولا يذكرها في موضع آخر كذلك حسبما يقتضيه المعنى والسياق. فمن ذلك:

قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[النساء:22] .

وقوله:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٣٢] , فقد زاد قوله (مقتا) في آية النساء وذلك أن "متزوج امرأة أبيه فاعل رذيلة يمقت فاعلها ويشنأ وتستخسه الطباع السليمة, فوصفت فعلته بالمقت, وساوت الزنا فيما وراء ذلك"[1].

ثالثا: زيادة الجار والمجرور: وقد تكون يزيد الجار والمجرور في موضع, ولا يذكر نحوه في موضع آخر, فمن ذلك على سبيل المثال, قوله تعالى:﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[الفتح: ١١] , وقوله:﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[المائدة:١٧] فزاد (لكم) في آية الفتح ولم يذكر مثل ذلك في المائدة.

والسبب أن الخطاب في سورة الفتح مختص بالمخلفين من الأعراب, قَالَ تَعَالَى:﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[الفتح: ١١]. فلما كان الخطاب مختص بهؤلاء زاد (لكم), لأن الخطاب موجه إليهم.

أمّا في سورة المائدة فالخطاب عام, وليس خاص بجماعة معينين, قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ ﴾[المائدة:17] .

[1]- التعبير القرآني: ص: 107, انظر أيضا: ملاك التأويل: 103/1.

ألا ترى في قوله تعالى:" من في الأرض جميعا" كيف عمّ أهل الأرض فلم يحسن أن يذكر لكم بل جاء بالخطاب عاماً[1].

أسباب الذكر والحذف: هناك أسباب مختلفة تدعو إلى الذكر والحذف, منها مراعاة واقع الحال, فيكون الكلام في غاية الدقة في التعبير في الحقيقة, وقد يكون لغير ذلك وكلها ترجع إلى مراعاة السياق و المقام وحسن الاختيار وذكر اللفظ في الوضع الذي يقتضيها وينادي عليها بأبلغ تعبير وأجمل صورة.[2]

الموضوع الخامس: التوكيد في القرآن الكريم:

التوكيد: هو تمكين المعنى في النفس وتقويته, وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات التي ترد إلى الكلام[3]. والتوكيد وعدمه من أساليب البيان العربي..وهو واضح في البيان القرآني, يحكمه السياق الذي وردت فيه الجملة القرآنية أو يراعى فيه حاجة السياق إلى نوع التوكيد[4].

أدواته: وللتوكيد أدوات وطرق عرض لها الدكتور السامرائي من خلال الأمثلة التي ساقها في هذا الباب, وهذه الأدوات كما ذكرها النحويون والبلاغيون هي: (إن) ولام الابتداء, ضمير الفصل, والقسم, وإمّا الشرطية, وحرفا التنبيه؛ (ألاّ) و(أمّا), والحروف الزائدة؛ (إن) و(أن) و(ما), و(من), و(الباء), و(قد) التي هي للتحقيق, والسين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد ووعيد, وتكرير النفي, و(إنّما) ونونا التوكيد.[5]

أما طرقه: فهي أربعة: -التوكيد بالتكرار, والتوكيد بالأدوات, والتوكيد بالحروف الزائدة والتوكيد لغير أداة مثل: التقديم والتأخير وأسلوب القسم.[6]

وميزة التوكيد القرآني أنه كله وحدة متكاملة, منظور إليه نظرة شاملة وروعيت في ذلك جميع مواطنه, فهو يؤكد في موطن ما مراعيا موطنا آخر قرب أو بعد, فتدرك أنه أكد في هذا الموطن سبب

---

[1] – التعبير القرآني: ص: 110.

[2] – المصدر السابق: انظر: ص: 110- 116.

[3] – أسلوب التوكيد في القرآن: محمد حسين أبو الفتوح: مكتبة لبنان, ط:1, 1995م, ص: 13.

[4] – عبد الفتاح صلاح الخالدي: مرجع سابق, ص:271.

[5] – البلاغة العربية فنونها وأفنانها: مرجع سابق, ص: 114.

[6] – محمد حسين أبو الفتوح: مرجع سابق, ص: 15.

اقتضى التوكيد, ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيها به لانعدام موجبه, وترى أنه هنا أكد بمؤكدين وأكد في موطن آخر يبدو شبيها به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له[1].

طرق التوكيد: وقد يستعمل طريقة أخرى للدلالة على التوكيد, وهي أن يختص حرفا بالدلالة على التوكيد دون نظيره, وذلك كاستعمال (الهمزة) و(هل) واستعمال حروف النفي, فهو يستعمل (هل) للتوكيد دون الهمزة, ويستعمل (ما) للتوكيد دون ليس, ويستعمل (إن) آكد من (ما) بطريقة فنية عجيبة, فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى:﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۖ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[الحج:] , وقوله:﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ ﴾[المائدة:], وقوله:﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾[الشعراء:٢٢١ – ٢٢٢] وقوله:﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ [الكهف: ١٠٣] .

فاستعمل الهمزة و(هل) مع الفعل (نبأ) وعند النظر في الاستعمالين ترى أنه استعمل (هل) لما هو أقوى وآكد في الاستفهام, ويبين ذلك السياق.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[الحج: ٧٢], فاستعمل الهمزة.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ

[1]– التعبير القرآني: ص: 125.

﴿ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:57-60]. فاستعمل هل[1].

ويعلل هذا الاختيار بالسياق, حيث يقول: والفرق واضح بين السياقين, فأنت ترى أن في السياق الثاني قوة وتبكيت لا تجده فيما قبله[2].

ومن هنا نلمس روعة التعبير القرآني في اختيار المؤكدات, حسب ما يقتضي السياق ويناسب المقام الذي وردت فيه.

الموضوع السادس: التشابه والاختلاف:

وهو تشابه تعبيرات القرآن فيما بينها, وعدم اختلافها إلا في مواطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو كلمة, وهذا التشابه والاختلاف أمر مقصود في كل جزئية من جزئياته, قائما على كل أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز[3].وهذا التشابه في تعبيرات القرآن يكون لأغراض يقتضيها السياق والمقام, فيكون كل تعبير أنسب في مكانه[4].

وقد تكلّم السامرائي في مقدمة تفسيره عن التشابه والاختلاف في التعبير القرآني, إلا أنّه خص الحديث عن وجوده في القصة القرآنية, رداً على من يعتقد أن هذا الاختلاف هو من قبيل التناقض.

ويعرض هنا لأنواع أخرى منه فقد يكون التشابه والاختلاف في كلمة تغيرت أحد حروفها لتدل على معنى يقتضيه السياق الذي وردت فيه, ومن ذلك استعمال لفظ (مكة) و(بكة) لأم القرى. وهذا من باب (الإبدال) وسيأتي بيانه في كتابه, " بلاغة الكلمة في التعبير القرآني".

ويكثر المفسر في كتبه كلها من عرض المتشابهات, لتوضيح أنّ ذلك إنّما من بلاغة القرآن الكريم. و يجري المقابلات لهذه المتشابهات مبرهنا أنّ كل تعبير مناسب في موضعه, ومن ذلك ما تشابه من قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الحجر: ١٠ – ١١], وقوله تعالى:﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الزخرف: ٦ – ٧].

---

[1]- المرجع نفسه: ص: 149.

[2] - التعبير القرآني: ص:149.

[3]- المصدر نفسه (بتصرف): ص: 173.

[4]- من أسرار البيان القرآني: فاضل صالح السامرائي: دار الفكر, ط:1, 2009م/ 1430هـ, ص: 140.

فقال في آية الحجر (من رسول) وقال في آية الزخرف (من نبي) وذلك أنه لما قدم في آية الزخرف لفظ (كم) الخبرية وهي للتكثير ناسب ذلك من يوحي إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل, فورد هنا ما يعم الصنفين.

أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يطلب التكثير مع ما تضمنت من قصد تأنيسه عليه السلام وتسليته, فخصت بالتعيين باسم الرسالة تسلية له عن قولهم (إنك لمجنون) وبما جرى للرسل قبله عليه السلام من مثل ذلك, ومن البين أن موقع رسول هنا أمكن في تسليته عليه السلام, فجاء كل على ما يجب من المناسبة[1].

الموضوع السابع:فواصل الآي:

ككل المباحث القرآنية لاقت الفاصلة نصيبها من البحث والدرس, فمنذ بدأ عصر التأليف في الدراسات القرآنية والبلاغية، أخذت قضية الفواصل موضعها من عناية الأجيال الأولى من علماء العربية وأن لم تستقل بمباحث مفردة بل جاءت عارضة في ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة..ولا خلاف بين العلماء في أن لفواصل القرآن إيقاعها الفريد[2].

لم يمنع اتفاق العلماء على مصطلح "الفاصلة" أن يختلفوا في تعريفه[3], ولم تسلم أغلب هذه التعريفات من النقد– وليس هذا مقام تفصيلها– وقد عرفها الإمام السيوطي في إتقانه بقوله: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[4]. وهو ما أشار إليه السامرائي في قوله:" إن الآيات القرآنية الكريمة تنتهي بفواصل منسجمة موسيقيا بعضها مع بعض.."[5].

واستخلص " محمد الحسناوي" بعد عرض تعريفات العلماء تعريفا قال فيه:" الفاصلة كلمة آخر الآي كقافية الشعر وسجعة النثر, والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى, وتستريح إليه النفوس[6].

---

[1] – نقله عن: أبو جعفر, ابن الزبير الغرناطي: مصدر سابق: 2/ 289.

[2] – إعجاز القرآن ومسائل بن الأزرق: مرجع سابق, ص: 253.

[3] – الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي: دار عمار, ط:2, 1421هـ/ 2000م, ص:26.

[4] – الإتقان: مصدر سابق, 3/ 247.

[5] – التعبير القرآني: ص: 217.

[6] – الفاصلة في القرآن: مرجع سابق: ص: 29.

وقد تناول المؤلف الفاصلة القرآنية من حيث وظيفتها البلاغية وانسجامها مع المعنى العام للآية كما عرض لأحوال القرآن مع فواصل الآي, حيث يقول: "ومن المعلوم أن القرآن يعنى بهذا الانسجام عناية واضحة لما لذلك من تأثير كبير على السمع ووقع مؤثر على النفس, فقد ترى أنّه:

–مرّة يقدم كلمة ومرة يؤخرها انسجاما مع فواصل الآيات, فمثلا يقول مرّة :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[الشعراء: ٤٧ – ٤٨].

فيجعل كلمة هارون نهاية الفاصلة انسجاماً مع الفواصل السابقة واللاحقة, ومرة يقول:

﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[طه:70],

بتقديم هارون وجعل موسى نهاية الفاصلة, لأن الألف فيها هي التي تناسب فواصل الآي في سورة طه.

–وقد ترى أنه يحذف شيئا من الكلم لتنسجم مع فواصل الآي, وذلك نحو قوله تعالى:" هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون" الشعراء: إذ الأصل: أو يضرونكم مقابل ينفعونكم.

–وقد يزيد شيئا في الكلمة للغرض نفسه, وذلك نحو قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[الأحزاب: ٦٧]

–أو يبدل كلمة بكلمة أخرى مع أن الآيتين متشابهتان, ذلك أن فواصل الآي في كل من الموطنين مختلفة, فيجعل في نهاية كل آية ما ينسجم موسيقيا مع أخواتها, وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[إبراهيم: ٣٤] وقوله﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[النحل: ١٨].

–وقد ترى أنه يضع كلمة في مكان ويضع غيرها في مكان آخر يبدو شبيها بالموضع الأول تجنبا للتكرار, وذلك نحو قوله تعالى:﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٨], وقوله في مكان آخر من السورة نفسها:﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[النساء: ١١٦] , فأنت ترى أنه غير بين الفاصلتين تجنبا للتكرار[1].

[1]– التعبير القرآني: ص: 217–218.

وفي كل ذلك يراعي القرآن الكريم أيضا ما يقتضيه التعبير والمعنى, ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقي وحده, فإنه لو لم يكن الجانب الموسيقي مراعى في ذلك لاقتضاه الكلام من جهة أخرى[1].

وهذا مثال يوضح ما ذهب إليه السامرائي في الفاصلة القرآنية:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[الشعراء: ٤٦ – ٤٨] وقال تعالى:﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[طه:70]. قدم في طه ذكر هارون وفي الشعراء ذكر موسى, وقد تظن أن ذلك ما يقتضيه أواخر الآي..ولكن هناك ملحظ آخر يقتضي تقديم ما قدم وتأخير ما أخر ولو لم تكن أواخر الآي كذلك وانظر إلى الفرق بين القصتين:

–إن ذكر هارون تكرر في سورة (طه) كثيرا وقد جعله الله شريكا لموسى في تبليغ رسالته, في حين لم يرد في سورة الشعراء إلا قليلا, من ذلك قوله في سورة طه:

–﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ﴾[طه: ٢٩- ٣٠] .

–﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾[طه: ٤٢].

–وكرر ذلك فقال﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[طه:43-44]

– وكان الجواب صادرا منهما معا:﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾[طه: ٤٥].

– وقد طمأنهما ربهما معا فقال:﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦].

– وأمرهما معا.. وكان خطاب فرعون لهما معا..ونسبهما كليهما إلى السحر..وقد ورد تخليف موسى لهارون في قومه فنصح له في غيبته, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴾[طه: ٩٠].

– ولقد عاتب موسى أخاه هارون بشدة:﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾[طه:92 – ٩٣].في حين لم يرد هارون في سورة الشعراء إلا قليل وهو قوله: ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾[الشعراء: ١٣], ﴿ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾[الشعراء: ١٥]

[1]–المرجع نفسه: ص:218.

وقد نسب موسى وحده إلى السحر ولم ينسب معه هارون كما جاء في طه, فقال: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَاتَأْمُرُونَ ﴾[الشعراء: ٣٥], ولم يرد ذكر لهارون بعد هذا.

فأنت ترى أنّ القصة في طه مبنية على التثنية وأنها في الشعراء مبنية على الإفراد, هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنه ذكر في آيات طه خوف موسى فقال:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[طه:67] ولم يذكر حالة الخوف في الشعراء.

فأنت ترى أنه ذكرت جوانب الكمال والقوة في موسى في الشعراء, ولم تذكر حالة الضعف البشري الذي اعتراه, فاقتضى كل ذلك المغايرة في التعبير بين القصتين[1].

قال الألوسي:"وقدموا هارون عليه السلام لأنه أكبر سناً.. وأما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من أوّل الأمر أن مرادهم فرعون."[2].

فلم تأت الفواصل في البيان القرآني شكلية للرونق اللفظي, إنما كانت لمقتضيات معنوية مع مراعاة الانسجام الموسيقي.

الموضوع الثامن:السمة التعبيرية للسياق:

وهو أن يكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة فتتردد ألفاظ معينة بحسب تلك السمة وقد يكون للسورة كلها جو خاص وسمة خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمة[3].

– وقد يكون كثرة اللفظ وغلبته مطلقة في السورة كلها لا في السياق الذي تقع فيه الآية وحده فمن ذلك قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾[طه: ٥٣], وقوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾[الزخرف: ١٠].

فقد ذكر (جعل) في الزخرف و(سلك) في طه, ولعل من بين أسباب هذا الاختيار أن فعل الجعل ورد في الزخرف أكثر مما في طه, فقد ورد في الزخرف اثنتي عشرة مرة وورد في طه ثلاث مرات فاختار الجعل في الزخرف والسلوك في طه. والله أعلم[4].

---

[1]– التعبير القرآني: ص:223.

[2]– روح المعاني: الألوسي, تح: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1, 1415هـ, 541/8.

[3]– التعبير القرآني: ص: 237.

[4]– المرجع نفسه, ص: 241.

–وقد يكون مفتتح السورة دالاً على تردد قسم من الألفاظ في السورة, وذلك يبدو جليا فيما يبدأ بالأحرف المقطعة نحو: ألم, وحم وطه, ونحوها.فكثيرا ما تتردد الألفاظ.التي تلي هذه الأحرف على نمط معين في السورة أو يكثر استعمالها فيها.

– وقد تطبع السورة كلها بطابع الافتتاح وليس السياق الذي فيه الآية فحسب, ومن هذا النوع من السور, سورة مريم فهي تبدأ بقوله تعالى:﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾[مريم: ٢], فأنت ترى أنها تبدأ بالرحمة, ولا تقتصر الرحمة على السياق الذي وقعت فيه الآية, بل إن السورة كلها تفيض بالرحمة, وألفاظ الرحمة تشيع فيها من أولها لآخرها..وقد تكرر لفظ (الرحمن) في السورة ست عشرة مرة[1].

والسمة التعبيرية للسورة هي بمثابة الرباط المعنوي الذي يربط عناصر السورة بعضها ببعض, فتشيع فيها ألفاظ معينة, وقد تكون هذه الألفاظ موافقة لمطلع السورة, وبذلك فلكل سورة سمة تعبيرية خاصة بها تميزها عن سوابقها ولواحقها.

الموضوع التاسع:الحشد الفني:

يقال حشد القوم إذا اجتمعوا وخفّوا في التعاون, وناقة حشود: يسرع اجتماع اللبن في ضرعها[2].

والحشد الفني حسب –ما قدم له السامرائي– هو: اجتماع أكثر من غرض فني ك (التقديم والتأخير – الذكر والحذف– التوكيد....)في آية واحدة, أو في سياق واحد. ولا يكون الحشد الفني في مواضع دون غيرها, بل القرآن كلّه حشد فني متكامل[3]. (ترابط الأغراض الفنية ببعضها البعض).

ويبين المؤلف قبل التمثيل للحشد الفني أن القرآن الكريم يراعي في اختيار التعبير أمورا عديدة وجوانب كثيرة, جوهرها السياق (السياق الذي ورد فيه التعبير, سياق السورة, السياقات المشابهة.) وقد يراعى في تعبير السورة الواحدة وبناءها تعبير جميع السور الأخرى من القرآن وبناءها[4].

ثمّ يعقد المؤلف للحشد الفني بين متشابهات القرآن مقارنة لإبراز هذه الخاصية, ومن ذلك قوله تعالى في سورة التوبة:﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

[1]– المرجع السابق: ص: 249.

[2]– مقاييس اللغة: مصدر سابق, 2/ 66.

[3]– التعبير القرآني: ص: 252.

[4]– المرجع نفسه: ص: 252.

ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾. وقوله في هذه السورة أيضا:﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

وفي نظرة للفروق التعبيرية بين الآيتين يعقد جدولا لذلك ليبين مواطن الاختلاف وسببه, حيث اجتمعت عدة أغراض فنية في الآية الأولى, منها التوكيد ب(لا) واللام, ويعلل الدكتور كل تعبير بالسياق, حيث يقول: "وسبب ذلك والله اعلم أن السياق في الآية الأولى ذات الرقم (55) يختلف عن السياق في الآية الثانية"[1].

ويرى أن القرآن الكريم لما طال كلامه على الإنفاق زاد (لا) و(اللام) و(الحياة) في الآية الأولى دون الأخرى. إضافة إلى:

-أن الآية الأولى في سياق إنفاق الأموال والخطاب للمنافقين, ثم وجه الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:" فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم" فزاد (لا) النافية توكيدا, وزاد اللام ليعذبهم لزيادة الاختصاص.

- ولما كان الكلام على الإنفاق والأموال في الأولى زاد في الكلام: (لا), و(اللام) و(الحياة).

- ولما كان المال عصب الحياة ومظنة الوصول إلى الرفاهية والسعادة زاد كلمة (الحياة) ههنا.

واختلف السياق في الآية الثانية فخالف في التعبير فلم يذكر (لا) ولا اللام, لأن المقام لا يقتضي التوكيد هنا, ولم يذكر الحياة لأن الآية في سياق الجهاد والقتال, وهما مظنة فقد الحياة[2].

وهكذا فإن سياق الآية هو الذي يحدد الأغراض الفنية المتضمنة لها من حيث القلة والكثرة, من تقديم وتأخير ونفي وغيرها, وبالمقابلة يتضح لنا أن كل تعبير اقتضاه المقام الذي ورد فيه.

الموضوع العاشر:الحشد الفني في القصص القرآني:

وهو اجتماع الأغراض الفنية في موطن من المواطن التي وردت فيها القصة دون موضع آخر. ويربط السامرائي هذا الحشد بما انطوت عليه السورة من عبر اقتضت التعبير الذي وردت فيه فيقول:" قد تتكرر القصة القرآنية في أكثر من موضع بوجوه متعددة من التعبير فتبرز في كل مناسبة موطن العبرة الذي يراد الاستشهاد به ويسلط الضوء عليه. وهو في الحقيقة ليس تكرارا للقصة, ولكن يعرض في كل موطن جانبا منها بحسب ما يقتضيه السياق[3].

[1]-المرجع نفسه نفسه: ص: 266.

[2]- المرجع السابق: ص: 267.

[3]- التعبير القرآني: ص: 283.

ولذا يختلف العرض والتعبير في القصة الواحدة من زيادة وحذف و وتقديم وتأخير وإيجاز وإطناب وتغيير في التعبير والنظم..يأتي كل ذلك في حشد فني عظيم, ذلك مع عدم تناقضها وتضاربها فيقول:" فإن قصة موسى مثلا على كثرة ترددها واختلافها في التعبير وفي ذكر جزئياتها لا يختلف بعضها على بعض, وكذلك قصة إبراهيم أو قصة صالح أو قصة آدم أو غيرها.[1]

وهذا الموضوع أفرد له الأستاذ الجزء الثالث من تفسيره المسمّى "على طريق التفسير البياني", وسنعرض له ونحن بصدد تناول مسلكه في تفسير القصة القرآنية.بإذن الله.

وفي نهاية كتابه يقدم لنا المفسر تفسيرا لسورة التين, كنموذج تطبيقي لما تقدم ذكره من تنظير لوجوه فنية, ولأن تفسيره موضع الدراسة(على طريق التفسير البياني)يعتبر نموذجا موسعا لما جاء في هذا المؤلف وغيره مما شابهه, فسأقتصر في هذا الجانب النظري على هذه النظرة الشاملة مما ذكرت, لأنتقل إلى ثاني كتب هذه السلسلة البيانية, وهو كتاب "لمسات بيانية في نصوص التنزيل".

المطلب الثاني: كتاب لمسات بيانية في نصوص التنزيل:

يعتبر هذا الكتاب الجانب التطبيقي للمؤلف السابق "التعبير القرآني", وإن كان الداعي لتأليفه جملة من الأسئلة التي سئل عنها الدكتور أضاف إليها مختارات من نصوص التنزيل, يقول في ذلك:" فهذه جملة من نصوص التنزيل العزيز سئلت عن سر التعبير في بعضها, واخترت بعضها الآخر من سور متعددة لأبيّن طرفا مما فيها من أسرار تعبيرية ولمسات فنية.."[2].

بدأ السامرائي كتابه بمقدمة بيّن فيها رأيه في الإعجاز القرآني- وقد سبق الحديث عنه في الفصل الأول من هذا البحث- كما اختار فاتحة القرآن الكريم, فاتحة دراسته فتناولها بالتفسير البياني مفصلا أسرار التعبير فيها, أتبعها بلمساته من السور التالية: (سورة المائدة- قصة إبراهيم في سورتي الحجر والذاريات- قصة موسى في سورتي النمل والقصص- من سورتي المؤمنون والزمر- من سورتي المؤمنون والمعارج- من سورتي الطور والقلم- من سورة القمر- من سورة الجمعة- من سورة المنافقون- من سورتي المعارج وعبس- من سورتي المعارج والقارعة- سورة القيامة- وختاما سورة البلد).

موضوعات الكتاب: وبعد قراءة الكتاب تبيّن لي أنّ ما أورده المؤلف من أمثلة تنطوي تحت المواضيع التالية مع التوسع في استخراج النكت البلاغية والأسرار التعبيرية لكل موضع, مع روعة

[1]- على طريق التفسير البياني: مرجع سابق, 1/ 15.

[2]- لمسات بيانية: مرجع سابق, ص: 5.

العبارة وسلاسة الأسلوب ودقة التعليل في كل ذلك, وهذه المواضيع هي كالتالي: (مشكلات الفواصل- المتشابه القصصي في القرآن- المتشابه في غير القصص القرآني- الذكر والحذف- الإفراد والجمع- التقديم والتأخير- أثر النحو في التفسير- أسرار تعبيرية في بعض الآيات القرآنية- لمسات فنية من سورة القيامة- القسم في سورة البلد).

وللوقوف على درر البيان القرآني سأعرض لبعض المواضيع التي ذكرتها متحاشية في ذلك تكرار ما مثلت له في كتاب "التعبير القرآني"

الموضوع الأول: مشكلات الفواصل:

وهو مبحث يندرج تحت باب "مشكل القرآن", وعرّفه ابن عقيلة بقوله:" وهو ما أشكل معناه على السامع, ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليل"[1], وله تعريف أكثر تفصيلا وهو: الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها معارضة نص آخر, من آية قرآنية أو حديث نبوي, ثابت, أو يوهم ظاهرها معارضة معتبر من إجماع, أو قياس, أو قاعدة شرعية كلية ثابتة, أو أصل لغوي, أو حقيقة علمية, أو حسٍ, أو معقول.[2]

ومما أستشكل منذ القدم ما سئل عنه فاضل السامرائي من سورة المائدة, حيث يقول:" سأل سائل عن قوله تعالى: :﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٨][3].

ويبقى التعليل بالسياق السمة البارزة في دراسات السامرائي البيانية في أغلب ما يعرض له فيجيب عن ذلك بقوله:" ..الذي ينبغي هو أن يُنظرَ في السياقِ كلّه، ثم ينظر في ملاءمة الكلام بعضه لبعض. ولو نظر السائل أو المعترض في السياق لما أثار هذا السؤالَ أصلاً، فإنّه لا يصح ختم الآية بالمغفرة.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، إنه ليس كل موطن تُذكر فيه المغفرةُ أو الرحمة، ينبغي أن تُختمَ الآية بهما، وإنّما يعود ذلك إلى الموطن والسياق"[1]. حيث أن الآية وردت في سياق التبرؤ من قولٍ

---

[1]- الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ابن عقيلة المكي: جامعة الشارقة, ط:1, 1427هـ/ 2006م, 134/5.

[2]-: الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم: أحمد بن عبد العزيز القصير, دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية- ط:1, ص: 26.

[3]- لمسات بيانية في نصوص التنزيل: مرجع سابق, ص: 68.

قالته طائفةٌ من النصارى ونسبته إلى عيسى عليه السلام، حكاه الله تعالى بقوله:﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[المائدة: ١١٦ – ١١٨].

فنسب إلى عيسى أنه طلب من الناس أن يتخذوه وأمه إلهين من دون الله. وأظنُّ أن هذا المقام يمنع عيسى من طلب المغفرة، أو تَرجِّيها لهؤلاء الذين جعلوا الله دون منزلة عيسى وأمه[2].

وجاء في البحر المحيط الجواب عن ذلك" أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله تعالى ومتى نقل إلى ما قال هذا الطاعن ضعف معناه، فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني ولا يكون له بالشرط الأول تعلق وهو ما أنزله الله تعالى وأجمع على قراءته المسلمون متعلق بالشرطين كلاهما أولهما وآخرهما، إذ تلخيصه إن تعذبهم فأنت عزيز حكيم وإن تغفر لهم فأنت العزيز الحكيم في الأمرين كلاهما من التعذيب والغفران، فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان لعمومه، وأنه يجمع الشرطين ولم يصلح الغفور الرحيم أن يحتمل ما احتمله العزيز الحكيم"[3].

2- أن الآية مبنية على التسليم لله سبحانه، وتفويض الأمر إليه وليس على التعريض بطلب المغفرة[4]. وجاء في (البرهان) : "وقيل: ليس هو على مسألة الغفران، وإنما هو معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم، ولو قيل: (فإنّك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة، ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شِرْكِهِ لا لنبي ولا لغيره"[5].

---

[1]- المرجع نفسه: ص: 68-69.

[2]- المرجع السابق: ص: 69-70.

[3]- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي:, ت: صدقي محمد جميل, دار الفكر –بيروت– 1420هـ, 4/ 421.

[4]- لمسات بيانية, ص: 71.

[5]- البرهان: مصدر سابق, ص: 90.

3- وقيل إن ذكر العزيز الحكيم من باب الاحتراس, جاء في روح المعاني:" إن ذكرهما من باب الاحتراس لأن ترك عقاب الجاني قد يكون لعجز في القدرة أو لإهمال ينافي الحكمة فدفع توهم ذلك بذكرهما"[1].

4- وقيل: إن المقام مقام تَبرؤٍ مما نُسِبَ إليه، وليس مقام طلبِ عفوٍ ومغفرة فلا يصح في هذا المقام الصفح والمغفرة[2].

5- وقيل: إنه لا يجوز المغفرة والرحمة، أو التعريض بهما لهؤلاء لأن هؤلاء مقطوع لهم بالعذاب وعدم المغفرة، لأنهم مشركون , قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾[النساء: ٤٨][3].

وقد يرى القارئ أن في بعض تعليلات الدكتور إطالة مملة, قد تحوي بعض الإعادة من حيث المعنى خاصة في إيراد أقوال السابقين, إلا أننا لو تأملنا هذه المواضع جيدا لوجدنا أنه يفصل في المواضع التي فيها شبهة أو خلاف غير ظاهر الترجيح.

الموضوع الثاني: أثر النحو في التفسير(العطف على المعنى):

يتكلم المؤلف في هذا المبحث عن أثر النحو في تحديد المعنى المراد, وذلك من خلال استخراج اللمسات البيانية في قوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[المنافقون:10],حيث يجيب عن سبب تغاير الحركة الإعرابية رغم العطف في قوله تعالى:" فأصدقَ وأكن" فجاءت الأولى بالنصب وعطف عليها بالجزم, فقال: "وأكن" ولم يجعلهما على نسق واحد؟. فأجاب:

أنّ هذا مما يسميه النحاة (العطف على المعنى) وقد يسمى في غير القرآن (العطف على التوهم). ذلك أن (أصدق) منصوب بعد فاء السببية، و(أكن) مجزوم على أنه جواب للطلب، والمعنى: إن أخرتني أكن من الصالحين[4]. جاء في تفسير أبي السعود: (فَأَصَّدَّقَ) بالنصبِ على جواب التمنِي

[1]- روح المعاني: مصدر سابق, 67/4.

[2]- لمسات بيانية: ص: 73.

[3] - المرجع السابق: ص: 73- 74.

[4]- لمسات بيانية: ص: 176.

وقُرِئَ (فأتصدقَ وَأَكُن مّنَ الصالحين) بالجزم عطفاً على محلّ فأصدقَ كأنه قيلَ إن أخرتني أصدق وأكن , وقرئ و(أكونَ) بالنصب عطفاً على لفظه وقُرئ و(أكونُ) بالرفع أي وأنا أكون[1]. ويزيد المعنى إيضاحا في كتابه معاني النحو فيقول: "عطف (أكن) المجزوم على (أصدق) المنصوب، وهو عطف على المعنى وذلك أنّ المعطوف عليه يراد به السبب والمعطوف لا يراد به السبب، فإنّ (أصدق) منصوب بعد فاء السبب وأمّا المعطوف فليس على تقدير الفاء ولو أراد السبب لنصب ولكنه جزم لأنه جواب الطلب[2].

والعطف على المعنى عرّفه أبو البقاء بقوله: جوز العربي في ذهنه ملاحظة ذلك المعنى في المعطوف عليه فعطف ملاحظاً له وهو مقصد صواب[3]. وقد مال الشيخ الشعراوي لتسمية هذه الظاهرة بكسر الإعراب فيقول: لأن الإعراب يقتضي حكما, وهنا نلتفت لكسر الحكم, والأذن العربية التي نزل فيها القرآن وطبعت على الفصاحة تنتبه لحظة كسر الإعراب"[4].

الموضوع الثالث: لمسات بيانية من سور قرآنية:

أعرض هنا لمقتطفات من لمساته البيانية التي تكشف عن أسرار من التعبير القرآني, فمن ذلك:

1-استشكال بعض الآيات فيما بينها: فمما جاء في تفسيره لسورة القيامة إجابته حفظه الله عن استشكال ابنه لمناسبة قوله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾[القيامة: ١٦] لما قبله[5].

وهو إشكال قديم ذكره السيوطي في إتقانه حيث جاء فيه:" من الآيات ما أشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به) الآيات فإن وجه مناسبتها لأوّل السورة وآخرها عسر جداً, فإنّ السورة كلها في أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنّه سقط من السورة شيء"[6].

وبعد النظر في أوّل السورة يتبيّن السامرائي له أن المناسبة ظاهرة حيث يقول: والمناسبة ظاهرة وهي أنّ الله تعالى أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوّامة, ومن أبرز سمات اللوّامة أن تعجل في

---

[1] – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: العمادي محمد بن محمد **دار** إحياء التراث العربي – بيروت, ص:254/8

[2] – معاني النحو: فاضل السامرائي, 619/2

[3] –الكليات: مصدر سابق, ص: 1010.

[4] – تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي: مطابع أخبار اليوم التجارية, 5/ 2812.

[5] – لمسات بيانية: ص: 187.

[6] – الاتقان: مصدر سابق, 3/ 277.

الأمر, ثمّ تندم عليه, فتبدأ بلوم نفسها على ما فعلت, وهو في الآيات التي ذكرتها ذكر النفس, فقال:﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾[القيامة: ١٤] وذكر العجلة فقال:" لتعجل به" فالمناسبة ظاهرة[1]. وكأنّه يريد القول أن المناسبة بين الآية وما قبلها : أن العجلة قد تكسب لوم النفس, فنهى سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعجل فيحرك به لسانه فيحصل له لوم النفس. وقد ذكر السيوطي جملة من أقوال العلماء في ذكر مناسبات لها[2].

جاء في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:" ولما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد الطاعة بالعجلة، وكانت العجلة هي الإتيان بالشيء قبل أوانه الأليق به..."لتعجل به" أي بحمله وأخذه قبل أن يفرغ من إلقاءه إليك رسولنا جبريل عليه الصلاة والسلام مخافة أن ينفلت منك، لأن هذه العجلة وإن كانت من الكمالات بالنسبة إليك وإلى إخوانك من الأنبياء عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام:﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾[طه: ٨٤], لأنها من النفس اللوامة التي تلوم على ترك المبادرة إلى أفعال الخير فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها، فنقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل إلى أكمل منه[3].

2- التوسع في المعنى: ومن اللمسات البيانية التي أبرزها وتكلم عنها السامرائي في تفسيره لسورة البلد ما يعرف ب"التوسع في المعنى" وهو: أن يؤتى بتعبير يحتمل أكثر من معنى وتكون كل هذه المعاني مُرادة[4]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾[البلد: ٢], فأورده على صيغة سؤال سؤال كما هو أسلوبه في الكشف عن لطيفة بيانية, أو نكتة بلاغية, فيقول: وقد تقول ولم قال:" وأنت حل" ولم يقل: وأنت حال أو مقيم بهذا البلد؟ والجواب: أنه جمع بالعدول إلى كلمة " حل" عدة معان في آن واحد كلها مرادة مطلوبة, ذلك أن كلمة حل تحتمل معاني عدة :

-أنها تأتي بمعنى الحال والمقيم.

- وقيل وأنت حل بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم متحرج بريء منه. كما تقول: أنا في حل من هذا.

---

[1]-المرجع السابق: ص: 187.

[2]- الإتقان: مصدر سابق, 3/ 278.

[3]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي, دار الكتاب الإسلامي، القاهرة, 99/21

4-أسرار البيان في التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 61.

– أنها تأتي بمعنى اسم المفعول: أي مستحل فيكون المعنى: وأنت مستحل فتلك لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم. والذي يأمن فيه الطير والوحش.

– أنّها تأتي بمعنى الحلال ضد الحرام, أي أنت حلال بهذا البلد يحل لك فيه قتل ما شئت, وكان هذا يوم فتح مكة[1]. وعلى القولين الأخيرين تكون (لا) نافية:أي لا أقسم بهذا البلد في حين أن أهله يستحلون حرمته, ولا يرعون لك قدرا, أو لا أقسم به وقد جاء أهله بأعمال تستحل حرمتهم

والوقيعة بهم في هذا البلد الأمين[2].

هذا بعض ما سطره السامرائي في كتاب " لمسات بيانية في نصوص التنزيل", والذي أكدنا أنه بمثابة الجانب التطبيقي لما سطره من مباحث نظرية في كتابه المدروس آنفا (التعبير القرآني), والفرق بين الكتابين أن كتاب (التعبير القرآني) يهتم بالمواضيع كالتقديم والتأخير, والذكر والحذف, وغيرها, والآيات التي فيه هي للاستشهاد فقط, أما لمسات بيانية فهو نصوص يبين فيها النواحي البيانية.

المطلب الثالث: كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"

بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ثالث الكتب المقررة للدراسة وآخرها في هذا المبحث, ويعتبر هذا المؤلف تكملة لما بدأ به في كتابه " التعبير القرآني" من دراسة لموضوعات البيان في القرآن الكريم, وقد خصه بالمفردة القرآنية حيث يقول:" هذا كتاب يبحث في المفردة في القرآن الكريم, والمقصود بالمفردة هو الكلمة الواحدة."[3].

ويذهب السامرائي أنّ ما عرض له في هذا المؤلف من موضوعات أكثر أهمية من غيرها وإن كان التعبير القرآني كله مهماً, وتكمن هذه الأهمية في أسباب ثلاثة تجعل الفضل الأول للمؤلف في خدمة المفردة القرآنية وإفرادها بمصنفات,فيقول في سبب هذا الانتقاء:

–أن قسما مما بحثه لم يجد من أشار إليه قبله من المعنيين بدراسة بلاغة القرآن والمعنيين بدراسة المتشابه فيما وقع بين يديه من المصادر, وذلك نحو: (تنزل) و(تتنزل), (توفاهم) و(تتوفاهم)..

---

[1]– مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: محمد بن عمر التيمي الرازي دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط:3, 1420هـ, 164/31, و(البحر المحيط: 479/10), (فتح القدير: 539/5), (روح المعاني:350/15).

[2]– لمسات بيانية: مرجع سابق, ص:227.

[3]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي, شركة العاتك, مصر, ط:2, 2006م, ص:3.

– أن القسم الذي تطرق إليه الباحثون لم تحصل له القناعة بما قدموه من تعليلات حيث لمس تكلف الكثير منها, فآثر تعليلها بما يشفي نفسه.

– أنّه لم يجد كتبا مختصة في شأن المفردة في القرآن الكريم حسب ما اطلع عليه, وإن كان هناك إشارات احتوتها كتب التفسير, وكتب المتشابه, بالإضافة إلى كتب غريب القرآن التي تذكر الفرق بين لفظة وأخرى[1].وتعتمد توجيهاته وترجيحاته على المسلمات اللغوية والقواعد المقررة في اللغة, بالإضافة إلى استعانته بالسياق لتلمس الفروق في الاستعمال[2].

وحال العلماء عدم القطع فيما يتوصلون إليه من نتائج متواضعين أمام جهود من سبقهم, فاتحين الباب لمن يخلفهم, ونحسب الأستاذ الدكتور منهم حيث يقول:" وأنا لا أزعم أني أتيت بأحسن مما ذكروه, وأن توجيهي أصوب مما ذهبوا إليه, ولكني أذكر ما وجدته في نفسي."[3].

مباحث الكتاب:

– الذكر والحذف– الإبدال– فعل وأفعل بمعنى– المبني للمجهول – الوصف– الإفراد والتثنية والجمع– الحركة غير الإعرابية – تعاور المفردات.

الموضوع الأول: الذكر والحذف من الكلمة:

سبق وأن مرّ بنا مبحث للذكر والحذف, وعرضنا له صورا عدة وافاها المفسر بالشرح والبيان في كتاب " التعبير القرآني", ويعرض المؤلف هنا لنوع آخر من أنواع الحذف, وهو "الحذف من بنية الكلمة", وذهب إلى أن الاقتطاع من الكلمة يكون لغرض وليس اعتباطا, وذكر ثلاث أنواع من الذكر والحذف:

- الحذف من بنية الفعل.
- حذف ياء المتكلم.
- ذكر حرف المد (الألف) في فواصل قسم من الآي وعدم ذكره في مواطن أخرى.

أولا: الحذف من بنية الفعل: يحذف القرآن من الفعل لغرض ما ذكرها ومثّل لها فاضل السامرائي, وهذه أغراض الحذف من الفعل:

[1]– بلاغة الكلمة: مرجع سابق, ص: 4-5.

[2]– المرجع نفسه: ص: 8.

[3]– المرجع السابق: ص: 8.

﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾[الكهف:97] . حيث يقول: إن حذف التاء في قوله " فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ " دون قوله:" وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ " ذلك لأن الصعود على هذا السد أيسر من إحداث نقب فيه لمرور الجيش, فحذف من الحدث الخفيف, بخلاف الفعل الشاق الطويل, فإنه لم يحذفه بل أعطاه أطول صيغة له فقال:" وما استطاعوا"[1].

ثم إنه لما كان الصعود على السد يتطلب زمنا أقصر من إحداث النقب فيه حذف من الفعل, وقصر منه ليجانس النطق الزمن الذي يتطلب كل حدث[2].

–أنه يحذف من الفعل للدلالة على القلة بخلاف الفعل التام فهو يدل على الكثرة. نحو قوله تعالى:﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ﴾[القدر:4], وقوله: ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]. فقال في هذه الآيات (تنزل) في حين قال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[فصلت: ٣٠]. وذلك أن التنزل في آية (فصلت) أكثر مما في الآيتين الأخريين, فالمقصود بها أن الملائكة تتنزل على المؤمنين عند الموت لتبشرهم بالجنة, وهذا يحدث على مدار السنة في كل لحظة[3].

أمّا آية (الشعراء) فإن التنزل فيها أقل لأن الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة وإنما تتنزل على الكهنة أو قسم منهم..فاقتطع من الحدث فقال (تنزل), وكذلك في آية سورة (القدر) فإن تنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام, فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من

[1] – بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 9.

[2] – المصدر نفسه: ص: 10.

[3] – نقد: يقول رضا العقيدي: ففي قوله " وهذا يحدث على مدار السنة في كل لحظة..." وهم كبير, لأننا لو افترضنا أن عدد المؤمنين المستقيمين في يوم نزول هذه الآية ستة وثمانين ألفا وهذا افتراض باطل قطعا, فعلى وفق تفسير د. فاضل السامرائي يموت هؤلاء كلهم في اليوم التالي فينقرض المؤمنون المستقيمون في يوم واحد وتخلو الأرض منهم, فكيف يقال بعد ذلك " وهذا يحدث على مدار السنة". (انظر: رضا هادي حسون العقيدي: العموم الصرفي في القرآن, المركز التقني بغداد, ط:2, 1434هـ/2013م, ص: 133 وما بعدها).

يحضره الموت فاقتطع من الحدث[1]. فهو يرى إذن أن هذا الاقتطاع جاء لسببين من حيث قلة التنزل وكثرته من جهة, ومن حيث استمراره وانقطاعه من جهة أخرى. مما يدل على طول زمن التنزل وقصره.

–أنه يحذف من الفعل لدلالة خصوصية الخطاب واقتصاره, ويتمه لعموم الحكم وامتداده. نحو قوله تعالى:﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾[الأحزاب: ٥٢].

وقوله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴾[النساء: ٢].

يقول:ذلك أن الآية الأولى حكمها على الرسول (ﷺ), أما الآية الثانية فهو حكم عام للمسلمين على مرّ العصور..فقال في الحكم المحدد والمقصور على شخص (تبدل), وقال في الحكم العام الممتد (تتبدلوا), فجاء بالصيغة القصيرة للحدث القصير, وبالطويلة للحدث الطويل.[2]

–وقد تجتمع عدة أغراض للذكر والحذف كما هو الحال في آية (الشورى) وآية (آل عمران) في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[الشورى: ١٣].

فعدّ المؤلف جملة من الأسباب لهذا الحذف والذكر نختصرها في سببين:

الأول: أن آية الشورى الكلام فيها على أمم مختلفة, وأن هذه الأمم متطاولة على مدى التاريخ, فجاء بالصيغة الأطول.في حين الخطاب في آل عمران للأمة الإسلامية, وهي جزء من الأمم فأتى بجزء من الفعل[3]. أي أنه أطال في صيغة الفعل مع الزمن الممتد, واقتطع منه مع الحدث الأقل.

الثاني: يدور فيه فاضل السامرائي حول مراعاة سياق السورة والأهداف المرسومة فيها.[4]

---

[1]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني, ص: 10-11

[2]– المرجع السابق: ص:12.

[3]– المرجع نفسه: 14.

[4] – المرجع نفسه: ص: 14– 15.

–أنه يذكر الفعل تاما في مقام الشرح والإيضاح والتبيين, كما في قوله تعالى:﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٧٨], وحذف التاء من قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[الكهف: ٨٢], لأن المقام مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها[1].

ثانيا: حذف ياء المتكلم: تحذف ياء المتكلم في القرآن الكريم ويجتزأ عنها بالكسرة وذلك لغرض وقد تجتمع عدة أسباب لذلك يقتضيها سياق الآية بل السورة والجو العام لها. ومثاله:

–قد تذكر ياء المتكلم في مقام الإطالة والتفصيل ويجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز, وقد تحذف لغرض آخر يقتضيه المقام, كأن يكون المقام يقتضي إظهار النفس أكثر, ومن ذلك في قوله تعالى:﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾[البقرة: ١٥٠],وقوله:﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ﴾[المائدة: ٣]

وقوله:﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[المائدة: ٤٤].في هذه الآيات اجتمع أكثر من سبب للحذف منها:

1/ أن المقام في سورة البقرة مقام إطالة وتفصيل فاقتضى ذلك الزيادة في البناء دون الآيتين.

2/ أن آية البقرة فيها فتنة وملاحاة وإرجاف من المشركين واليهود بسبب تحويل القبلة, فاقتضى المقام ذكر نفسه سبحانه والتخويف منه وإظهار نفسه لخشيته, أكثر من المقامين الآخرين.

3/ أن آية البقرة فيها توكيدات وهي تناسب هذا ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ ﴾[البقرة: ١٤٣].﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾[البقرة: ١٤٤].﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[البقرة: ١٤٧],﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [البقرة: ١٤٩]...[2].

–وقد يكون ذكر الياء وحذفها لغرض آخر, وهو أن يكون ما فيه الياء أوسع وأشمل مما حذفت منه الياء, ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ﴾ [الزمر: ٥٣]. فالعباد هنا قاعدة عريضة واسعة, فالذين أسرفوا على أنفسهم هم الأكثرون.

وفي قوله تعالى:﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[العنكبوت: ٥٦]

[1] – المرجع نفسه: ص: 16.

[2] – المرجع السابق: ص: 21– 24.

وقوله: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر: ١٠][1].

وقد خاطب الله سبحانه في هذين الآيتين المؤمنين فلما حذف الياء من الثانية؟ يقول السامرائي: والحق أن الفرق بينهما واضح من وجوه منها:

1/أنه قال في آية الزمر ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ ﴾ فخصص الذين آمنوا بطلب التقوى فضيق دائرة المؤمنين.

2/ طلب في آية المؤمنين التقوى, وطلب في آية العنكبوت العبادة, والعبادة أوسع من التقوى.

3/ ومما حسن إظهار الياء في (عبادي) في العنكبوت قوله تعالى﴿ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ فأضاف الأرض إلى الياء, فأظهر ضمير المتكلم في الموطنين في السكن والساكن.

4/ أن سعة الأرض مؤكدة في آية العنكبوت دون آية الزمر, فوسع مجموعة العباد مناسبة لهذه السعة[2].

إلى غير من الأسباب التي أدت إلى حذف ياء المتكلم والتي يقتضيها السياق وجو السورة التي وردت فيها اللفظ.

ثالثا: ذكر حرف المد (الألف) في فواصل قسم من الآي, وعدم ذكره في مواطن أخرى:

حذف الألف ثالث الأنواع التي ذكرها الدكتور وعلل حدوثها في القرآن الكريم, وهذا الحذف يكون حسب ما يقتضيه المقام, ومنه قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[الأحزاب: ٦٦-٦٧].

-بمد الرسول والسبيل, مع أن القياس لا يقتضي المد وهو لم يمد السبيل في أول السورة, والفرق بينهما أن آيتي المد هما من قول أهل النار وهم يصطرخون فيها ويمدون أصواتهم بالبكاء, فالمقام مقام صراخ ومد صوت فناسب المد.

- ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[الأحزاب: ١٠]. فمد الظنون وأطلقها وذلك

[1] - المرجع نفسه: ص: 27-28

[2] - بلاغة الكلمة: ص: 28- 29

أنهم ظنوا ظنونا كثيرة مختلفة, فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها وإطلاقها, ولو قال الظنون لوقف على السكون, والساكن مقيد فناسب إطلاق الألف إطلاق الظنون.

ولم تأت على هذا الوجه (وتظنون بالله ظنونا) وهي مطلقة أصلا, لأن إطلاقها واجب فلا يفيد أنه أطلق الصوت لإطلاق الظنون, ولا أنه أطلقه لنكتة, ثمّ إن الظنون التي ظنها أصحاب رسول الله معلومة, معلومة لله فهي معارف لا نكرات فناسب ذلك التعريف[1].

-ومن ذلك أيضا مد لفظ (قوارير) رغم أنها على وزن (مفاعيل) فهي من الممنوعات من الصرف وذلك في قوله تعالى:﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٥ – ١٦]. فأطلق الصوت في القوارير الأولى مناسبة لإطلاق جنسها ونوعها, ولما قيد جنسها لم يطلقها, هذا علاوة على رعاية الفاصلة[2].

الموضوع الثاني: الإبدال:

الإبدال والتَّبديل والتَّبدُّل والاستبدال: جعل شيء مكان آخر، وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾[البقرة: ٥٩]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾[النور: ٥٥][3].

يستعمل القرآن الكريم المفردة أحيانا مبدلة, وأحيانا غير مبدلة, والتغيير في التعبير القرآني مهما يكن فله سببه, ولا يكون تغيير بدون سبب, ويكون الإبدال بشكلين حسب ما ذكره السامرائي إلا أن هناك أنواع أخرى من الإبدال كإبدال الفعل بفعل آخر, وإبدال حرف مكان حرف, إلى غير ذلك مما ذكره الدهلوي في كتابه " الفوز الكبير في أصول التفسير"[4].

-ما كان أصله الفك بالتاء: وحكمه جائز, وأمثلته كثيرة في القرآن الكريم, ومنها: (يتذكر), (يذّكر), (يتدبر), (يدبر)..ويرى الدكتور فاضل إلى أن أصل (ادّبّر), (تدبّر), فأبدلت التاء دالا

---

[1]- المرجع نفسه: ص: 24.

[2]-المرجع نفسه: ص: 35.

[3]- المفردات: مصدر سابق: ص:111.

[4]- الفوز الكبير في أصول التفسير: أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي, دار الصحوة القاهرة, ط:2, 1407هـ/ 1986م, ص:113-121.

وأدغمت في الدال فسكنت الدال الأولى وجيء بهمزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن.وكونه جائز فإن الصيغتين مستعملتان في اللغة والقرآن الكريم[1].

ويعلل السامرائي هذا الإدغام مشيرا إلى أن المفسرين إذا ورد شيء من هذا أشاروا إلى أنّه مبدل واكتفوا.[2] ويتساءل عن الفرق بينهما كون القرآن الكريم دقيق غاية الدقة في الاستعمال وهو لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد تماما, وإن كانتا مترادفتين أو مبدلتين, وحتى إذا كانتا من لغتين, فهو يخص كلا منهما بمعنى. وذلك كما خص (العيون) بعيون الماء ولم يستعملها للباصرة, وكما خص .(يشاقق) بمقام و(يشاق) بمقام مع أنهما لغتان مختلفتان, فخص كل لغة بسياق.ليقرر بعد ذلك حقيقتين لغويتيين:

الحقيقة الأولى: أن بناء (يتفعّل) أطول من بناء (يفّعّل) في النطق, فالأول متكون من خمسة مقاطع خمسة مقاطع, (يَـ + تَ + فـ عـْ + عَ + لُ), في حين أن (يفّعّل) يتكون من أربع مقاطع (يَفْ + فعـْ + عَ + لُ).

الحقيقة الثانية: أنّ بناء (يفّعّل) فيه تضعيف زائد على (يتفعّل) ففي يفّعّل تضعيفان[3].

ثّم يعطينا المفسر دلالة هاتين الصيغتين في اللغة, ليربط بينها وبين دلالتها في القرآن الكريم حيث لم يخرج عن هذه الدلالة, فيقول:" وهاتان الحقيقتان اللغويتان لهما شأنهما في تفسير ما نحن بصدده فما كان على وزن (يتفعّل) قد يؤتى به في اللغة لدلالة التدرج أي الحدوث شيئا فشيئا, وقد يؤتى به للدلالة على التكلف وبذل الجهد, وفي كلا المعنيين دلالة على الطول في الوقت والتمهّل في الحدث"[4]. ثمّ يقرر أن هذه الحقيقة موجودة في استعمالات القرآن الكريم, فإذا اجتمعت الصيغتان من هذا البناء في اللغة (يتفعّل), و(يفّعّل) استعمل القرآن الكريم الأول لما هو أطول زمنا من الثاني, وذلك أن الفك أطول زمنا في النطق, فهو ملائم للطول في الحدث.[5]ويستند لتعميم هذه القاعدة إلى نظرية التناسب بين البناء والمعنى عند ابن جني (أمساس الألفاظ أشباه المعاني).

---

[1]- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ص: 36.

[2] - المرجع نفسه: ص 36.

[3]- المرجع السابق: ص: 37-38 .

[4]- المرجع نفسه: ص: 38.

[5]- المرجع نفسه: ص: 38.

أما استعمال القرآن الكريم لوزن (يفّعّل) فيأتي به للمبالغة في الحديث, وذلك لأن التضعيف كثيرا ما يؤتى به للمبالغة نحو (فعّل) و (فعل)[1].ثم ساق الأمثلة الكثير لما قرره وقعّد له.

- **استعمال القرآن كلمة في موطن, ثّم يستعملها في موطن آخر مبدل فيها حرف:** وذلك نحو (مكة), (بكة), (اللآئي), (اللآتي), (بسطة), (بصطة), وكل ذلك يكون لغرض[2].

وكل هذه الأغراض حسب ما ساقه الأستاذ فاضل السامرائي هي إما مما يقتضيه السياق, أو أنها مما يتناسب لفظه مع معناه. ومثال ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤].و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ ﴾[المجادلة: ٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[الطلاق: ٤].

فقال في كل ذلك (ٱلَّٰٓـِٔى) بالهمز في حين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ٢٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: ٥٠].

[1] – المرجع نفسه: ص: 38.

[2] – المرجع نفسه: ص: 51.

ومن الملاحظ في استعمال هاتين الكلمتين أنه استعمل (اللآئي) بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق, ولم يستعملها في غيرها, وكان ذلك لثقل الهمزة, فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة والنادرة وهي حالات المفارقة.

ومن الطريف أن بناء اللآئي وجرسها يوحي بذلك, فكأنها مشتقة من الأي, وهو الإبطاء والاحتباس والجهد والشدة. والمظاهر والمطلق محتبس عن امرأته مبطئ عنها وفي ذلك مافيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين. فانظر حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال[1].

-ومما ورد في القرآن أيضا في هذا الباب إبدال فعل بفعل نحو في قوله تعالى:﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾[الأنبياء: ٣٦] أي: يسب آلهتكم فكان أصل الكلام "أهذا الذي يسب" إلاّ أنّهم كرهوا ذكر السب، فأبدلوه بالذكر.

-وقوله تعالى:﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الأعراف: ١٨٧] أي خفيت لأنّ الشيء إذا خفي علمه ثقل على أهل السموات والأرض.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[النحل: ١١٢] أي: طعم الجوع.أبدل الطعم باللباس إيذانا بأن الجوع له أثر من القحول والذبول ما يعم البدن ويشمله كاللباس[2].

ومن ذلك أيضا ما ذكره في لفظ (بكة) و(مكة) :

جاء في قوله تعالى:﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[آل عمران:96] فاستعمل لفظ (بكة) بالباء في حين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[الفتح:24].

ويعلل هذا الاختلاف في حرف بين اللفظين بقوله:"وسبب إيرادها بالباء في (آل عمران) أن الآية في سياق الحج "ولله على الناس حج البيت" فجاء بالاسم (بكة) من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضا, أي يزدحم بعضهم بعضا, وسميت بكة لأنهم يزدحمون فيها وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها, أعني (مكة) بالميم فوضع كل لفظ في

[1]- المصدر السابق: ص: 53.

[2]- الفوز الكبير: مصدر سابق, ص: 113-115.

السياق الذي يقتضيه والله أعلم."[1][2]. قال الألوسي:" وبكة لغة في مكة عند الأكثرين والباء والميم تعقب إحداهما الأخرى كثيراً، ومنه نميط ونبيط ولازم ولازب وراتب وراتم، وقيل : هما متغايران فبكة موضع المسجد ومكة البلد بأسرها، وأصلها من البك بمعنى الزحم يقال بكه يبكه بكاً إذا زحمه، وتباك الناس إذا ازدحموا وكأنها إنما سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها"[3].

ومنها إبدال حرف بحرف:- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[طه:71] أي: على جذوع النخل.- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾[الطور:38] أي: يستمعون عليه.

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ ﴾[المزمل:18] أي منفطر فيه.

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾[المؤمنون: ٦٧]أي: عنه.

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾[البقرة:٢٠٦] أي: حملته العزة على الإثم.

3-صيغة فعّل وأفعل ودلالتهما: يلتمس السامرائي الفرق بين الصيغتين (فعّل) و (أفعل) حيث يبدو أنهما بمعنى واحد والحقيقة المقررة سابقا أن لكل كلمة ولكل صيغة يستعملها القرآن الكريم معنى مستقل, فيقول في ذلك: أن (**فعّل**) يفيد التكثير والمبالغة غالبا نحو: قطّع, فتّح, حرّق...وقد تفيد معان أخرى كالتعدية, والنسبة إلى أصل الفعل, نحو فسّقه أي نسبه إلى الفسق, وغير ذلك من المعاني[4].

ومن مقتضيات التكثير والمبالغة في الحدث استغراق وقت أطول, وأنه يفيد تلبثا أو مكثا, ومن الاستعمال القرآني لفعّل وأفعل (أوصى) و(وصّى), فهو يستعمل (وصّى) لما هو أهم لما فيه من المبالغة, فهو يستعمل (وصّى) للأمور المعنوية ولأمور الدين, ويستعمل (أوصى) للأمور المادية وذلك نحو قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ

---

[1]- التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 173.

[2]- وذهب ابن عاشور أن هذا اللفظ من اللغة الكلدانية حيث قال في تفسيره (12/4"): والظاهر عندي أن بكة اسم بمعنى البلدة وضعه إبراهيم علما على المكان الذي عينه لسكنى ولده بنية أن يكون بلدا، فيكون أصلهمن اللغة الكلدانية، لغة إبراهيم، ألا ترى أنهم سموا مدينة (بعلبك) أي بلد بعل وهو معبود الكلدانيين، ومن إعجاز القرآن اختيار هذا اللفظ عند ذكر كونه أول بيت، فلاحظ أيضا الاسم الأول، ويؤيد ذلك قوله: رب هذه البلدة [النمل: 91] وقوله: رب اجعل هذا البلد آمنا [إبراهيم: 35] . وقد قيل:إن بكة مشتق من البك وهو الازدحام، ولا أحسب قصد ذلك لواضع الاسم.

[3] - روح المعاني: مصدر سابق, 221/2

[4]- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 58.

فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[العنكبوت: ٨].

وقوله:﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[البقرة: ١٣٢]. وقوله:﴿ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾[الأنعام: ١٥١]. في حين قال:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾[النساء: ١١], ولم يستعمل (أوصى) في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في قوله تعالى:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴾[مريم: ٣١]. وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة[1].

وقد تشترك عدة معاني للصيغة الواحدة كما في المثال السابق, فتكون وصّى للتكثير وقد تكون للمبالغة والاهتمام.

الموضوع الثالث: الوصف:

عالج فاضل السامرائي هذا الموضوع في كتابه (معاني الأبنية في العربية), وكتابه (التعبير القرآني), ويعرض هنا نمطا آخر من أنماط الوصف. وأول الأنماط التي يعرض لها هي:

– **نفي صفة دون صفة أخرى:** منه ما كان من قوله تعالى: في سورة الأنعام ﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ ﴿٩٩﴾ ﴾, و قوله:﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۚ ﴾ [الأنعام: ١٤١] حيث نفى سبحانه التشابه دون الاشتباه.

– **تأنيث الوصف تارة وتذكيره تارة أخرى:** ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[الحاقة: ٧], وقال:﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾[القمر: ٢٠], فذكر صفة النخل في آية القمر فقال (نخل خاوية), وأنثها في الحاقة, فما سبب ذلك؟ وهل يصح وضع إحداهما مكان الآخر؟[2]

– **الإفراد والتثنية والجمع:** قد يستعمل القرآن الكريم المفرد في مواطن ويستعمل المثنى في موطن آخر يبدو شبيها بالأول, وقد يستعمل جمعا في موطن, ويستعمل جمعا آخر للمفردة نفسها في

[1] – المرجع نفسه: ص: 59.

[2] – المصدر السابق: ص: 80– 85.

موطن آخر, وقد يستعمل المفرد في موطن هو من مواطن الجمع, وما إلى ذلك من المواطن التي تستدعي التأمل والنظر[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم نختار منها ما كان من القرآن بالإخبار بالمفرد عن المثنى نحو قوله تعالى:﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ١٦], حيث أخبر بالمفرد عن المثنى, وقوله:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾[طه: ٤٧], بالإخبار بالمثنى عن المثنى. وفي سورة الزخرف:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الزخرف:٤٦] بالإخبار بالمفرد عن المفرد في مواطن تبدو متشابهة, ولتوضيح هذا الاستعمال القرآني يعقد د/ فاضل السامرائي مقارنة بين السياقين:

في سورة طه	في سورة الشعراء
" قال ربنا إننا نخاف أي يفرط علينا أو أن يطغى"	" ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون"
-" لقد جئناك بآية من ربك"	-"أولو جئتك بشيء مبين"
-قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى"	-قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون"

فلمّا بنى الكلام في (طه) على التثنية قال:﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ بتثنية الرسول, ولما بنى الكلام في الشعراء على الوحدة مع إشارات إلى هارون قال:﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾بإفراد الرسول وتثنية الضمير, ولما لم تكن أي إشارة إلى هارون في الزخرف قال بإفراد الضمير والرسول:﴿ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾, فجعل كل تعبير في موطنه الذي هو أليق به[2].

ومما عرض له في هذا المبحث وفصل فيه القول: استعمال القرآن ل(طفل) في مواضع و(أطفال) في أخرى, و(نخل), و(نخيل), والتي تتجلى فيها براعة التعبير القرآني ودقته

الموضوع الرابع: الحركة غير الإعرابية:

[1]-المصدر نفسه: ص: 88.

[2] -بلاغة الكلمة: ص: 89-90.

ويقصد بها الحركة التي أتت على غير أصلها في ضمير الهاء العائدة على الغائب المذكر في موضعين من القرآن الكريم, الأوّل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: ١٠] . والثاني: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[الكهف: ٦٣], حيث جاءت هذه الهاء بالضمة في قراءة حفص عن عاصم على غير المشهور, في حين بقيت هذه الهاء على أصل كسرها في باقي القراءة[1].

كما وردت هذه الحركة في قوله تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران:120].فما وجه هذا الضم؟.

يشير المؤلف إلى أنّ الضم لغة أهل الحجاز, أمّا غيرهم فيكسرها والقرآن نزل بلغة سائر العرب[2], ولكن هذا لا يمنع أن ورودها في القرآن ومخالفتها لباقي المواضع الشبيهة بها إنّما لسر من أسرار التعبير القرآني يكشفه لنا الدكتور في هذا الباب.

وقبل الكشف عن هذا السر يوضح لنا حقيقة لغوية متمثلة في ترتيب الحركات الإعرابية من حيث النطق, فيقول: وينبغي لنا قبل أن نجيب عن السؤال أن نشير إلى حقيقة لغوية معلومة, اتفق عليها علماء اللغة قديما وحديثا, وهي أنّ الضمّة أثقل الحركات نطقا ثمّ يليها الكسر ثمّ تليها الفتحة وهي أخف الحركات[3], ينقل ذلك عن صاحب "التصريح". ولا علاقة لهذه الحقيقة بما عرف من قواعد الإملاء أن الكسرة أقوى الحركات بالنسبة إلى رسم الهمزة.

ويعود ليربط هذه الحقيقة اللغوية بما ذكرناه في أول هذا المبحث, وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: ١٠], فقال (عليهُ) فجاء بالضمة التي هي أثقل الحركات للدلالة على ثقل هذا العهد وعظمته, وذلك من جملة أنواع منها: أن البيعة كانت يوم الحديبية, وهي بيعة على الموت, والله فيها طرف مبايع, وفيها تحذير من نكثها...وكل ذلك فيه مكن الثقل ما يناسب أن يأتي بأثقل الحركات[4].

---

[1]- انظر: المصدر نفسه: ص: 102.

[2]-المصدر نفسه: ص: 102.

[3]-بلاغة الكلمة: ص: 102.

[4]-المصدر نفسه: ص: 103-104.

وحسن الضم في الآية التوصل به إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام, وأيضا إبقاء ما كان على ما كان ملائم للوفاء بالعهد وإبقائه وعدم نقضه[1].

-أما موضع الكهف بضم هاء (أنسانيهُ), والكلام فيه عن الحوت الذي تزوّده سيدنا موسى وفتاه وهما يبحثان عن الرجل الصالح..غير أن هذا الحوت سرت فيه الحياة – وقصته معروفة مشهورة- وفي قصته أمران يدعو كل منهما إلى العجب أكبر من صاحبه:

الأمر الأول: أن يحيا حوت مشوي مأكول منه.

الأمر الثاني: أن يجري في البحر فينعقد فوقه الماء كأنّه الطاق حيث جرى فيكون له كالنفق. وهذا المشهد لا ينسى على مرّ الأزمان, فكيف ينسى بعد لحظات؟ فإنّ هذا من أقوى مواطن النسيان وأغربها وأعجبها, فعدل في التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات وهي الضمّة للإشارة إلى ندرة مثل هذا النسيان وقوته, فناسب بين قوة التعبير وندرة النسيان, وندرة مثل هذا النسيان وندرة مثل هذا التعبير[2].

-الموضع الثالث الذي جاء بالضمّ على غير المشهور في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾, بضمّ راء (يضركم) إتباعا لضمة الضاد, والمشهور في نحو هذا فتح الراء أو فك الإدغام والجزم كقوله تعالى:﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾[المائدة: ٥٤], وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن ﴾[البقرة: ٢١٧].

وجه هذه القراءة كما يقول الأستاذ فاضل السامرائي ردا على الإمام الشوكاني أنّ قراءة الفتح أحسن:" نعم إنه أشهر وأكثر ولكن ليس أحسن وكيف تكون أحسن وهي ليست قراءة متواترة, فهي ليست من القراءات السبع ولا العشر بخلاف هذه القراءة.."[3].

ويضيف:..ومن ناحية أخرى أن لقراءة الضم وجها حسنا في أداء المعنى في هذا الموضوع, فالقراءة بالفتحة تشير إلى أنه ليست ثمة شيء من الضرر يصيبهم, وأما القراءة بالضم فكذلك, إلا أن فيها إشارة إلى ثقل الحالة التي هم فيها, وأنّه وإن لم يضرهم الكيد إلا أنهم قد ينالهم الأذى كما قال تعالى:﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[آل عمران:

[1]-المصدر نفسه: ص:104.

[2]- المصدر نفسه: ص: 106.

[3]- انظر: المصدر نفسه: ص:106-107.

١١١]. ولذا قال تعالى:﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ﴾أي تصبروا على أذاهم ومضايقتهم على طاعة الله وتتقوا المحرمات وأسباب الوهن ومنافذ أعداء الله مما يدل على أن ثمة أذى قد يصيبهم[1].

الموضوع الخامس: تعاور المفردات (العدول في التعبير القرآني): قبل أن نشرع في عرض جهود السامرائي في هذا الباب, نقف عند معنى (تعاور) والمقصود منه.

جاء في "تهذيب اللغة" للهروي: يقال: تعاور القوم فلانا، واعتوروه ضربا إذا تعاونوا عليه. فكلما أمسك واحد ضرب واحد، والتعاور عام في كل شيء. وتعاورت الرياح رسم الدار حتى عفته أي تواظبت عليه. قال ذلك الليث.قلت: وهذا غلط. ومعنى تعاورت الرياح رسم الدار: تداولته، فمرة تهب جنوبا، ومرة تهب شمالا، ومرة قبولا، ومرة دبورا.

وقال ابن الأعرابي: التعاور والاعتوار: أن يكون هذا مكان هذا وهذا مكان هذا يقال اعتوراه وابتداه هذا مرة وهذا مرة[2].

إذن تعاور المفردات يعني: تداولها, وأن تكون هذه مكان هذه, وهذه مكان هذه.

وهذا الباب باب تعاور الكلمات هو شبيه بباب التشابه والاختلاف في القرآن الكريم, وإن كان هذا الأخير أوسع وقد عرضت منه شيئا. فالأوّل خاص بالمفردات, يقول الأستاذ في ذلك:" قد تتعاور المفردات في التعبير القرآني فتستعمل مفردة في موطن, وتستعمل غيرها في موطن آخر شبيه به, بل في القصة الواحدة قد تستعمل مفردة في موضع, وتستعمل غيرها في موضع آخر مع أن القصة واحدة والموقف واحد"[3], ومما مثل به الدكتور هنا قوله تعالى:

﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[البقرة: ٦٠], وقوله: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[الأعراف: ١٦٠], فخالف بين المفردتين مع أن القصة واحدة والموضوع واحد.

[1] – المصدر نفسه: ص: 107.

[2] - ، تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي, تح: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط:1, 2001م, 3/ 105.

[3] – بلاغة الكلمة, ص: 109.

وكقوله تعالى:﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾[مريم: ١٠].
وقوله تعالى:﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[آل عمران: ٤١] [1].
إلى غير ذلك من المواضع.

ويوضح الأستاذ أن ذلك ليس تناقضا ولا اختلافا بل إن ما ذكره في الموضعين حق حتى لو اختلفت معنى المفردتين, ذلك أن المذكور قد يكون عاما في موطن وخاصا في موطن آخر, وقد تكون له حالتان فيذكر حالة في موطن ويذكر حالة أخرى في موطن آخر, وقد يكون الأمر عاما فيذكر جزء منه في موطن ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر, وهكذا, وكل ذلك حسب ما يقتضيه السياق والمقام[2].

ومما مثل له في هذا الباب قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[البقرة: ٦٣] ,وقال في النساء: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾[النساء: ١٥٤], في حين قال في الأعراف:﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[الأعراف: ١٧١].

فاستعمل (الطور) في آيتي البقرة والنساء, واستعمل (الجبل) في آية الأعراف ذلك أن التهديد في آية الأعراف أشد فاستعمل لفظ (الجبل), فإن الجبل اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض, ولا يشترط في الطور ذلك, فالجبل أعظم من الطور, ولذلك يجيء في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة اسم الجبل وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى عليه السلام:﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ﴾[الأعراف: ١٤٣], فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور للدلالة على عظم التجلي وأثره[3].

[1] – المصدر نفسه: ص: 109.
[2] – المصدر نفسه: ص: 109-110.
[3] –المصدر السابق: ص: 110-111.

وبهذا المثال ننهي هذه الجولة الممتعة في أسرار التعبير القرآني والتي نخلص في نهايتها بما خلص إليه الدكتور فاضل السامرائي بأن التعبير القرآني تعبير فني مقصود معجز كل لفظة بل كل حرف وضع في مكانه المناسب به. كما تعتبر هذه الجهود التي قدمها الدكتور الخطوات الأولى ومقدمة سيره على طريق التفسير البياني, والذي يعدّ المجال التطبيقي الأوسع لما نظر له وقرره من قواعد في المؤلفات المذكورة.

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره "على طريق التفسير البياني"

"على طريق التفسير البياني" آخر حبات العقد لما سنقوم به من دراسة لجهود الدكتور فاضل السامرائي, يتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء, صدر الجزء الأول منها عام(1423هـ/2002م), تناول فيه بالتفسير عددا من سور القرآن الكريم , وخصّ هذا الجزء بمقدمة بيّن فيها سبب تسمية الكتاب, وبعض قواعد منهجه, وتعريفا للتفسير البياني, كما تكلم في هذه المقدمة عن ما يحتاج إليه المتصدّي للتفسير البياني من أدوات تمكنه من ذلك, بالإضافة إلى ما عرضه من مسألة "المتشابه والاختلاف في التعبير القرآني", من نحو ما ذكرنا سابقا, أما السور التي تضمنها هذا الجزء فهي:(المعوذتين- الإخلاص- الكوثر- قريش- الضحى- الليل- الإنسان- الصف- الحديد), والملاحظ في هذه السور أنها لم تكن مختارة على حسب ترتيبها في المصحف وإنما كان انتقاءً لم يذكر الدكتور سببه.

أما الجزء الثاني والثالث فقد صدرا بعد الجزء الأول بسنتين (1425هـ-2004م), وقد خصّ الثاني منهما بدراسة سورة (يس) و(لقمان), والجزء الثالث بسورة (هود), وقد قسم هذا الأخير حسب القصص الواردة في السورة:(قصة هود, قصة صالح, قصة إبراهيم, قصة لوط, قصة مدين وشعيب, وأخيرا قصة موسى).

المطلب الأول: اسمه والباعث على تأليفه: يتكلم السامرائي في بداية مقدمة تفسيره عن تسميته ب" على طريق التفسير البياني" بدلا من " التفسير البياني" فيقول: هذا كتاب في سلسلة كتب التعبير القرآني التي كتبتها آثرت أن أسميه (على طريق التفسير البياني), ولم أشأ أن أسميه (التفسير البياني), لأنه في الحقيقة ليس تفسيرا بيانيا للقرآن الكريم, وإنما هو قد يكون خطوة أو خطى على طريق التفسير البياني أو نقطة فيه, قد تكون نافعة لمن يريد أن يسلك هذا السبيل.[1]

المطلب الثاني: ما جاء في مقدمة الكتاب:

[1]- على طريق التفسير البياني : مصدر سابق, (المقددمة).

إن من عناية العلماء بعلم التفسير أن قدموا له بمقدمات في تفاسيرهم أو في كتب مستقلة شرحوا فيها الكثير من أصول هذا العلم, كما تكلموا فيها على ضوابط التفسير وما ينبغي للمفسر أن يكون عليه وما ينبغي له أن يعلمه, وآدابه, إلى غير ذلك من مناهج أو قواعد ساروا عليها, وهذا شأن فاضل السامرائي في ذلك حيث قدّم لتفسيره بمقدمة –وإن لم يطل الكلام فيها– كانت فاتحة كتابه. وأهم ما جاء فيها:

أولاً:تعريف التفسير البياني: وقد مرّ تعريفه في الفصل الأول من هذه الدراسة بالإضافة إلى ما اختاره من تعريفات التفسير عموما.

ثانيا: ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني: أو أدوات المفسر ويقصد بها العلوم التي تعين المفسر على فهم كتاب الله عز وجل على الوجه الصحيح, وقد عقد الأستاذ فصلا لما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني, فصّل فيه القول معتبرا أن المفسر البياني يحتاج إلى ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير العام, إلاّ أنّه بحاجة أكثر إلى بعض التبحر في بعض العلوم[1], وهذه العلوم هي:

1/ التبحر في علم اللغة.

2/ التبحر في علم التصريف.

3/ التبحر في علم النحو.

4/ التبحر في علوم البلاغة.

يقول: وبعبارة موجزة (التبحر في علوم اللغة العربية) فلا تغني المعرفة اليسيرة بل ينبغي للمفسر البياني أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللغة.[2]

ثم يضيف قائلا: فالمعرفة الواسعة والتبحر في علوم اللغة من ألزم الأمور للمفسر, وهي للمفسر البياني ألزم, فينبغي له أن يعرف المجرد والمزيد وأغراض الزيادة واختلاف الصيغ ومدلولاتها, وأن يكون له باع طويل في معرفة الاشتقاق وأحوال المشتقات.

وأما النحو فهو أوضح من أن تبين أهميته في هذا الشأن فإن تغيير الحركة قد يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله, فلو غيّرت الحركات في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] من فتحة إلى ضمة, ومن ضمة إلى فتحة فقرأها...لفسد المعنى وأصبح كفرا.

[1]– المصدر نفسه: 1/ 7.

[2]– المصدر السابق: ص:7.

وإذا كان لا يعلم الفرق بين الحروف والأدوات فقد يؤدي ذلك في أحيان كثيرة إلى الإحالة إلى المعنى وربما إلى الكفر, وأظن أنه لا يخفى عليك قول ابن عباس وغيره في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٧٢], أنّهم لو قالوا نعم لكفروا.

وكذلك بالنسبة إلى علوم البلاغة فإنّ ذلك من ألزم الأمور لمعرفة الفصاحة والأغراض التي يخرج إليها الكلام والفصل والوصل, والتقديم والتأخير, والحقيقة من المجاز إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بعلم البلاغة. فلا يجوز لمن ليس له علم واسع بكل ذلك ان يمسك قلمه ليفسر كلام الله.

5/ القراءات: فبالقراءات يترجح بعض الوجوه على بعض, وقد تكون القراءتان أو القراءات مما يدل على كمال البلاغة وتمامها, فمن ذلك على سبيل المثال قراءة (مالك يوم الدين), وقراءة (ملك يوم الدين) فقد جمع له بالقراءتين الحكم والتملك.

والقراءات المتعددة قد تكون أدل شيء على الإعجاز ذلك أنه تحداهم بالقرآن فعجزوا ثمّ جاء بقراءة أخرى فعجزوا ثمّ جاء بقراءة أخرى فعجزوا مما يدل على كمال القدرة لله وعجز البشر أمامها على كل حال[1].

6/ أسباب النزول: وهو من الدلائل المهمة على فهم المعنى فبه تعرف كثير من الأمور التي قد

يصعب فهمها لولاه[2].

7/ النظر في السياق: فإن ذلك من ألزم الأمور للمفسر عموما وللمفسر البياني على وجه الخصوص, فبالسياق تتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة. والسياق من أهم القرائن التي تدل على المعنى..وعدم النظر في السياق قد يوقع في الغلط وعدم الدقة في الحكم.

8/ مراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يراد تبيينه.

9/ مراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها.

[1]-المصدر نفسه: ص: 10.

[2] -على طريق التفسير البياني ص: 11.

10/ أن يعلم أن هناك خصوصيات في الاستعمال القرآني.

11/ أن ينظر في الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع في المعنى أو التقييد فيه وما إلى ذلك.

12/ أن يسترعي نظره أي تغيير في المفردة والعبارة ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال فإنه ذو بال.

13/ إدامة التأمل والتدبر وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معان جديدة..وكلما أمعنت في التدبر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم منك على بال. فأدم التدبر والتفكر فيما استعصى أمره ولا تمل من ذلك...[1].

14/ أن يكون قد اطلع على جملة صالحة مما كتبه من تقدمه من مشاهير المفسرين, ونظر في كتب علوم القرآن وكتب الإعجاز وكتب التشابه وتناسب الآيات والسور, وما إلى ذلك مما كتب في أسرار التعبير القرآني فإن فيها أسرارا بيانية وفنية بالغة الرفعة.

15/ وأساس ذلك كله الموهبة, فإن الموهبة أساس كل علم وفن وصنعة فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن, على ألا يعتمد على الموهبة وحدها بل عليه أن ينميها ويصقلها بكثرة الاطلاع والنظر والتدقيق والتأمل.[2]

ولم يخرج فاضل السامرائي فيما ذكره عن شروط المفسر التي ذكرها العلماء من قبله وفصلوا فيها القول.فقد ذكر السيوطي عن بعض العلماء قولهم لمن أراد أن يفسر كلام الله أن يكون جامعا لخمسة عشر علما وفصل القول فيها[3]. إلاّ أنّ بعض هذه الأدوات ألزم للمفسر البياني من المفسر العام, وهذا ما نوّه عليه الدكتور السامرائي.

ثالثا: التشابه والاختلاف في التعبير القرآني: تكلم المؤلف في كتابه (التعبير القرآني) عن التشابه والاختلاف في تعبيرات القرآن, وليس في ذكرها هنا زيادة توضيح منه فنكتفي بما ذكرناه في موضعه, إلا أنه وفي ختام حديثه ذكر مسألة " أقوال الرسل في القرآن الكريم" هل ما ورد في القرآن الكريم منها محض كلامهم؟ فيقول: وثمّة مسألة أخرى ما كان يجدر بي أن أذكرها لأنها من الوضوح

[1]-المصدر نفسه: ص: 12-13.

[2] -المصدر نفسه: ص:13-14.

[3]-الإتقان: مصدر سابق, ص: 15.

بمكان, لولا أني سئلت عنها أكثر من مرّة: فقد سئلت: هذه الأقوال التي يحكيها الله عن الرسل أو الأشخاص الماضيين أهي عين أقوالهم؟.

والجواب: أنها ترجمة لأقوالهم وهي ترجمة دقيقة صيغت صياغة فنية بحسب ما يقتضيه المقام الذي أوردت فيه, ومن المعلوم في فن الترجمة أنه يمكن للنص الواحد أن يترجم عدة ترجمات مختلفة كلها صحيحة غير أن بعضها أمثل من بعض, بل هي تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا في الجودة والحسن مع أن فحواها واحد[1].

المطلب الثالث: المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره:

لقد تعددت اتجاهات التفسير في العصر الحديث وتنوعت مناهجه, ولكن ومهما بلغ بالمفسر المتأخر من عناية بكتاب الله عز وجل فلا غنى له عن ما قدمه الأوائل من جهود في هذا العلم " فالذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف ألوانها لا يدخله شك أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وفاه هؤلاء الأقدمون حقّه من البحث والتحقيق, فالناحية اللُّغوية، والناحية البلاغية، والناحية الأدبية، والناحية النحوية...الخ كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون الأول بتوسع ظاهر ملموس"[2] ومع ذلك يبقى المجال مفتوحا في الاستفادة منهم من جهة, والإضافة على جهودهم من جهة أخرى. كل مفسر حسب تخصصه.

والملاحظ في مفسرنا اعتماده الكبير على جهود من سبقه مع الثنائية في ذلك بين كتب التفسير, و كتب اللغة العربية بمختلف علومها, وسأذكر جملة ما اعتمد عليه الدكتور السامرائي من مراجع, ثم منهجه في الاستفادة منها.

مصادره من كتب التفسير: تفاوت اعتماد الدكتور السامرائي على كتب التفسير حسب تفاوت هذه الأخيرة في الاهتمام بالجوانب البلاغية في القرآن الكريم, مع اقتصاره على الكتب التي تناولت هذه الجوانب بالدراسة دون غيرها إلا في القليل النادر وهذه جملة ما اعتمد عليه الدكتور من كتب:

- الكشاف لجار الله للزمخشري (ت538هـ).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت542هـ).
- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (ت606هـ).

[1] – على طريق التفسير البياني: ص:21.

[2] – محمد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ): التفسير والمفسرون, مكتبة وهبة، القاهرة, ج:2, ص: 363.

- تفسير القرطبي (ت671هـ).
- ملاك التأويل لأبي جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي (ت708هـ).
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت745هـ).
- التفسير القيم لابن القيم الجوزية (ت751هـ).
- تفسير ابن كثير (ت774هـ).
- تفسير الثعالبي (ت876هـ).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت885هـ).
- أنوار التنزيل للقاضي البيضاوي (ت961هـ).
- فتح القدير للشوكاني (ت1281هـ).
- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم لشهاب الدين الألوسي (ت1342هـ).
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت1393هـ).
- في ظلال القرآن لسيد قطب (ت

مصادره من كتب اللغة العربية: ما يلاحظ في مراجع تفسيره اعتماده الكبير على كتب اللغة العربية من قواميس, ونحو وبلاغة ..وغيرها وهذه المراجع هي:

- كتاب سيبويه (ت180هـ).
- أدب الكاتب لابن قتيبة (ت286هـ).
- الخصائص لابن جني (ت392هـ).
- فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي (ت429هـ).
- أساس البلاغة لجار الله الزمخشري (ت538هـ).
- شرح المفصل للزمخشري لموفق الدين ابن يعيش (ت643هـ).
- شرح الشافية و شرح الكافية, لرضى الدين الاسترابادي (ت688هـ).
- لسان العرب لابن منظور (ت711هـ).
- المصباح المنير للفيومي (ت770هـ).
- القاموس المحيط للفيروز آبادي (ت817هـ).
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (ت900هـ).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي (ت911هـ).
- تاج العروس شرح القاموس لمرتضى الزبيدي (ت1205هـ).
- حاشية الصبان على شرح الأشموني (ت1206هـ).
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (ت1230هـ).
- التطور النحوي للغة العربية: لبراجتستراسر
- النكت في تفسير كتاب سيبويه

كتب علوم القرآن: ولها في تفسيره الحظ الأقل وتتمثل هذه الكتب في:

- البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ت398هـ).
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (421هـ).
- لباب النقول في أسباب النزول للواحدي (ت468هـ).
- المفردات للراغب الأصفهاني (ت502هـ).
- النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ت597هـ).
- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت791هـ).
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت 911هـ).

كتبه التي اعتمد عليها:

- دراساته في التعبير القرآني: التعبير القرآني, بلاغة الكلمة في التعبير القرآني, من أسرار البيان القرآني, لمسات بيانية في نصوص التنزيل.
- دراساته اللغوية: معني النحو, الجملة العربية تأليفها وأقسامها, ومعاني الأبنية في اللغة العربية

مسلكه في المسائل الخلافية وطريقة سرد الأقوال: إن أبرز نقاط تعامل المؤلف مع مصادر تفسيره عدم الخوض في الجدليات من أي نوع, أو عرض الخلافات والاختلافات الواقعة بين المفسرين, فقد انتهج في نقله سبيل التدليل على آرائه, وانتقاء الأقوال بما يناسب المسألة المدروسة فنجده تارة يشبع المسألة شرحا ثمّ يعقب عليها بأقوال المفسرين, وتارة أخرى يعرض لأقوال المفسرين أو النحاة أولا ثمّ يعقب عنها موضحا أو مضيفا إليها أو معلقا عليها بخلاصة القول نحو في تفسيره لمعنى (الصمد), والأول أكثر.

أما إذا كان في المسألة أكثر من قول فيعرض للأقوال ثمّ يرجح بينها بقوله:" والذي يترجح" أو "والذي يترجح عندي" معللا سبب ترجيحه لقول دون آخر, وربما أضاف على ما رجحه رأيا ثالثا نجد مثلا لهذا في تفسيره للفظ (الوسواس), وقد يورد الأقوال ويسكت عنها فلا يضيف لها قولا ولا تفسيرا نحو في تفسيره لقوله تعالى:"هل أتى", وأحيانا نجده يذكر أقوال المفسرين ثم يجمع بينها إذا كانت الآية تحتمل أكثر من وجه.

المبحث الثالث: منهجه في التفسير والقواعد التي اعتمد عليها من خلال تفسره.

المطلب الأول: الأسس المنهجية في تفسيره:

لقد أشرت سابقا أنّ المنهج في التفسير البياني عانى صعوبات عدة حالت دون تطبيقه بالصورة التي رسمها واضعه, إلاّ أنّه ورغم ذلك توسعت الدراسات في هذه الناحية وفقا لرؤى متعددة تختص بالمفسر ذاته, وتنصب في مجملها في تفسير القرآن من الناحية الفنية, مظهرة جمالياته من حيث مفرداته ومن من حيث نظمه, مع التنويه على أن مبادئ هذه المدرسة لم تختف بالكلية في هذه الدراسات. وشملتها من جانب من جوانبها أو من جوانب عدة بصورة أبسط أو أعمق, حسب نظرة المفسر.

ومن هنا كان للسامرائي نظرته الخاصة في الأسس التي انتهجها في تفسيره, وقبل التطرق لأسسه نعرف المنهج عموما لنبني عليه.

فالمنهج في العلوم التطبيقية هو:"الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة محددة".[1] ومنه فالمقصود بالأسس المنهجية عند السامرائي: هي الطريقة التي سلكها للكشف عن معاني القرآن بواسطة مجموعة من السبل يسلكها اختطها لنفسه واختارها دون غيرها، للوصول إلى مراده من تفسيره للقرآن الكريم[2].

[1] – مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي, وكالة المطبوعات–الكويت– ط:3, 1977, ص:6.

[2] – استفدت ذلك من: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ): تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة), تح: د. مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان, ط:1, 1426 هـ – 2005 م, ص: 315.

وحسب الاستقراء وتتبع طريقته التي سار عليها وجدنا أن المؤلف له منهج خاص في التفسير عموما, ومنهج سار عليه في تفسير القصة القرآنية سنعرض لهذا الأخير في حينه, وأوّل الأسس المنهجية التي تميز بها هي:

أولا: الاحتمالات التعبيرية[1]:

وهي افتراضية النص القرآني على غير وجهه الذي قيل به من حيث التركيب مع الاحتفاظ بمفرداته وحروفه دون نقص, فيقدم ويؤخر بكل الأوجه المحتملة, وقد يزاد في التعبير أداة من الأدوات يحتملها السياق, ثم يجري مقارنة بينها وبين النص القرآني ليقف على براعة التعبير القرآني وإعجازه.

وهذا المنهج الذي رسمه لنفسه وسار عليه في تفسيره لعله اقتبسه من منهج الباقلاني في مقابلة النص القرآني بنصوص من الخطب والأدب الجاهلي كمعلقة امرئ القيس[2]. ومن قبله الرماني انتهج هذا السبيل, وإن كان الرماني لم يكثر من هذه الموازنات بين القرآن الكريم وكلام العرب بأنواعه وما أشتهر عنه موازنته بين قوله تعالى:﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[البقرة: ١٧٩],وقول العرب " القتل أنفى للقتل" [3].

ونرى أن ما ذهب إليه المؤلف أصوب فالإعجاز البياني لا يحتمل وجود المثل والنظير[4], فعند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص:4], يسوق الاحتمالات التعبيرية ويبين ضعفها موازنة بالنص القرآني الذي يجعله خاتمة هذه الاحتمالات فيقول:" إن الاحتمالات التعبيرية في نحو هذا الكلام على النحو الآتي:

- لم يكن أحد كفوا له.
- لم يكن أحد له كفوا.
- لم يكن كفوا أحد له.
- لم يكن كفوا له أحد.
- لم يكن له أحد كفوا.
- لم يكن له كفوا أحد.

[1] – على طريق التفسير البياني: 1/ 70.

[2] – إعجاز لقرآن ومسائل ابن الأزرق: مرجع سابق, ص:111.

[3] – ثلاثة رسائل في الإعجاز: مصدر سابق, ص: 77.

[4] – المصدر السابق: ص: 113.

ويبدأ بعد ذلك في توضيح الخلل الذي يتضمنه التعبير المصطنع وما يؤدي إليه من عدول عن المراد من معنى الآية: فعلى سبيل المثال يقول: فقولنا (لم يكن أحد كفوا له) نفى الكفاءة له ولم يذكر الكفاءة بالنسبة غلى غيره فقد يتكافؤون أو يتكافؤون كما تقول (لم يكن أحد راغب عنك)[1]. وهكذا يفعل مع كل تعبير افترضه .

-ويورد عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] شواهد اصطناعية مما يحتمله السياق ليبين سبب تقديم (الذين آمنوا) على (تخشع قلوبهم), ثم الإتيان بالضمير العائد عليهم فيقول: وقد تقول إذا كان المراد خشوع القلب فلم لم يقل مثلا: (ألم يأن لقلوب المؤمنين أن تخشع لذكر الله) أو (ألم يأن أن تخشع قلوب المؤمنين لذكر الله) ونحو ذلك وقال:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾.ثمّ يجيب على هذا التساؤل. والجواب ليس هذا موضعه إنما الغرض هنا الوقوف على هذا المنهج في تفسيره.

وقد لا تكون الاحتمالات التعبيرية كثيرة, فأحيانا وهو الغالب في تفسيره يورد الاحتمال الأقرب إلى الذهن ليبين من خلاله مدى ترابط التعبير القرآني ببعضه البعض أو لإبراز حقيقة فنية تضمنها التعبير الرباني.

ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[يس: ٤٠].

إذ قال: إن هذا التعبير ربط الكلام بما قبله ولو قال (لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر..) لم يرتبط الكلام فإنه لو قال (والشمس تجري لمستقر لها ..والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر) لوجدت الكلام مقطعا غير متصل بخلاف قوله: (لا الشمس يبغي لها..)[2].

ومن ذلك أيضا ما احتمله من تعبيرات لقوله تعالى:﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود: ٦] لتوضيح موافقة التعبير القرآني لدلالة الحصر دون غيرها, فيقول: ثمّ قال (على الله رزقها) فقدم الخبر (على

[1] – على طريق التفسير البياني: 1/70-71.

[2] – على طريق التفسير البياني: 2/ 138.

الله) على المبتدأ (رزقها) وذلك للحصر للدلالة على أن رزقها عليه حصرا لا على غيره, ولو قال:(إلا رزقها على الله) لم يفد الحصر..ولو قال: (كل دابة على الله رزقها) لأفاد العموم أيضا[1].

والأمثلة كثيرة وسعها كتاب " على طريق التفسير البياني" ويضيق المقام بأكثر مما ذكرنا.

ثانيا: العرض عن طريق طرح الإشكالات والإجابة عنها:

وذلك بطرح تساؤل بصيغة المخاطب "وقد تقول" وهذا المسلك الذي سار عليه السامرائي في عرض تفسيره لا تكاد تخلو منه صفحة في كتابه من بدايته إلى نهايته. وهو منهج صاحب ملاك التأويل حيث يورد تساؤلات ويجيب عن فحواها.

ثالثا: الموازنة بين النصوص القرآنية:

والمقصود مقابلة النصوص القرآنية التي ظاهرها التشابه بعضها ببعض, والوقوف على أسباب التشابه والاختلاف بينها, وهذا المنهج الذي سلكه منذ بداية دراسته للنص القرآني حيث يقول:"..ثم قررت أن أدرس النص القرآني بنفسي فبدأت أجري موازنات بين الكثير من الآيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير, والتقديم والتأخير, والذكر والحذف وما إلى ذلك من أمور لغوية وبلاغية ومعنوية وأفحصها فحصا دقيقا.."[2].

وقد طبق هذا المنهج في تفسيره أتم تطبيق فكان يعرض الآية على نظيرتها ليقف على أسرار التركيب في كليهما مستعينا في كل ذلك بمعرفته الواسعة بقواعد اللغة العربية, ونجده تارة يعقد جدولا لهذه الآيات لتكون أوضح في التمييز بينها وأسهل في الموازنة, وذلك نحو ما فعل في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤], وقوله تعالى:﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[الحديد: ٢١].

فيقول: وثمّة اختلاف ظاهر بين الآيتين على ما بينهما من تشابه كبير نجمله بما يأتي:

آية الحديد	آية آل عمران

[1] – المصدر نفسه: 3/ 24-25.

[2] – التعبير القرآني: مرجع سابق, ص:7.

سابقوا	وسارعوا
كعرض السماء والأرض	عرضها السماوات والأرض
(بذكر أداة التشبيه وإفراد السماء)	(بحذف أداة التشبيه وبجمع السماء)
أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله	أعدت للمتقين الذين ينفقون
ذلك فضل الله	—
والله ذو الفضل العظيم	—

-وقد يعقد لمقارنة بين الآية ونظيرتها دون جدولة إذا كانت أوجه التشابه بينهما قليلة, وهذا الغالب إذ لا يكاد يتجاوز آية لها وجه شبه مع أخرى إلا ذكر نظيرتها ووازن بينهما بما يجلي سر الاختلاف بينهما.

رابعا: استخلاص الوجوه الفنية في الآية:

اعتنى السامرائي في تفسيره باستخلاص الوجوه الفنية في كثير من الآيات, وقد عبر عنها بعدة تعبيرات بعد النظر في مضمونها رأينا أن كلها تصب في معنى واحد إذا تجاوزنا بعض الفروق البسيطة وهو ما عنونا به, فأحيانا يطلق عليها "لطائف التعبير", وأخرى يدرجها تحت عنوان: "الوجوه الفنية في التعبير", أو " النظر في الآية من الناحية البيانية", أو " الأمور البيانية" ..وذلك حسب ما يقتضيه السياق التفسيري للآية. فيقول مثلا بعد تفسير سورة الإخلاص:" ثمّ انظر إلى ما في السورة من لطائف.."[1] ويذكر بعد ذلك وجوها فنية في اشتملت عليها هذه الآيات القرآنية.

-ويستخلص الوجوه الفنية في قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[الكوثر:١] , فيقول:" فانظر إلى ما في هذا التعبير من وجوه فنية:

1- التوكيد بإنّ.

2- إسناد الفعل إلى ضمير العظمة أعطينا.

3- جعله خبرا للضمير المتقدم لغرض التوكيد والاختصاص....[2]إلى غير ذلك مما ذكر من وجوه.

-وتحت مسمّى بناء الآية في تفسيره لقوله تعالى:﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴾[يس: ٤٦], يقول: ومن الملاحظ في بناء هذه الآية:

[1] - المصدر السابق: 73/1.

[2] - على طريق التفسير البيان: 1/ 84

1- أنه نفى بـ(ما) ولم ينفي بـ(لا)..

2- جاء بالفعل المضارع فقال (لم تأتيهم) لأنه يريد أن يبين أن هذا شأنهم وديدنهم وليدل على الاستمرار....

3-جاء بمن الدالة على الاستغراق وذلك ليشمل الإعراض عن جميع الآيات...[1]

-وللنظر الآن في نظره من الناحية البيانية لقوله تعالى﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[هود: ٢٩] مستخلصا الوجوه الفنية في الآية فيقول: والآن ننظر في هذا التعبير من الناحية البيانية:

1- فنفى السؤال بـ(لا) فقال (لا أسألكم) وحيث نفى هذا الفعل بـ(لا) جرد مفعوله من (من) الاستغراقية...

2- قال ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ فأكد النفي بالباء الزائدة.

3- وأضاف اسم الفاعل (الطارد) إلى ما بعده وهو الاسم الموصول ولم ينون اسم الفاعل فلم يقل (وما انا بطاردٍ) وذلك للدلالة على إطلاق الزمن أي لم أفعله في الماضي ولا أفعله في الحال ولا الاستقبال.

-وفي تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[هود: ٤٤].

يستخلص خمسة عشر وجها بيانيا لهذه الآية تحت مسمى أمور بيانية قائلا: وعلى أية حال فنحن نذكر شيئا من الأمور البيانية في هذه الآية:

1- بدأ بفعل القول (قيل) والقول يقال لمن يسمع ويعقل.

2- وقال (يا أرض) فناداها بحرف النداء (يا) الذي هو للبعيد, ولم يرد في القرآن الكريم حرف نداء غيره.

3- وقال (ابلعي) ولم يقل (ابتلعي) لأن ابتلع على وزن (افتعل) الذي يدل على التكلف والاجتهاد وهو يحتاج غلى وقت اطول...

4- وقال (ابلعي ماءك) فذكر مفعول البلع لأن بلع الماء هو المقصود.

وهكذا يضع الدكتور بين يدي القارئ ما احتملته الآية من وجوه فنية بأسلوب سهل وواضح, حيث يعرض لها على شكل عناصر.

[1] - المصدر نفسه: 2/ 164.

خامسا: التيسير في عرض ما فتح الله عليه في التفسير البياني للعامة والخاصة:

انتهج المؤلف في كتبه أسلوب التبسيط والتيسر فيما يعرض إليه من مسائل بيانية, وتتجلى لنا مظاهر هذا التيسير في عدة نقاط:

1- ما ذكر في كتبه, فقد جاء قوله في كتابه (التعبير القرآني) :" أن كثيرا من الناس ليس لديهم اطلاع على مسلمات اللغة وأسرارها ومن الصعب أن يهتدي هؤلاء إلى أمثال هذه المواطن من غير دليل يأخذ بأيديهم يدلهم على مواطن الفن والجمال ويبصرهم بأسرار التعبير ويوضح لهم ذلك بأمثلة يعونها ويفهمونها"[1].

ويقول في مقدمة تفسيره:" وعملت على أن يكون الكتاب ميسور الفهم لمن يقع في يديه غير أنه لا شك أنه سيكون أوضح في الحجة وأبين في الاستدلال لمن كان له بصر باللغة ومعرفة بأحكامها"[2].

ويتضح لنا من هذين النصين أن الدكتور اتخذ ذلك منهجا يسير عليه هادفا إلى تيسير فهم القرآن الكريم للعام والخاص.

2- أسلوب المخاطبة (وقد تقول) الذي يشد القارئ إلى ما الذي سيقوله وبذلك يستفز فيه روح المعرفة لانتظار الجواب.

3- وقد أشرنا سابقا إلى أن من أسلوبه في تقريب المعنى إلى القارئ قوله: "وأنت ترى الفرق بين المقامين" ونحو هذا التعبير كثير مما يبسط الفهم ويشحذ الهمم للنظر في دستورهم وتأمل كلام ربهم.

4- ضرب الأمثلة وذلك على طريقة أهل النحو لتوضيح معنى غامض يحتاج لزيادة شرح وتوضيح.

سادسا: التعليل لأسرار التعبير القرآني:

آخر ما نعرض له مما سلك من طرق لتوضيح المعنى, وأهم السبل التي انتهجها للكشف عن البلاغة القرآنية وهو ما تميز به عن غيره من المفسرين البيانيين. فالتعليل لأسرار التعبير القرآني هو ما أضافه السامرائي إلى من سبقوه في منهجية التفسير البياني للقران الكريم,فلم يتوقف في دراسته في التفسير البياني عند الألفاظ والتعبيرات القرآنية, بل تجوزها إلى محاولة بيان علة هذي الأسرار الكاملة وراء الإعجاز, فقد كانت دراسته تعتمد على إجراء الموازنات بين النصوص القرآنية ومعرفة نقاط التشابه والاختلاف فيما بينها[3]. فنجده يعلل لبنية الكلمة وتركيب الجملة من حيث التقديم والتأخير والذكر والحذف ..الخ

[1] – التعبير القرآني: مرجع سابق, ص: 8.

[2] – على طريق التفسير البياني: (المقدمة)

[3] – توفيق زيادي: مرجع سابق, ص: 14.

المطلب الثاني: القواعد التي اعتمد عليها في تفسيره:

أولاً: القرآن الكريم:

لا يستغني مفسر للقرآن الكريم عن اتخاذ القرآن نفسه كقاعدة أولية وأساسية في الفهم لآياته ومفرداته, "فإن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن, فما أجمل في مكان قد فسر في موضع آخر, وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر[1], ولهذا كان لابد لمن يعترض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولا, فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد, ويقابل الآيات بعضها ببعض...وهذه مرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره[2].

وتقع وجوه الاختلاف بين كل مفسر وآخر في استخدام هذا النوع من التفسير بأنواعه المختلفة حيث نرى من يستعين به في معنى لفظة أو تحديد دلالتها، أو توضيح حكم، أو جمع تفاصيل قصة من القصص القرآني وزعت في سور كثيرة...[3].

وكان اعتماد السامرائي على هذه القاعدة واضحا في تفسيره, إذ يتوخى دلالة لفظة أو معنى آية بما يشابهها, أو يسرد الآيات المتناسبة في المعنى, كل ذلك يطلبه من القرآن الكريم نفسه, ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾[الإنسان: ٢٤], فيقول في معنى (الحكم): وقد يكون الحكم بمعنى القضاء.

ومنه قوله تعالى:﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾[الرعد: ٤١],وقوله: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾[الأنعام: ٥٧], فيكون المعنى اصبر لما حكمه الله وقضاه[4].

-ومن ذلك في تفسير لفظ اللعب في قوله تعالى:﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾[الحديد:٢٠] , فبدأ باللعب وهو ما يقع في دور الطفولة والصبا,

---

[1]- مقدمة في أصول التفسير: تقي الدين ابن تيمية الحراني دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان, ط: 1490هـ/ 1980م, ص: 39.

[2]- التفسير والمفسرون: مرجع سابق 1/ 275 .

[3]- منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير: نبيل أحمد صقر, الدار المصرية – القاهرة, ط:1, 1422هـ/ 2001م, ص:55.

[4]- على طريق التفسير البياني: 1/ 189.

هذا هو الأصل, وإن كان يطلق اللعب أحيانا على نقيض الجد كقوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة: ٦٥], وقوله:﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[الزخرف: ٨٣], وقوله:﴿ بَل هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾[الدخان: ٩], وقوله:﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾[الأنبياء: ٥٥][1].

–ومنه عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾[الحديد: ٢٨], يقول: والمؤمنون به من المسلمين عليهم أن يتقوا الله ويثبتوا على الإيمان برسوله, وهذا نظير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[النساء: ١٣٦], أي اثبتوا على ذلك[2].

–ويقول عند تفسير قوله تعالى:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[يس: ٦]. والمعنى: لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم ولذلك هم غافلون فإن عدم الإنذار هو سبب غفلتهم المستحكمة. فإن هؤلاء القوم لم يأتهم من نذير كما قال تعالى:﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[القصص: ٤٦][3].

–ومنه أيضا عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾[يس: ١٤], يقول: قال (أرسلنا إليهم) ولم يقل (أرسلنا لهم) كما قال (جاءها) لأن الإرسال في الحقيقة إلى أهل القرية لا إلى القرية, أما المجيء فكان إلى القرية, فإن القرية تطلق على المساكن و الأبنية والضياع وإن كانت خالية, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾[البقرة: ٢٥٩][4].

وأكتفي بهذا القدر وإن كانت الأمثلة على هذه القاعدة كثيرة, فالاعتماد على القرآن كقاعدة أولية تشمل جوانب عدة أمرٌ بارزٌ في تفسير السامرائي.

---

[1] – المصدر نفسه: 1/ 275.

[2] – المصدر نفسه: 303/1.

[3] – المصدر نفسه: 15/2

[4] – المصدر السابق: 52/2.

ثالثا: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:

ويعني أن النزول القرآني جاء بلفظ العموم وفي سبب خاص, فالعبرة تكون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب, وحكمها يتعدى السبب الذي نزلت فيه الآية إلى الأسباب الأخرى المناظرة[1].

وهذه القاعدة أشار إليها المفسر أثناء تفسيره لسورة الكوثر حيث أورد سبب نزول السورة ثم علق عليه قائلا: ولا يعنينا القائل من هو فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم[2].

ويورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الليل: ٦], سبب النزول فيقول: فأما تقديم العطاء فقال فيه المفسرون إنه لكونه سبب النزول ذلك أن سبب النزول كان في شخص أعطى ماله في سبيل الله وأجمعوا على أنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه, وذهب الشيعة على أنه علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه[3], ونحن لا يعنينا هنا تعيين الشخص من هو فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب, فإن اللفظ يشمل كل من اتصف بالصفات التي ذكرها ربنا سبحانه[4].

ويؤكد هذه القاعدة في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[لقمان: ٦].

ومما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في النضر بن الحارث وكان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم, وفي بعض الروايات كتب الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون سماع القرآن[5].

ثمّ يقول بعد ذلك معلقا: ومهما ذكر من أسباب لنزول الآية فإنها لا تخص واحدا بعينه بل تعم كل من ينطبق عليه الوصف[6]

ولذلك يورد أحيانا سبب النزول دون أن يعلق عليه بشيء فكأنه يستأنس به لا غير, نحو ما أورده في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾[يس:

---

[1]- أسباب النزول القرآني: غازي عناية: دار الشهاب-باتنة, الجزائر, ط:1, 1407هـ/1987م, ص: 56.

[2]- على طريق التفسير البياني: 75/1 .

[3]- البحر المحيط: مصدر سابق: 492/10.

[4]- المصدر السابق: 1/ 129.

[5] - الكشاف: مصدر سابق, 490/3.

[6] - فاضل السامرائي: على طريق التفسير البياني: 290/2.

٧٧],يقول: قيل جاء أحد عتاة مكة- قيل هو أبي بن خلف وقيل العاص بن وائل- إلى رسول الله (ﷺ) وفي يده عظم وهو يفته ويذره في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: نعم يميتك الله ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار.

وفي رواية أنّه قال له بعدما فت العظم البالي: أيحيي الله هذا بعدما أرى؟ فأجابه رسول الله بما ذكرنا[1].

وخلاصة القول فإن هذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فما قاله المفسرون من أسباب النزول إنّما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورةً عليها. فقولهم: نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها فإنّ القرآن إنّما نزل لهداية أوّل الأمة وآخرها، حيث تكون وأنّى تكون[2].

رابعا: اعتماده على القواعد والأصول الثابتة في اللغة:

وهذه القاعدة قررها المفسر في مقدمة تفسيره فقال:" ومن المهم أن أذكر هاهنا أنني في أحكامي واستنباطاتي اعتمدت على القواعد المقررة والأصول الثابتة في اللغة ولم أخرج عنها, وقد حاولت أن أنأى عن التعليل الذي لا يقوم على أساس من مسلمات اللغة وأحكامها "[3] . ولعل الناظر في هذا الكتاب يرى أنه عبارة عن تطبيق واسع لقواعد اللغة العربية, والقواعد فيه كثيرة متناثرة, وقد يذكر المؤلف القاعدة إن كانت صرفية أو نحوية وقد لا يذكرها إنما تلمس ذلك في تطبيقاته. وقد يورد القاعدة نقلا عن تفسير آخر أو كتاب من كتب النحو أو غيرها, ودائما على سبيل المثال لا الحصر أذكر بعض القواعد في تفسيره:

القاعدة الأولى:وذكرها في أثناء حديثه عن صيغة الجموع فقال: فقولهم (أياما معدودة) يعني أن الأيام التي فيها النار أكثر من قولهم (أياما معدودات), فمن المقرر في اللغة أن "الجمع الموصوف بالمفرد من غير العاقل يعني أنه أكثر من الموصوف بالجمع السالم".[4]

القاعدة الثانية:عند تفسير قوله تعالى:﴿ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾[الناس: ٤], نقلا عن الكشاف: "..وقال بعض أئمة العربية إن فعلل ضربان: صحيح كدحرج وثنائي مكرر كصلصل ولهما

---

[1]- المصدر نفسه: 270/2 (هذه الرواية ذكرها ابن كثير في تفسيره581/3) .

[2]- القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن آل سعدي, مكتبة الرشد، الرياض, ط:1, 1420 هـ - 1999 م, ص: 11.

[3]- على طريق التفسير البياني: (المقدمة)

[4] - المصدر السابق: 17/1.

مصدران مطردان فعللة وفعلال بالكسر وهو أقيس والفتح شاذ لكنه كثر في المكرر كتمتام وفأفاء, ويكون للمبالغة كفعال في الثلاثي كما قالوا وطواط للضعيف."[1]

القاعدة الثالثة: أوردها في تفسير قوله تعالى:﴿ مَنكَانَيُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[هود: ١٥], حيث قال: فأدخل (كان) على الفعل المضارع (يريد) وهذا التعبير يفيد الاستمرار أي يريدها على وجه العموم[2].

وهذه القاعدة اللغوية في التفسير ذكرها خالد السبت في " مختصر قواعد التفسير" ضمن القواعد اللغوية:قاعدة: صيغة المضارع بعد لفظة "كان" تدل على كثرة التكرار, والمداومة على ذلك الفعل[3].

إن اهتمام السامرائي بالمباحث اللغوية أخذ الحيز الأكبر من تفسيره, فقد أقامه وفقا لقواعد اللغة كما حكى ذلك في مقدمته.

خامسا: النظر في السياق القرآني:

اتخذ السامرائي السياق قاعدة للتعليل, والمراد بسياق القرآن هنا: الآيات التي تسبق موضع الشاهد وتتبعه ولدلالة السياق أثر كبير في فهم المعنى المنشود من الآية من حيث الموضوع والخطاب والأسباب التي أدت إليه، والآثار المترتبة عليه, ذلك لأن مقتضى البلاغة ارتباط الكلام بسابقه ولاحقه ارتباطاً يحوي المعنى ويضمه دون انفصال أو تشتت، بل مع حسن انتقال وتدرج في مراقي المباني والمعاني[4], يقول العز ابن عبد السلام:" السيَاق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الِاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما فما كان مدحا بالوضعِ فوقع في سِيَاق الذَّم صار ذماً واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال"[5].

والسياق بالنسبة للسامرائي وجه التعليل الأول للتعبير القرآني عموما, لأغلب الموضوعات الخاصة بالمفردة القرآنية من سبب اختيار لفظ في موضع دون موضع آخر, وسبب التقديم والتأخير, الذكر

---

[1] – الكشاف: 37/3, انظر:على طريق التفسر البياني: 1/ 50.

[2] – على طرق التفسير البياني: 3/ 48

[3] – مختصر في قواعد التفسير: خالد بن عثمان السبت: دار ابن القيم– دار ابن عفان, ط:1, 1426هـ/2005م, ص: 8

[4] – المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة: خالد بن سليمان المزيني, دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية, ط: 1, 1427هـ/2006م, 180/1.

[5] – الإمام في بيان أدلة الأحكام: عز الدين بن عبد السلام تح: رضوان مختار بن غربية, دار البشائر الإسلامية – بيروت, ط:1, 1407هـ - 1987م, ص: 159.

والحذف والتوكيد والتشابه والاختلاف وفواصل الآي, والتعريف والتنكير وتعليل البنية, وفي اختلاف القصة القرآنية...وأثر السياق في كل ذلك يجليه لنا المؤلف في تفسيره ومن الأمثلة على ذلك:

1- أثر السياق في تحديد سبب النزول:

ذكر الأستاذ السامرائي في سبب نزول الآية في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الصف: ٢ - ٣], أن ذلك كان في القتال فيقول:"..ونحن لا يعنينا ذكر المسألة التي كانت سببا في نزول الآية فإنه لا يتغير الحكم على هذا الوصف الممقوت أياً كان السبب, والذي يدل عليه السياق وما يذكر في أسباب النزول أن الأمر يتعلق بالقتال وإن أختلف في تحديد هذا الأمر"[1]. فجعل السياق مرجحا لتحديد الموضوع الذي اختصت به الآية.

2- التعليل بالسياق في سبب التقديم والتأخير:

وجاء التعليل بالسياق في سبب التقديم والتأخير في تفسير قوله تعالى:﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ﴾[الصف: ١١] قال: وقد تقول: ولكنه قدم الأموال والأنفس على قوله (في سبيل الله) في مواطن أخرى فقد قال في الأنفال على سبيل المثال:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٢].

وقال في سورة الحجرات:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[الحجرات: ١٥] فلم ذلك؟ .

والجواب: أن ذلك بحسب ما يقتضيه السياق, فقد يقتضي السياق تقديم كلمة في موضع ويقتضي تأخيرها في موضع آخر.[2]

ومنها: في التقديم والتأخير في سورة هود, في قوله تعالى:﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾[هود: ٢٨] بتقديم الرحمة على الجار والمجرور, وقوله في السورة نفسها:﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴿٦٣﴾ ﴾بتقديم الجار

[1]- على طريق التفسير البياني: 1/ 205 .

[2]- على طريق التفسير البياني: 1/ 227.

والمجرور على الرحمة. يقول: ومن النظر في سياق الآيتين يتضح سبب التقديم والتأخير فيهما[1]. وبعد عرض نصي الآيتين يقول: فأنت ترى من النصين السابقين أن الكلام على الرحمة في قصة نوح أطول ووصفها أكثر فقد قال:﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾. والأمر ليس كذلك في قصة صالح فقد قال: ﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً ﴿٦٣﴾ ﴾ولم يزد على ذلك[2].

3- أثر السياق في اختيار اللفظ:

يعرض في تفسيره لهذه الآية لسبب اختيار القرآن الكريم للفظ (عدن) دون غيره في قوله تعالى:﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[الصف: ١٢].فيقول: واختيار ذكر (جنات عدن) ههنا له دلالته أيضا فإن (عدن) الإقامة والبقاء, يقال: عدن بالمكان إذا أقام به, والإنسان يحب الحياة ويؤثر البقاء ويكره القتال ..فذكر له أن المجاهد إنما هو ذاهب إلى مساكن أطيب من مسكنه في دار البقاء فهو إذن يجاهد للبقاء والإقامة الطيبة. والقرآن يختار بدقة ما يقتضه المقام والسياق[3].

4- التعليل بالسياق في اتصال حرف الجر بالاسم وعدمه:

ذكر في تفسير قوله تعالى﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[يس: ٢٣],

في سبب اتصال الباء في (بضر) وبعد أن تتبع المواضع التي ذكرت فيها متصلة, والمواضع التي ذكرت فيها منفصلة يقول: وفي هذه السورة أعني سورة يس وصل الباء بالضر ولم يقل (إن يرد الرحمن بي ضرا) وذلك أن الكلام على الضر وهو مدار الاهتمام ولذلك عقب بكشف الضر وإزالته فقال ﴿ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ أي : لا يدفعون الضر عني ولا ينقذونني منه. فاتضح بذلك أن الباء تتصل بما هو أهم في السياق وعليه الكلام والله أعلم[4].

5- التعليل بالسياق في التعريف والتنكير:

[1] - المصدر نفسه: 2/ 149.

[2] - المصدر نفسه:149/2.

[3] - المصدر السابق: 1/ 229

[4] - على طريق التفسير البياني: 2/ 84

جاء هذا التعليل في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[لقمان: ٨ – ٩], حيث جاءت صفتيه سبحانه بالتعريف دون التنكير, وهذا مخالفة لموضع آخر في نفس السورة فيقول: أن السياق مختلف ذلك أنه في الآية الأولى قالها تعقيبا على المستكبر الذي اتخذ آيات الله هزوا وبعد التهديد الذي ألحقه به وبمن يضلهم وبعد ذكر الجزاء الذي يؤتيه أولياءه فاقتضى تعريف العزيز الحكيم, إذ هو الذي سيفعل بكل صنف هذا الفعل لا يمنعه ذلك مانع وليس ثمّة من يظن أن هناك عزيزا حكيما يمنعه من ذلك[1].

6– التعليل بالسياق في اختيار فواصل الآي:

في تفسيره لقوله تعالى في سورة لقمان:﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾, يقول: وقد تقول أليس من الأولى أن يقال هاهنا (إنّ الله على كل شيء قدير)؟ فنقول: إن الآية التي تساق قد تحتمل أكثر من خاتمة ..ولكن اختيار الخاتمة ينبغي أن يكون مناسبا للسياق الذي وردت فيه الآية والغرض الذي ذكرت من أجله, والآية ينبغي ألا تؤخذ بمفردها بل ينبغي أن توضع في سياقها الذي وردت فيه لتفهم مقاصدها واختيار ألفاظها وتعابيرها.[2]

وبعد أن قرر هذه القاعدة يعود ليتكلم عن مناسبة الفاصلة في الآية المذكورة للسياق, فيقول: وقد ارتبطت خاتمة الآية هاهنا بسياق الآية أحسن ارتباط وأوثقه, فإن الآية هي:

﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

فابتدأت بالخلق والبعث وختمت بالسمع والبصر, والخالق لابد أن يكون سميعا بصيرا, والخالق الذي يخلق عباده ليعبدوه وليبلوهم أيهم أحسن عملا لابد أن يكون سميعا لأقوالهم بصيرا بأعمالهم.

والذي يبعثهم ليحاسبهم على أقوالهم وأفعالهم لابد أن يكون سميعا لما قالوه في الدنيا ولما يحتجون به في الآخرة, بصيرا بهم وبأعمالهم وبما أعد لهم, وأنه لا يند عنه من الخلائق أحد فلا يبق أحد دون بعث أو حساب[3].

7– التعليل بالسياق في الذكر والحذف:

[1]– المصدر نفسه:2/ 298

[2] – المصدر نفسه: 2/ 36.

[3]–على طريق التفسير البياني:2/ 362.

ويعلل السامرائي ذكر (هم) في سورة هود في قوله تعالى:﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾, وحذفها في سورة الأعراف في قوله تعالى:﴿ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾, مع أن السياقين متشابهان, بأن السياق اقتضى الذكر في موضع هود, وأن سياق الأعراف مختلف عن السياق الأول, فيقول:

إنّ السياقين مختلفان فقد قال في الأعراف:﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾وقال في هود:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾.فزاد في هود ذنبا آخر وهو الكذب على الله الذي هو أكبر من الظلم فقال:﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ فلما زاد في ذكر المعصية زاد في وصفهم بالكفر, فناسب كل تعبير موضعه.[1]

والمواضع التي علل فيها السامرائي التعبير القرآني بالسياق كثيرة في تفسيره وهي السمة الغالبة في التعليل.

سابعا: اعتماد التفسير العلمي:

ونستخلص هذه القاعدة من رأيه في الإعجاز وقد سبق أن ذكرته في الفصل الأول, ولا بأس أن أذكر بعض ما قاله هنا لأوضح موقفه من التفسير العلمي ومن ذلك قوله: "إنّ إعجاز القرآن أمرٌ متعدد النواحي متشعب الاتجاهات, ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخصٌ واحدٌ, ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سعةُ علمهم وتعدد اختصاصاتهم"[2].

ويقول في تفسيره لمعنى (العلقة) ما نصه:" اختيار التعبير بـ (العلقة) اختيارٌ له دلالته، فإن المخلوق في هذه المرحلة أشبه شيء بالعلقة، وهي الطفيلية المعروفة. وكذلك التعبير بـ (المضغة)، فالمضغة كما قرأنا في كتب التفسير، هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ الماضغ. ولكن لاختيار كلمة (مضغة) سببٌ آخر، ذلك أن (المضغة) هي قطعة اللحم الممضوغة أي التي مضغتها الأسنان، وقد أثبت العلمُ الحديث أن الجنين في هذه المرحلة ليس قطعة لحم عادية بل هو كقطعة اللحم التي مضغتها الأسنان، فاختيار لفظ (المضغة) اختيارٌ علمي دقيق"[3].

---

[1] – المصدر نفسه: 3/ 68.

[2] –لمسات بيانية: مرجع سابق, ص: 5.

[3] – المرجع نفسه: ص: 6.

وهذا النص يدل دلالة واضحة على اعتماد السامرائي للتفسير العلمي لآيات القرآن الكريم.

سادسا: مراجعة أمثال التعبير الذي يراد تفسيره:

فالمواطن التي يتتبع فيها أمثال التعبير الذي هو بصدد تفسيره كثيرة جدا ولعل القصص القرآني أوسع مثال على ذلك وسنأتي عليه حينه.

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[يس: ٤٠]:"..هذا علاوة على أن هذا التعبير يعبر عن حقيقة علمية ثابتة, ذلك أنه في كل لحظة تشرق الشمس على مكان وتغرب من مكان .."[1].

ثامنا: اعتماده على كتب السابقين:

تطرقت فيما سبق إلى المصادر والمراجع التي اعتمد عليها السامرائي في تفسيره, والملاحظ فيها الكثرة والتنوع, فقد كان له نصيب وافر في الإطلاع على كتب التراث, يقول بهذا الصدد في كتابه (التعبير القرآني) :"..وبعد إطلاعي على مؤلفات أحسبها غير قليلة في كتب اللغة والتفسير والإعجاز والبلاغة ونحوها.."[2], وقد أجاب مرة عن مراجعه بأنها لا تتعدى كتب علوم القرآن من البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي وبدائع الفوائد لابن القيم, إلى جانب عدد من كتب التفسير[3].

والمطلع على تفسيره يجد صنوف من الكتب, منها كتب معاني القرآن, وكتب إعجاز القرآن والتي تناولت المسائل البلاغية من خلال الآيات القرآنية, والمعاجم وغيرها, ولكتب التفسير التي أسهمت في تفسير القرآن من الناحية البيانية النصيب الأكبر في اعتماده عليها والرجوع إلى آراء أصحابها معبرا عن رأيه من خلال آرائهم حينا ومرجحا بينها أحيانا, متخذاً منها في كل ذلك القاعدة العريضة في تفسيره. وأكثر ما اعتمد عليه من هذه الكتب (روح المعاني) للألوسي, (البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي, (الكشاف) للزمخشري, (التفسير الكبير) للرازي, مضيفا من علمه وجهوده إلى علمهم وجهودهم, معتمدا على المتقدمين منهم دون المتأخرين مما يدل على التأصيل والرصانة العلمية لآرائه.

تاسعا: التأمل والتدبر في القرآن الكريم:

---

[1] – على طريق التفسير البياني: 2/ 136.

[2] – التعبير القرآني: مرجع سابق, (المقدمة).

[3] – جهود فاضل السامرائي وآراؤه في التفسير: مرجع سابق, ص: 15.

يقول الدكتور "وهما من أهم ما يفتح على الإنسان من أسرار ويهديه إلى معان جديدة"[1].وهذه القاعدة التي اعتمدها تؤتي أكلها على حسب قوة الالتزام بها فيقول:" وكلما أمعنت في التدبر فتح الله عليك من كنوز المعرفة وعجائب الأسرار ما لم يكن منك على بال"[2], ولأنه لاقى نتاجها في مسائل عدة مرت به " وقد مرت بي مسائل لم اهتد إلى حلها على كثرة التدبر والتأمل حتى كدت أيأس من وصولي إلى حل لها فإذا بي وقد انقدح في ذهني ما يزيل الإشكال ويثلج الفؤاد"[3] فإنه يشدد على لزومها ومداومتها فيقول:" فأدم التدبر والتفكر فيما استعصى أمره ولا تمل من ذلك, وافعل ذلك مرة ومرتين وثلاثا وأربعا وعشرا فإنه سيفتح الله عليك ويبصرك ما لم تكن تبصر[4].

المطلب الثالث: مدى ارتباط منهجه بالأسس المنهجية للمدرسة الأدبية:

عرضت في الفصل الأول للرحلة داخل المنهج الأدبي عند أمين الخولي, والمراحل التي يمر بها المفسر الأدبي أثناء تفسيره لكتاب الله العزيز, كما تكلمنا عن الدراسات التي انبثقت عن هذه المدرسة واستقت أفكارها منها, وانفردت بالتنظير والدراسة, وقد أشرنا أيضا إلى أن المنهج البياني هو الذي قامت به هذه المدرسة في بدايتها, مع اتساع هذه الأخيرة وخصوصية الثاني إلا أنه ظل الوجه الأكثر تعبيرا عن أهدافها..ورغم صرامة المنهج إلا أن الدراسات البيانية المتأخرة راعت كثيرا من جوانبه مع مراعاة أيضا ما وجه له من نقد, ومن أشهر هذه الدراسات المطبوعة كتاب" على طريق التفسير البياني", فما الذي اشتمل عليه هذا التفسير من النظرة الخولية؟

من الملاحظ أن السامرائي لم يبنِ كتابه على أساس الموضوعية التي نادى بها الخولي, فجاء تفسيره لسور مختارات من كتاب الله العزيز, وإن كان هذا المنهج قد التزمه في تفسير كثير من الآيات كنوع من أنواع التفسير الموضوعي, وبذلك فإن السامرائي اتبع المنهج التقليدي في التفسير, مع عنايته الكبيرة بالوحدة الموضوعية (العضوية) هذا من حيث الطريقة.

أما من حيث الدراسة فنلاحظ أن الأستاذ لم يعتني بالنظر في المفردات وفقا للنظرة الخولية, حيث لم تكن له عناية كبيرة بالمدلول المعجمي للفظ والمراحل التي تمر بها تفسير المفردة القرآنية كما قررها

[1]- على طريق التفسير البياني: 1/ 13.

[2] - المصدر نفسه: 1/ 13.

[3] - المصدر نفسه: 1/ 13.

[4] - المصدر نفسه: 1/ 13.

الخولي, بل نجده يعتمد كثيرا على التفاسير في معنى اللفظ, ذلك –والله أعلم– أنه يرى أن اللفظ يحدد معناه وفقا للسياق الذي تضمنه والمقام الذي قيل فيه, لذا نجده يعرض لمناسبة اللفظ لما قبله وما بعده وغالبا ما يعلل لسبب اختيار القرآن للفظ دون آخر بالسياق.

وأكثر ما تجلى المنهج الأدبي في تفسير فاضل السامرائي في شقه الأخير, وهو النظر في المركبات, القائم على الاستعانة بعلوم اللغة من نحو وبلاغة وغيرها, مستعينا بالنحو كأداة من أدوات بيان المعنى وتحديده, ومستعينا بالبلاغة على أساس أنها النظرة الأدبية الفنية التي تتمثل في الجمال القولي في الأسلوب القرآني, لا لتقسيمه وفقا لأقسام البلاغة —كما فعل علماء الإعجاز– وقد تمثل هذا الجانب في تفسيره أيّما تمثيل, ولعل هذا من أوضح الأمور في تفسيره حيث تبدو قدرة المؤلف على تطويع النحو في إجلاء معاني الآيات القرآنية واضحة, كيف لا ومؤلفنا مهذب علم النحو, العالم بفنون اللغة العربية وأسرار التراكيب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

مسلك فاضل السامرائي في التفسير البياني وأهم المآخذ عليه.

المبحث الأول: المسلك العام.

المبحث الثاني: مسلكه في تفسير المفردة القرآنية وجوانبها الفنيـــــــة.

المبحث الثالث: أهـــــم المآخذ على تفسيره.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ ما يميّز كل مفسر عن الآخر ممن ينتمون إلى المدرسة ذاتها, قضية المنهج والمتمثل في مجموعة الركائز والأسس المهمّة والتي توضح مسلك كل منهم لتحقيق الآثار التي يصبو إليها. ومن خلال قراءتي لكتاب الدكتور السامرائي " على طريق التفسير البياني" وما اهتم به من مواضيع رأيت تقسيم مسلكه إلى قسمين:مسلك عام, ومسلكه في تفسير المفردة القرآنية حيث كانت له عناية خاصة بها.

المبحث الأول: المسلك العام:

والمقصود به العلوم التي اهتم بها أو استعان بها لإتمام تفسيره وطريقة عرضه للمواضيع التي تضمنها مُؤلّفه.

المطلب الأول:مسلكه في الاستدلال بالقرآن والحديث:

التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنّة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله من كتابه[1].

وأعرض هنا بدايةً لمسلك المفسر ومدى حظ تفسيره من الاستدلال بالقرآن والحديث.

أجمع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله, إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا, من الله جل وعلا[2]. وما تقرر خلال البحث بالأمثلة أنّ السامرائي اعتمد على القرآن الكريم كقاعدة أولية للتفسير.

أمّا ما جاء في السنّة فنلاحظ أن السامرائي يصب تركيزه عن الكشف عن أسرار البلاغة القرآنية إفرادا وتركيبا, فلم يكن له اعتماد يذكر بهذا النوع, والأحاديث التي أوردها في تفسيره معدودة, يأتي بها نقلا عن أحد مصادره دون عزوها إلى مظانّها, أو ذكر درجتها, إلاّ في القليل النادر, ومن ذلك:

-ما جاء في تفسيره لسورة الفلق في التلفظ بالاستعاذة وأنّها من الذكر قال:

وقال صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ربّه أنّه قال: (أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه[3])[4].

-ويورد الحديث نقلا عن لسان العرب في معنى لفظ (غاسق):"...وفي حديث الربيع بن خيثم أنّه قال لمؤذّنه يوم الغيم أغسق, أغسق, أي أخر المغرب حتى يغسق الليل وهو إظلامه"[5].

---

[1] - فتح القدير: مصدر سابق, 11/1.

[2] - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي دار عالم الفوائد, مكة المكرمة, ط:1, 1426هـ, ص:8.

[3] - البخاري: 153/9

[4] - على طريق التفسير البياني, 1/ 26.

[5] - المصدر نفسه: 34/1.

– أمّا في شرحه للفظ (الوقب) فيأتي بقوله صلى الله عليه وسلم لما نظر إلى القمر فقال:" يا عائشة نعوذ بالله من هذا فإنّه الغاسق إذا وقب[1]. ينقله عن البحر المحيط.

ويظهر من صنيع الدكتور فاضل السامرائي أن التفسير بالسنّة هو محل استئناس عنده لا غير.

المطلب الثاني:علم المناسبة:

وقد أطلقت عليه عدة تسميات, منها "علم المناسبة" أو "التناسب", والتي عرفها البقاعي أنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه"[2]. ومنها "النظام" وعرّفه الفراهي فقال: وبالجملة فإن النظام أن تكون السورة كلاماً واحداً, ثمّ تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة[3].

واشتهرت في العصر الحديث بالوحدة الموضوعية أو العضوية وعرفها بعضهم بقوله:" هي البحث عن الهدف الواحد الذي عرضت له كل سورة من سور القرآن الكريم ومدى ارتباطه بأجزاء السورة وموضوعاتها الأخرى, من جدل إلى قصص إلى تشريع إلى وصف, فإيجاد الوشائج التي تربط بين موضوعات السورة من أحكام ومبادئ وما تذكره القصص ومشاهد, والخروج من ذلك كله إلى هدف واحد يجمع بينهما هو الوحدة الموضوعية للسورة[4].وهو عين ما ذكره وما أراده البقاعي وإنّما عبّر عنه بإيجاز.

وقد بدى اهتمام السامرائي بعلم المناسبة واضحا في تفسيره, إن كان من حيث مناسبة السورة لما قبلها وبعدها أو مناسبة الآيات في ما بينها أو مناسبة اللفظ للسياق الذي جاء فيه ..وأحيانا يطلق عليها المناسبة وقد كثر استعماله للفظ الارتباط, وهو أحد معاني المناسبة اللغوية وهذا تمثيل لذلك:

1– مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

وأطلق على هذا الباب عند المحدثين الوحدة الموضوعية الكبرى, ومن أمثلة ذلك قوله في مطلع تفسيره لسورة (قريش):" إن مناسبة هذه السورة لما قبلها – أعني سورة الفيل– ظاهرة, فإن أصحاب

---

[1]– المصدر السابق: 1/ 35 .

1– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين بن عمر البقاعي, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, ص: 6.

[3]– دلائل النظام: عبد الحميد الفراهي الهندي:, المطبعة الحميدية, ط:1, 1388هـ, ص: 75.

[4]–منهج سيد قطب: مرجع سابق, 1/ 217.

الفيل إنما جاؤوا بسبب هذا البيت, وقد حفظ الله بيته وحماه وحفظ قريشا وحماهم وأهلك أصحاب الفيل إكراماً وتعظيماً لهذا البيت, فكان حفظ البيت حفظا لهم وحماية لأمنهم ومعاشهم[1]. إذ لو سلط عليهم أصحاب الفيل لتشتتوا في البلاد والأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة[2].

2- التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها:

من مظاهر وحدة السور, وتناسب أجزائها مناسبة مطلعها لخاتمتها[3], وهذا النوع من الارتباط تكلم عنه المؤلف في عدة مواضع في كتابه فيقول في سورة الكوثر ذاكراً وجوه التناسب بين أولها وآخرها :" وقد ارتبط آخر السورة بأولها أجمل ارتباط وأحسنه فإنه صلى الله عليه وسلم أعطى الكوثر وشانئه أعطي البتر فكان أبتر بكل معاني السوء في الكلمة. فإنه إذا كان البتر استئصال الشيء قطعا فإنه صلى الله عليه وسلم لم يستأصل منه شيء ول يقطع منه شيء وإنما أعطى الكثير.

وإذا كان معنى الأبتر كل أمر انقطع من الخير أثره فإنه صلى الله عليه وسلم أعطي الكوثر وهو الخير الكثير فليس هو بأبتر, وإذا كان الأبتر هو الذب لا عقب له فهو صلى الله عليه وسلم ليس بأبتر وإنما ذريته تملأ الدنيا, ولا تقل إن أبناء البنت ليسوا بذرية للرجل بل هم من ذريته وقد عد الله عيسى من ذرية إبراهيم عن طريق الأم وليس عن طريق الأب كما هو معلوم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [الأنعام: ٨٤ – ٨٥].[4]

ثم يقول:"...وبهذا يتضح قوة ارتباط أوّل السورة بآخرها فإنه بدأها بما أعطاه نبيه وختمها بما جعله لمبغضه, فقد أعطى نبيه الكوثر من كل خير وبتر مبغضيه فلم يجعل لهم خيرا ولا عقبا ولا متصلا"[5].

---

[1] – على طريق التفسير البياني: 1/ 99, (وانظر أيضا: 3/4-5, من نفس الكتاب).

[2] – البحر المحيط: مصدر سابق, 547/10.

[3] – أحمد أبو زيد: مرجع سابق, ص: 66.

[4] – على طريق التفسير البياني: 1/ 96.

[5] – المصدر نفسه: 1/ 97 وانظر: ص:194, من نفس الجزء.

3- ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها:

وهذا الارتباط يوضحه السامرائي في سورة الضحى في قوله تعالى:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[الضحى:5], فيقول في ارتباط هذه الآية بما قبلها: إن هذه الآية مرتبطة بالآية قبلها إذ هي تأكيد بأن الآخرة خير له من الأولى لأنه سوف يعطيه فيرضى.وهي مرتبطة بقوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) فإنّ ذلك أمارة على أن ربه ما ودعه وما قلى[1]. ومن ذلك أيضا في قوله تعالى:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾[لقمان: ٢٨], يقول:" ارتبطت هذه الآية بما قبلها وما بعدها أحسن ارتباط وأوثقه, فإن خلق الناس من كلمات الله. وإن بعثهم من كلمات الله. وإن خلقهم كنفس واحدة من كلمات الله التي لا تنفد. كما ارتبطت بخاتمة الآية السابقة, فإن الخالق عزيز حكيم ذلك أن الخالق له العزة, فالمخلوقات كلها من صنعه وأنها طائعة لأمره فارتبط ذلك باسم العزيز[2].

4- مناسبة الفاصلة لمضمون الآية: يقول في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[يس: ٤٥]: إنّ قوله تعالى (لعلكم ترحمون) مناسب لقوله تعالى (اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم) فقد أمرهم باتقاء ما تقدم وما هو حاضر وما هو آت فكان الأمر عاما شاملا للأزمنة كلها فكان مناسب أن تكون الرحمة عامة تشمل الأزمنة كلها حاضرها ومستقبلها.

5- مناسبة مقاطع الآية لفاتحة السورة:

وجاء ذلك في تفسيره لسورة (هود) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[هود: ٧], حيث يربط مقاطع هذه الآية الكريمة بفاتحة السورة فيقول: ارتبط قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾,بقوله:﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[هود: ٤].

---

[1] - على طريق التفسير البياني: 1/ 114, وانظر أيضا: ص: 115-116-117, 275/2.

[2] - المصدر نفسه: 2/ 359.

– وارتبط ذلك بقوله﴿ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾فإن الذي خلق السماوات والأرض بهذا النظام المحكم الدقيق إنما هو حكيم خبير.

–وارتبط قوله ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ بقوله:﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ﴾بمعنى الحكم. فصاحب العرش إنما هو الحاكم.

– ودلّ قوله:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾أنه إنما فعل ذلك لحكمة, فارتبط ذلك بقوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾بمعنى الحكمة والخبرة..إلى آخر ماقال من ربط المقاطع بعضها ببعض[1].

6–التناسب المعنوي لجميع أجزاء السورة:

وهو ما يطلق عليه السامرائي غالبا (**جو السورة**) ذلك أن كل سورة لها جو يشيع فيها يخيم على كل تلك المواضيع المختلفة, ويربط بينها برابطة معنوية فيقول على سبيل المثال في تفسيره لسورة (الحديد):" إن جو سورة الحديد تردد فيه ذكر العلم والمراقبة بصور شتى, فقد قال:﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾وقال ﴿ ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾ ﴾﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾﴿ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ﴿٦﴾ ﴾...[2]

ويقول: في سورة (يس) في ذكر اسمي (العزيز الرحيم) في بداية السورة:" وقد طبعت السورة بطابع هذين الاسمين الكريمين فإن جو السورة يشيع فيه العزة والرحمة...وكذلك جو الرحمة فإنه يشيع في السورة أيضا. فقد تردد ذكر الرحمة والرحمن في السورة أكثر من مرة وذلك نحو قوله:– (تنزيل العزيز الرحيم– وخشي الرحمن بالغيب– وما أنزل الرحمن من شيء– إن يردن الرحمن بضر– ولا هم ينقذون إلا رحمة منا– لعلكم ترحمون– هذا ما وعد الرحمن– سلام قولا من رب رحيم)[3].

ثم عدد مظاهر الرحمة التي ذكرها سبحانه وتعالى في السورة فربط بين جميع الآيات برابط الرحمة .

[1] – المصدر السابق: 3/29–29.

[2] – المصدر نفسه:1/244.

[3] – المصدر نفسه: 2/12.

7- مناسبة البناء الصوتي للمعنى:

وهذا نجده في تعليل المؤلف لاختيار القرآن الكريم للفظ (جِبِل) بدل لفظ (خلق) في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾[يس: ٦٢] فيقول:"...هذا إضافة إلى أن جرس الكلمة وبناءها يوحي بالثقل فإن كلمة (جبل) ثقيلة ثقل الضلال وضغطه على النفوس وثقل الغلظة والشدة, وثقل القبح على النفوس[1].

ومن هذا الذي قدمناه يتبين لنا اهتمام الدكتور السامرائي بعلم المناسبة بجميع أشكالها, ويعود ذلك لإيمانه أن القرآن الكريم وحدة موضوعية متكاملة.

المطلب الثالث: مسلكه في تفسير القصة القرآنية:

القصة القرآنية ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والاطمئنان القلبي[2], وعلى ما كان لها من تأثير في النفوس ابتداءً من تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم,إلى ترسيخ عقيدة التوحيد في قلوب المسلمين..على قدر ما كانت مجالا خصبا قديما وحديثا للدس والطعن, إن كان من حيث أحداثها فلا تخلو قصة منها لم يكن للإسرائيليات فيها نصيب[3], أو من حيث ورودها في القرآن الكريم مكررة وبتعبيرات مختلفة, أو من حيث طبيعة هذه القصص وواقعيتها بإخضاعها لمعايير النقد الأدبي في العصر الحديث, لذا كان للمفسرين اهتماما بالغا بالقصص القرآني على مر العصور دراسة ونقدا, فتعددت مناهجهم , وتنوعت أساليبهم, وقد كان لمفسرنا البياني منهجه الخاص في تناول القصص القرآني الذي سنعرض له بعد تعريف القصة القرآنية.

أولا: تعريف القصة القرآنية: هي عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن, فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق, فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة[4].

---

[1] - المصدر نفسه: /217-218

[2] - أمين محمد عطية باشا: الصدق والواقعية في القصة القرآنية, ص:2.

[3] - انظر في ذلك: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد أبو شهبة, مكتبة السنة, ط:4, فقد خصص جزءً من كتابه لهذا الموضوع ص: 159- 306.

[4] - القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ط: 2, 1395هـ/ 1975م, ص: 39.

وإن كان ليس مهمة القصة القرآنية تسجيل الحدث التاريخي من زاوية تدوينية بحتة وإنما يكون التركيز على مواطن العبرة وهي تتحقق من غير ذكر الزمان والمكان في أغلب الأحيان[1].لذا اصطلح علماء القرآن على أن القصص القرآني: هو إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم وما حدث بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات, من كائنات بشرية أو غير بشرية, بحق وصدق للهداية والعظة والعبرة[2].

أما في نظر أصحاب التصوير الفني: فالقصة عملا فنيا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه, وإدارة حوادثه, وهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية.[3]

مسلك فاضل السامرائي في تفسيره القصص القرآني:

لقد كانت عناية الدكتور بالقصص القرآني في جميع كتبه واضحة, فقد تناول في الجزء الثالث من تفسيره, تفسير سورة (هود), والتي تضمنت مجموعة من قصص الأنبياء, ولا أحسب إلاّ أن اختيار الدكتور لهذه السورة لهذا الأمر بالذات. أما عن منهجه في تفسير القصة القرآنية فقد كانت له أربع عوالم عريضة:

أولها: تقديم القصة: بذكر المواضع التي ذكرت فيها في القرآن الكريم.

ثانيا: نفي التكرار عن القصة: بذكر ما تميزت به في السورة ومقابلتها بالمواضع الأخرى التي وردت في القرآن الكريم من حيث عرض الأحداث.

ثالثا: تقسيم القصة إلى مشاهد وأحداث والمقارنة بين الأحداث المتكررة في كل قصة.من حيث التشابه والاختلاف.

رابعا: الشروع في تفسير الآيات تفسيرا بيانيا. وهذا تفصيل ما أجملنا.

أولا: تقديم القصة: يبدأ المؤلف أولا القصة بذكر المواضع التي ذكرت فيها في القرآن الكريم, منوها على أنه لا تطابق بين جزئياتها, وأن كل مقام خص بمقال, ومقطع منها, فيقول في مطلع

[1]- مباحث في التفسير الموضوعي: مرجع سابق (الهامش: ص:303).

[2]- القصص القرآني: عبد الباسط بلبول: نقلا عن: الصدق والواقعية في القصة القرآنية, ص: 6.

[3]- التصوير الفني في القرآن: مرجع سابق ص: 143.

تفسيره لسورة نوح عليه السلام: "وردت قصة نوح في أكثر من موضع من القرآن الكريم غير أنها ليست متطابقة في كل جزئياتها, وإنما يذكر في كل موضع ما يناسب المقام الذي وردت فيه وما يراد أن يسلط عليه الضوء..[1].

ثم يعرض السور التي ذكرت فيها القصة قائلا: ..قد ذكرت في الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات والقمر وختمت في سورة نوح, وهناك مواضع أخرى في القرآن إلا أنها ليست مكررة[2].

وهكذا في كل قصة, فيقول مثلا في بداية تفسيره لقصة لوط: وردت هذه القصة في الأعراف وهود والحجر والأنبياء والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات والذاريات والقمر

ونقول ما قلناه في سائر القصص الأخرى إنها ليست متطابقة بل قد يذكر في موضع ما لا يذكر في موضع آخر بحسب ما يريد أن يرتكز عليه وبحسب السياق الذي وردت فيه[3].

ثانيا: نفي التكرار عن القصة: إنّ خضوع القصة القرآنية للغرض الديني ترك آثارا واضحة في طريقة عرضها, بل وفي مادتها, وأول أثر لهذا الخضوع أن ترد القصة الواحدة مكررة في مواضع شتى, ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها إنما هو تكرار لبعض حلقاتها, ومعظمه إشارات سريع لموضع العبرة فيها, أما جسم القصة كله فلا يكرر إلا نادرا ولمناسبات خاصة في السياق[4]. والتكرار في القرآن حسب ما أورده الكرماني وهو يتكلم عن منهجه في كتابه " أسرار القرآن" هو:.. الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظه متفقة لكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان, أو تقديم أو تأخير, أو إبدال حرف مكان حرف, أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان[5].

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 3/ 79.

[2]- المصدر نفسه: 3/ 79.

[3]- المصدر نفسه: 3/ 270 .

[4] - التصوير الفني في القرآن: مرجع سابق, ص: 155-156.

[5]- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة الكرماني، تح: عبد القادر أحمد عطا, دار الفضيلة, القاهرة, ص:63.

وقد وجد أصحاب الأهواء ومرضى القلوب من الملحدين وأعداء الإسلام في هذا التكرار مدخلا ملتويا يدخلون منه على هذا الدين للطعن في القرآن الكريم والنيل من بلاغته وإعجازه[1], لذا اهتم العلماء بهذا الشأن وأولوه اهتماما نافين عن القرآن الكريم التكرار في آياته, ولأن القصة القرآنية تعد المجال الأوسع من حيث ما وقع في القرآن من تكرار, فقد كانت العناية بها أكبر, وهذا ما نجده في دراسة السامرائي للقصة القرآنية حيث يعقد مقارنات دقيقة بين كل موضع مبينا الفروق بينها ومما اختص به كل موضع مبرهنا على عدم التكرار في أي منها, "وليس نفي التكرار أن تقطع الصلات والوشائج والقربات بين السور المتعددة في كل قصة من القصص"[2], ويوضح لنا فضل عباس منهج القرآن الكريم في توزيع أحداث القصة حيث يقول:" ليس نفي التكرار أن لا يذكر حدث من أحداث القصة في سورة أو أكثر إن هناك أمورا كلية وأحداثا مهمة رئيسية لا يجوز أن تخلو منها سورة من السور, ولو خلت منها لخلت من رحيقها الشذي, وسلسبيلها العذب, وعلى هذا فالمنهج القصصي في القرآن الكريم هو المنهج البديع المعجز, حيث ذكرت القصة في سور كثيرة, خصت بعض السور بذكر حدث, ثم توزعت هذه المشاهد والأحداث على السور التي ذكرت فيها القصة, قلت أم كثرت, بحيث تجد في كل سورة ما لا تجده في غيرها, وبحيث يذكر في كل سورة ما يتلاءم مع موضوعها وسياقها, وبحيث تذكر القصة في السورة في الموضع الذي اختيرت له والذي اختير لها[3] .

ويوضح لنا المفسر هذا الكلام تطبيقيا حيث تناول أغلب قصص الأنبياء, في تفسيره لسورة هود نافيا عن كل قصة منها التكرار, وهذه قصة نوح عليه السلام أنموذجا لمسلكه:

قصة نوح عليه السلام: يقول مبينا: وردت القصة في سورة الأعراف موجزة وهو أول موضع وردت فيه القصة, والطريف أنها بدأت بقوله:" لقد أرسلنا نوحا إلى قومه" من دون أن تسبق بالواو, وأما في المواطن الأخرى فيقول فيها جميعا:" ولقد أرسلنا نوحا" بالواو فكأنّها معطوفة على القصة الأولى مع أنّ الواو فيها كلها ليست عاطفة على ما قبلها وإنما هي استئنافية[4].

ثمّ يعرض لكل مقطع من القصة والفرق بينها وبين سابقتهاّ, وقد سار على هذا المنهج موضحا أن الموضع اللاحق لم يكن صورة مطابقة للأول في كل القصص التي وردت في سورة هود.

---

[1]- القصص القرآني: عبد الكريم الخطيب: ص: 230.

[2]- قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس: دار النفائس, ط: 3, 1430هـ/2010م, ص:81.

[3] - المرجع نفسه: ص: 81.

[4]- على طريق التفسير البياني: 3/ 79.

فيقول تتمة لما قلنا:-

الأعراف: ذكر دعوة نوح لقومه لعبادة الله وهي دعوة الرسل جميعا, فضللوه فرد عليهم, فنجاه الله ومن معه وأغرق الذين كذّبوا, ولم يذكر أن له أتباع

يونس: كان الكلام على شخصه وإنه وإن كان كبر عليهم تذكيره بآيات الله فليفعلوا به ما يشاءون وأنه لم يسألهم أجرا, ولم يذكر أتباعه وما عرّضوا لهم, إذ لا تزال الدعوة في أولها

هود:والقصة طويلة: فذكر أنه نذير مبين وأنه دعاهم إلى عبادة الله وذكر رد الملأ الذين كفروا, وظهر أن له أتباع وهو ما لم يذكره في الأعراف ويونس وكان هناك كلاما طويلا حتى قالوا له:"يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا", وذكر كيفية النجاة مفصلة..وهي أطول ما ذكر من القصة وأكثر تفصيلا من كل المواطن.فهي كانت استكمالاً وتوضيحاً لما ورد في القصتين.

الأنبياء: والقصة هنا ليست في سياق الدعوة والتبليغ وإنما في سياق نجاة الأنبياء من أقوامهم واستجابة دعاء من دعا لهم.

المؤمنون:ذكر القصة بعد ذكر الأنعام وفوائدها والحمل عليها وعلى الفلك, فذكر قصة نوح والنجاة في الفلك مناسبة لذكر الحمل على الأنعام والفلك...وأما الجانب المذكور من القصة فهو لا يطابق ما سبق, فقومه لم يواجهوه بكلام ولا قالوا له شيئا بل إنهم كانوا يذكرون رأيهم فيه في غيبته وفي مجالسهم.

الشعراء: قال فيهم ما قال في الأقوام الأخرى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ ثم مواقف الأمم من رسلهم فكانت كلها على نمط واحد...

العنكبوت: لم يذكر دعوته لقومه ولم يذكر قومه وإنما ذكر مدة لبثه في قومه وأن قومه أخذهم الطوفان لظلمهم و أنجاه الله ومن معه.

الصافات: ذكر فيها ما كان بعد نوح وبعد النجاة, وماذا ترك عليه في الآخرين, وذكر أنه أغرق الآخرين, ولم يذكر من هم الآخرون, ولماذا أغرقهم.

القمر: قال كما قال في بقية الأقوام, فالقصة على نمط ما ذكر في السورة من القصص, وفيها ذكر تكذيب قومه وزجرهم له, ثمّ أنه دعا ربه أنه مغلوب, والمغلوب يطلب النصر, فطلب النصر قائلا: **سورة نوح**:وهي آخر موطن تذكر فيها قصة نوح وآخر موطن يذكر فيها اسم نوح فإنها تختلف عن كل ما جاء في القصص من هذه القصة, فإنها هنا أشبه بتقرير نهائي قدمه إلى ربه في مسار دعوته وموقف قومه منه[1].

هكذا برهن السامرائي على أن لا تكرار في قصة نوح وإنّما كل موضع ذكر فيه ما يقتضيه السياق والمقام, وفي هذا يقول العلامة البوطي رحمه الله في روائعه:..وقد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها أو عرض الجانب الواحد منها، بحسب الظاهر؛ ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة، فيقتضي الغرض الديني أن يعاد ذكرها عند ما تأتي مناسبة كل عبرة من عبرها، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقت بصدده، حتى لكأنّك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك ولم تعرض أحداثها على خاطرك من قبل.."[2]

هذا وإنّ الملاحظ في تفسيره للقصة الاعتداد بالترتيب المصحفي, دون ترتيبها النزولي, وأن تدرج الأحداث وتسلسلها موافقا لهذا الترتيب, هذا ما نلمسه فيما سبق ذكره, ومن ذلك أيضا قوله: ..فإن سورة المؤمنون بعد هود في تسلسل السور, ومن المناسب أن يكون الطلب والدعاء بعد أن يمضي وقت طويل مع قومه وأن ينال من أذاهم الكثير فيلجأ إلى الدعاء إلى الموقف المتأخر[3].ذاكرا بالتفصيل الاختلاف بينها.

ثالثا: تقسيم القصة إلى مشاهد وأحداث والمقارنة بين الأحداث المتكررة في كل قصة من حيث التشابه والاختلاف: بعد ذكر السور التي وردت فيها القصة, وعرض كل مقطع من كل سورة وما اشتمل عليه من أحداث, و تميزت به عن المقاطع الأخرى نافيا التكرار, يقسم السورة إلى مقاطع يعنون لها حسب ما تكرر فيها من أحداث.مقارنا بينها من حيث التشابه والاختلاف في

[1] – انظر: المصدر السابق 3/ 80-87.

[2] – من روائع القرآن: محّمد سَعيد رَمضان البوطي, موسسة الرسالة – بيروت,1420 هـ - 1999 م, ص: 196.

[3] –على طريق التفسير البياني, 90/3.

التعبير. على نحو ما يفعل أصحاب المتشابه اللفظي. ونمثل لذلك من قصة صالح عليه السلام.

قصة صالح عليه السلام: يقول بعد عرض مواضع القصة على النحو الذي ذكرناه في قصة نوح: " فأنت ترى أن القصة ليست مكررة وإنما يذكر في كل موضع ماينا سب السياق الذي وردت فيه. وأنه يذكر في كل موضع منها جانبا لم يذكره في المواضع الأخرى[1].

ثم يقسم القصة إلى مقاطع يعنونها حسب أحداث القصة ويفصل فيها تفصيلا دقيقا بالوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بينها وذلك على النحو التالي:(الدعوة- تذكيرهم بالنعم- البينة على صدقه- الموقف- الخاتمة- النجاة), فيذكر كل سورة ذكر فيها الحدث الذي عنون له, وخاصية التعبير فيه, ثمّ يذكر الموضع الذي يليه مبينا الفرق بينه وبين سابقه هكذا حتى يصل إلى آخر السورة التي ذكر فيها ذلك الحدث, مبرزا الفرق بين كل موضع, وكأن هذه الخطوة زيادة تفصيل للخطوة التي سبقتها. وإن كان هنا ينصب تركيزه أكثر على المتشابه اللفظي.

وهذه المقابلات الطويلة والدقيقة التي تنم على سعة علم المفسر بالتعبير القرآني وطول تأمله والتي يضعها بين يدي القارئ في قالب يتميز ببساطة الأسلوب, وعدم التعقيد بحيث يسهل فهمه والوصل به إلى إقناع العام والخاص أن هذا القصص لا تكرار فيه وهو الغرض منها, ويضيق بحثنا بالتمثيل لكل حدث ومقطع من هذه القصة, ونبرز مسلك المؤلف في ذلك بالتمثيل للحدث الأخير للقصة وهي (الخاتمة), فيقول:

1-ذكر في سورة الأعراف أنهم أصابتهم الرجفة وهي الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم جاثمين.
2-وقال في سورة هود أنهم أصابتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين, وهي صيحة من السماء[2]. وجمع الديار في الصيحة وأفردها في الرجفة لأن الصيحة يبلغ مداها أبعد من مدى الرجفة ولذا حيث ذكر الصيحة جمع فقال (الديار), وحيث ذكر (الرجفة) أفرد الدا ر[3].
3- وذكر في الحجر أنهم أخذتهم الصيحة. ولم يذكر في الشعراء لا رجفة ولا صيحة وإنما ذكر العذاب وهو مطلق فقال: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾[الشعراء: ١٥٨].

---

[1]-على طريق التفسير البياني: 227/3.
[2]-المصدر نفسه: 236/3.
[3]- محمود بن حمزة الكرماني: مصدر سابق, ص: 146.

5-وأما في النمل فلم يذكر شيئا من ذلك وإنما ذكر التدمير على العموم فقال:﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[النمل: 51].

6-وقال في فصلت إنهم أخذتهم صاعقة العذاب الهون (17).

7-وقال في الذاريات إنهم أخذتهم الصاعقة من دون إضافة إلى العذاب أو إلى غيره (45).

8-وقال في القمر إنه أرسل عليهم صيحة واحدة فذكر أنها واحدة.

9- وأما في الفجر فقد جمعهم مع عدة أقوام فقال فيهم جميعا:﴿ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴾[الفجر: ١٣].

10-وأما في سورة الشمس فلم يذكر شيئا من ذلك وإنما قال:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴾[الشمس: ١٤], أي أطبق عليهم العذاب مكررا وإنه لم ينج منهم أحد فكانوا في العذاب سواء[1].

إنّ أهم العناصر البارزة في خاتمة قصة صالح عليه السلام نوع العذاب الذي وقع على قومه, وقد عبّر عنه القرآن الكريم بألفاظ مختلفة يبدو فيها التباين بوضوح, مما يثير تساؤل أي نوع من العذاب قد وقع على القوم؟

يطرح السامرائي هذا التساؤل ليرفع اللبس عن هذه الخاتمة فيقول موضحا:" ذكر الرجفة مرة واحدة في سورة الأعراف, وذكر الصيحة ثلاث مرات, مرة في سورة هود ومرة في الحجر ومرة في القمر, وذكر الصاعقة مرتين, مرة في فصلت ومرة في الذاريات. ولا تناقض في ذلك أو اختلاف فإن الرجفة في الأرض, والصيحة من السماء ومعها الصاعقة, وأشدهن الرجفة لأنها زلزلة وهي تباشرهم أجمعين وتباشر مساكنهم. وذكرها لأنه ذكر استكبارهم ولأنهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وتحدوا نبيهم, قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[الأعراف:٧٧] . وتليها الصيحة لأن الصيحة قد لا يسمعها الأصم أو من وضع سداداً في أذنيه بخلاف الرجفة التي تعم الجميع.

[1]- على طريق التفسير البياني, 3/236-237.

وذكر الصيحة ههنا لأنّ موقفهم أخف, ذلك أنه لم يذكر في هود غير العقر.

ففي الأعراف ذكر العقر والعتو عن أمرهم والتحدي, وليس في هود أو غيرها ذلك. ولم يذكر في الحجر غير الإعراض عن الآيات, أما في القمر فلم يذكر غير العقر.

ثمّ تليها الصاعقة لأن الصاعقة قد تحل في مكان دون آخر وإن كانت عمتهم أجمعين. وذلك أنه لم يقل في فصلت إلا إنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى. ولم يذكر عقر الناقة.وفي الذاريات قال:﴿ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾[الذاريات: ٤٤], ولم يذكر عقرا أو غيره.فذكر في كل موضع جانبا من العقوبة يناسبه[1].

رابعا: الشروع في تفسير الآيات تفسيرا بيانيا: بعد عرض جميع مواضع القصة كما بيّنا والمقارنة بين المواطن المتشابهة, يقدم لنا المفسر تفسيرا بيانيا لآيات القصة.

المطلب الرابع: مسلكه في مسائل علم البيان.

لا نقصد علم البيان بالمعنى الواسع الذي تقرر في بداية هذا البحث, إنّما ما اصطلح عليه علماء البلاغة من: استعارة وكناية وتشبيه ومجاز وتعريض, وما هي طريقة المؤلف في عرض هذه المسائل؟ حيث بعد الاستقراء التام لأجزاء تفسيره الثلاث نلاحظ أن المفسر كان يكتفي بالإشارة إلى نوعها أو تقديم شرح بسيط للصورة المركبة منها, نائيا عن التعريفات وتفصيلات البلاغيين, وسنمثل لطريقة عرضه لهذه المباحث ومن ذلك:

1- في تفسير قوله تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾[الفلق: ٣], يقول: ..إن اختيار لفظ الوقوب مع الغسق أولى من لفظ الدخول فهو أحسن استعارة وأجمل تعبير ذلك أن الليل كأنه ينصب ظلامه ويجتمع في نقرة كما يجتمع فيها الماء. فالعالم كالنقرة يصب فيها الليل ظلامه فلا يترك منها شيئا[2].

2-ومن ذلك أيضا عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[الضحى: ٢] يقول:"(سجا) معناه (سكن) في أشهر الأقوال, ومعلوم أن الليل لا يسكن وإنما يسكن أهله وما فيه مما يصح أن

[1]- المصدر السابق: 3/ 238.

[2]- المصدر نفسه: 36/1

يتصف بالسكون, وعلى هذا فالإسناد مجازي[1]"[2]. جاء في روح المعاني:"وَاللَّيْلِ أي وجنس الليل إذا سَجى أي سكن أهله على أنه من السجو وهو السكون مطلقا كما قال غير واحد والإسناد مجازي[3]".

ومن صور المجاز العقلي أيضا إسناد الحكمة إلى القرآن في قوله تعالى:﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[يس: ٢] فيقول: والحكيم أيضا صاحب الحكمة, فيكون القرآن حكيما بمعنى أنه ذو حكمة أي متضمن إياها ومتصف بها فيكون الإسناد مجازيا, وحقيقة الإسناد إلى الله[4].

3–ومن مسائل البيان في باب الاستعارة ما جاء في تفسيره قوله تعالى:﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[الضحى: ٣] من السورة نفسها, فيقول نقلا عن الألوسي:" ودع من التوديع وهو في الأصل من الدعة وهو أن تدعو للمسافر بأن يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاء له بالسلامة، ثم صار متعارفا في تشييع المسافر وتركه ثم استعمل في الترك مطلقا..على أن التوديع مستعارة استعارة تبعية للترك وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقته[5].

4–ونمثل لذلك أيضا بقوله عند تفسير قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ [الحديد: ٢٠], شبه الحياة الدنيا بغيث أعجب الكفار نباته[6].

ويأتي تفصيل صورة التشبيه المذكور عند ابن عطية حيث يقول: وصورة هذا المثال: أنّ الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك فيشب ويقوى ويكسب المال والولد ويغشاه الناس،ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشيب ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحل أمره، وتصير أمواله لغيره، وتغير رسومه، فأمره مثل مطر أصاب أرضا فنبت عن ذلك

---

[1] - **والإسناد المجازي**:إذا جعلَ المتكلّم الإسنادَ في جملتهِ مبنيًّاً على غَير ما يعتقِد أنّه هو لَه في الواقع مُلاحظاً علاقَةً ما, أو مُلاَبسَةً ما تَسْمَحُ لَهُ بأنْ يُسْنِدَ هذا الإسناد، دون أن يتَّهمه أحَدُ بالكذِب، فهو إسنادٌ مجازيٌّ، ويُسمَّى هذا "مجازاً عقليّاً" لأنّه وقَعَ في الإسناد، لا في الْمسندِ، ولا في الْمُسنَدِ إليه. انظر(عبد الرحمن حبنكة الميداني: البلاغة العربية, ص: 194-195)

[2] – على طريق التفسير البياني: 1/ 110.

[3] – روح المعاني: مصدر سابق: 373/15-374.

[4] –المصدر السابق: 40/3

[5] – انظر: على طريق التفسير البياني: 111/1, روح المعاني: 374/15.

[6] – على طريق التفسير البياني: 1/ 278.

الغيث نبات معجب أنيق. ثم هاج: أي يبس واصفر، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضمحل[1].

– ومن أمثلة التشبيه أيضا قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴾[هود:١٠٠] , شبه ما بقي من القرى "بالزرع القائم على سوقه, وما عفا وبطل بالحصيد"[2].

5–وجاء قوله في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ ﴾[هود: ٧٠], نقلا عن روح المعاني أيضا:"كناية عن أنهم لا يمدون إليه أيديهم ويلزمه أنهم لا يأكلون.."[3].

ويظهر من هذه النماذج وغيرها أن السامرائي ينقل الكثير من هذه المسائل البيانية عن "روح المعاني" للألوسي وقلّما يزيد على ما ذكره.

المطلب الخامس: مسلكه في عرض علوم اللغة:

إن بين التفسير واللغة العربية علاقة وثيقة, يعرفها كل من ألمّ بتاريخ القرآن وعرض لنشأة تلك العلوم, ومن الذائع أنّ الدراسات اللغوية والنحوية إنما نشأت خدمة للقرآن الكريم وصونا له, وتيسيرا للغته, وتوضيحا لمعانيه..وقل أن نجد مفسرا, أيّا كان مذهبه لا يستعين بعلوم العربية في بيان معاني التنزيل, وقل أن نجد تفسيرا تخلو مقدمته من بيان أهمية هذه العلوم وضرورة إتقان المفسر لها[4], إلى أن أن ظهرت المدرسة البيانية لتجعل ذلك من ألزم الأمور للمفسر, فلا تغني المعرفة اليسيرة بها, بل ينبغي أن يكون المفسر البياني على اطلاع واسع في علوم اللغة[5], لأهميتها لفهم كتاب الله عز وجل, وجل, حيث تمكنه من البحث عن وجوه بيانه, وأسرار إعجازه, ومكامن جماله الأسلوبي والنظمي.

---

[1]–: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تح: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1, 1422 هـ, 5/ 267.

[2] – على طريق التفسير البياني: 312/3,روح المعاني: 330/6.

[3]– روح المعاني: مصدر سابق, 292/6 .

[4]– الأدوات النحوية في كتب التفسير: محمود أحمد الصغير: دار الفكر, دمشق و دار الفكر المعاصر, بيروت, ط: 1, 1422هـ/ 1422هـ/ 2001م, ص:23.

[5]– على طريق التفسير البياني: 7/1.

ولقد احتوى كتاب " على طريق التفسير البياني" على نصيب وافر من علوم اللغة, حيث أخذت المباحث النحوية والبلاغية حيزا كبيرا منه, فاهتم مؤلفه بالمسائل النحوية الإعرابية منها والصرفية, وبمعاني الحروف ودلالات الألفاظ, واستخراج النكت البلاغية مما جعله ثروة واسعة لهذه العلوم. وسنبيّن في هذا المبحث مبلغ هذا الاهتمام:

1- حروف المعاني[1]ووظائفها البلاغية: والمراد بها الحروف الّتي تدلّ على معنى في غيرها، كحروف الجرّ والتّوكيد والقسم...[2].وهذه الحروف لها وظيفتان؛ وظيفة نحوية: ما بعدها منصوب أو مجرور أو مجزوم، وظيفة أخرى هي أسمى وأعلى وأدق وهي الوظيفة البلاغية التي يظهر من خلالها إعجاز القرآن الكريم وروعة البيان, وهي مناط كبير من أساليب الفصاحة التي جاء بها القرآن بأبرع الأساليب في استخدامها[3], والوظيفة البلاغية لهذه الحروف هي التي كانت محل اهتمام السامرائي "باعتبارها مدخلا حيويا إلى النصوص, وجانبا بارزا في تحديد اتجاهات الآية وسبيلا دقيقا لبيان الأحكام وأسرار الجمال والإشراق ومكامن التأثير"[4].

وعن عناية المفسر بهذا الجانب يقول توفيق زبادي:" ولعل استخدام النحو وأدواته يعود لتبحر الدكتور السامرائي في النحو وكيف لا وهو صاحب كتاب معاني النحو في أربعة أجزاء شرح فيه معنى النحو لا قواعده مستعينا بآراء البلاغيين الذين سبقوه ولعل نظرية النظم للجرجاني كانت حاضرة بقوة في كتاب الدكتور السامرائي فكانت الدلالات البلاغية للأساليب النحوية, وهو أمر لم يسبقه أحد إلى مثل هذا التنظير, فأعطى لقارئ الكتاب ثروة كبيرة حول أدوات النحو ووظائفها البلاغية"[5].

كما اهتم المؤلف بالدلالة السياقية لهذه الحروف, وعلل كثيرا من اختيارات القرآن الكريم لحرف

---

[1] – وفيه مؤلّفات مفيدة محقّقة للغرض، منها: «مغني اللّبيب» للإمام جمال الدّين ابن هشام، و «الجنى الدّاني في حروف المعاني» للحسن بن قاسم المراديّ، و «رصف المباني في شرح حروف المعاني» لأحمد بن عبد النّور المالقيّ، ومطوّلات الكتب المؤلّفة في علوم القرآن تناولت ذلك أيضا.(انظر: عبد الله بن يوسف الجديع العنزي: المقدمات الأساسية في علوم القرآن, مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا, ط:1, 1422 هـ - 2001 م, ص: 421).

[2] –المصدر السابق: ص:1/ 421.

[3] – مناهج جامعة المدينة العالمية: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم, جامعة المدينة العالمية, ص: 127-131.

[4] – الأدوات النحو: مرجع سابق, ص: 32.

[5] –توفيق زبادي: مرجع سابق, ص: 16.

دون آخر, وتناوب هذه الحروف من حيث المعنى, وهذه نماذج من تفسيره توضح كل ذلك:

1-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[قريش: ٣], يقول المؤلف في معنى الفاء: والفاء في ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ ﴾ ونحوه من التعبيرات ذكر لها عدة معان, فقد قيل إنها دخلت لمعنى الشرط, أي إن لم يعبدوه لسائر النعم فليعبدوه لهذه النعمة, وقيل هي زائدة تفيد التوكيد[1]. جاء في الكشاف: "فإن قلت: فلم دخلت الفاء؟ قلت: لما في الكلام من معنى الشرط"[2]. ومنشأ حصول معنى الشرط: أنه ما اقتضى قصد الاهتمام بالمعمول تقديمه على عامله، تولد من تقديمه معنى جعله شرطا لعامله فاقترن عامله بالفاء التي هي من شأن جواب الشرط، فالفاء الداخلة في قوله: ليعبدوا مؤذنة بأن ما قبلها في قوة الشرط، أي مؤذنة بأن تقديم المعمول مقصود به اهتمام خاص وعناية قوية هي عناية المشترط بشرطه، وتعليق بقية كلامه عليه لما ينتظره من جوابه، وهذا أسلوب من الإيجاز بديع[3].

2-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾[الليل: ٣], يقول في ال(ما) وما تحتمله من معاني: "تحتمل أن تكون (ما) اسما موصولا أي (والذي خلق الذكر والأنثى), وعبر عنه ب (ما) لأن ما تكون لذات ما لا يعقل ولصفات من يعقل نحو قوله:﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[النساء: ٣]وقوله:﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾[الشمس: ٥], فيكون التعبير ب (ما) ههنا لقصد التفخيم والتعظيم ووصفه بأنه الخالق لجنسي الذكر والأنثى"[4].

3- ويقدم لنا معنى آخر من معاني (ما) في قوله تعالى:﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾[الليل: ١١] فيقول: يجوز أن تكون (ما) استفهامية, أي أيّ شيء يغني عنه ماله إذا تردى أي إذا هلك, ويجوز أن تكون (ما) نافيه.جاء في البحر المحيط:"وما يغني: يجوز أن تكون ما نافية واستفهامية، أي: وأي شيء يغني عنه ماله؟"[5].

4-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾[الإنسان: ٢٨], و في هذه الآية يعرض لمعنى (إذا) وسبب اختيار القرآن لهذا الحرف فيقول: جاء ب(إذا) ولم يقل (وإن شئنا) ذلك أن (إذا)

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 1/ 103.

[2]- الكشاف: مصدر سابق, 4/ 800.

[3]- التحرير والتنوير: مصدر سابق, 30/ 555.

[4]- على طريق التفسير البياني: 1/ 124.

[5]- البحر المحيط: مصدر سابق, 10/ 493.

تستعمل للدلالة على المتيقن والمقطوع بحدوثه أو الكثير الحدوث, وهذا إشعار بأنّ الله سيبدل أمثال هؤلاء الكفرة في الخلقة ويأتي بمؤمنين يؤمنون بما نزل خالقهم مطيعون له[1].

وقد تأتي (إذا) بمعاني أخرى كالدلالة على المفاجأة, أو الظرفية...واختيارها بدلا من (أن) موافقا للسياق الذي وردت فيه.

5–ومن حروف الجر (من) والذي يفيد ابتداء الغاية في البعدية كما بيّن لنا ذلك الدكتور السامرائي في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ﴾[الصف:٦] , حيث يقول: وقال (من بعدي) ولم يقل (بعدي) ليدل على أنه ليس بينهما نبي, وذلك أن (من) تفيد ابتداء الغاية في

البعدية, وأما (بعد) من دون من فتحتمل البعدية القريبة والبعيدة[2].

6– ومن ذلك أيضا قوله في قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ﴾[الحديد:١٠] , قال (ومالكم ألّا تنفقوا في سبيل الله) بذكر (أن) مع (لا) وقال في الآية السابقة (ومالكم لا تؤمنون) من دون (أن) ذلك أن (أن) تفيد الاستقبال...والإنفاق في سبيل الله يحتمل الاستقبال وقد يكون هذا الإنفاق مطلوبا للجهاد, والجهاد ليس قائما في وقت الطلب جاء بأداة الاستقبال[3].

7– وفي ما تفيده الباء في قوله تعالى:﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ ﴾[الحديد: ١٣], يقول: قيل: الباء في (بسور) زائدة للتوكيد والتقدير: ضرب بينهم سور[4].قال الألوسي: والباء مزيدة لَهُ[5] , وقال الرازي: الباء في قوله:بسور صلة وهو للتأكيد[6].

8– وفي قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾[الحديد: ٢٧], يقول: و(على) للاستعلاء[7].

---

[1]– على طريق التفسير البياني: 193/1.

[2]– المصدر نفسه: 214/1.

[3]– المصدر نفسه:252/1.

[4]– المصدر نفسه: 1/ 258.

[5]– روح المعاني: مصدر سابق, 177/14.

[6]– التفسير الكبير: مصدر سابق, 29/ 458 .

[7]– على طريق التفسير البياني: 298/1.

9– ومن ذلك أيضا: في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[يس: ٣٢] يقول: و(إن) نافية, و(لما) بمعنى (إلّا).

10– ومن نفس السورة, وفي قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾[يس: ٥١], يقول:"..ثمّ قال (فإذا) فجاء بالفاء مع (إذا) الفجائية ذلك أن الفاء تدل على الترتيب والتعقيب, أي يخرجون فجأة من دون تراخ أو مهلة من الوقت ففي عقب النفخة مباشرة من دون تلبث يخرجون من الأجداث ينسلون إلى ربهم[1].

11–وفي سبب نفي الفعل ب(ما) دون (لم) في قوله تعالى﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[يس: ٦٩], يقول: ونفى الفعل ب (ما) ولم ينفه ب (لم) فلم يقل (ولم نعلمه الشعر), وذلك لقوة (ما) في النفي ذلك أن (ما فعل) نفي ل (لقد فعل) وأن (لم يفعل) نفي ل (فعل) و(ما) إذا نفت الفعل الماضي كانت بمنزلة جواب القسم[2].

12– ويبين لنا ما تفيده (لا) مع صيغة المضارع فيقول في سبب النفي ب (ما) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾[يس: ٦٩]: لقد نفى الفعل (ينبغي) ب (ما) فقال (وما ينبغي له) ولم ينقه بلا ذلك أن (لا) الداخلة على الفعل المضارع أكثر ما تكون للاستقبال, بل ذهب النحاة إلى أنها خاصة للاستقبال[3].

13– يقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [لقمان: ٢٥], قال تعالى:(ولئن سألتهم) باللام الموطئة للقسم ولم يقل و(إن سألتهم) ويؤتى بهذه اللام للدلالة على التوكيد وأن الكلام معها بمنزلة القسم بل هو قسم عند النحاة[4].

14–قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾[هود: ٧٦], بإدخال (إن) المؤكدة على ضمير الشأن لتفخيم الأمر وتعظيمه, فلم يقل (إن أمر ربك قد جاء) بل جاء بضمير الشأن الدال على التعظيم

---

[1]– على طريق التفسير البياني: 180/2.

[2]– المصدر نفسه: 237/2.

[3]– المصدر نفسه: 239/2.

[4]– المصدر نفسه: 352/2.

والتفخيم.

وفي قوله (قد جاء) يقول: جاء ب(قد) التي تدل على التحقيق والتوقيع والتقريب, أي إن مجيء الأمر قد تحقق وقرب وقوع العذاب وهو متوقع وقوعه على هؤلاء القوم المجرمين[1].

وهذه النماذج تبيّن مدى عناية المفسر بحروف المعاني, فلا يفوته موضعا ذكرت فيه إلا وذكر وظيفتها البلاغية, حيث يعتبر تفسيره معجماً لهذه الحروف.

2- المسائل النحوية والإعرابية: لقد أشرنا سابقا إلى أن السامرائي إنما استعان بعلم النحو والبلاغة لتحديد معنى الآيات ولم يكن ذلك هدفا في تفسيره, إنما هي أدوات لكشف أغوار التعبير فلا نجده يستطرد في الصناعة النحوية إلا من حيث الوقوف على مدلول الآية أو الكشف عن وجه بلاغي فيها, وكذلك إذا ما عرض للأوجه الإعرابية وما يؤدي إليه كل وجه من هذه الوجوه في ما تحتمله الآية من مدلولات. "فبمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب وتصح معرفة حقيقة المراد."[2], و يظهر ذلك في الأمثلة الآتية:

1-فعند قوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾[الليل: ١], يقول في مفعول (يغشى) وما يؤدي ذلك من معنى:" ومفعول يغشى محذوف, فاحتمل أن يكون المغشي الشمس كما **قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾[الشمس: ٤], واحتمل أن يكون النهار كقوله تعالى:﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾[الأعراف: ٥٤], واحتمل أن يكون المغشي كل شيء: الأرض وما فيها وكل ما يواريها ظلامه[3].

2- ويقول في تعدية الفعل بنفسه في قوله **تَعَالَىٰ**: ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾[الإنسان: ٣]: فعدى الفعل بنفسه إلى السبيل ولم يعده بإلى وذلك أن التعدية بإلى تقال لمن لم يكن في السبيل والتعدية المباشرة تقال لمن كان فيه ولمن لم يكن فيه[4].

3- وفي قوله **تَعَالَىٰ**:﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[يس: ٤], يقول في أوجه إعراب الجار والمجرور

---

[1]- المصدر السابق: 263/3.

[2]- مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب,تح: حاتم الضامن, مؤسسة الرسالة – بيروت, ط:2, 1405هـ, 1/ 63.

[3]- على طريق التفسير البياني: 123/1, (انظر: الكشاف:761/4, البحر المحيط: 492/10, روح المعاني: 366/15).

[4]- على طريق التفسير البياني, 159/1.

يحتمل أن يكون هذا الجار والمجرور خبرا بعد خبر أي إنّك على صراط مستقيم كما تقول (إنّه من أهل بغداد من أصحاب الثراء) فأخبرت أنه من أهل بغداد وأنه من أصحاب الثراء.كما يحتمل أن يكون متعلقا بالمرسلين أي إنّك من الذين أرسلوا على صراط مستقيم[1].

يقول الألوسي في أوجه إعراب الآية:"على صراط مستقيم خبر ثان لأن، واختاره الزجاج قائلا: إنّه الأحسن في العربية, أو حل من ضميره عليه الصلاة والسلام المستكن في الجار والمجرور أو الواقع اسم إنّ بناء على رأي من يجوز الحال من المبتدأ، وجوز أن يكون متعلقا بالمرسلين وليس المراد به الحال أو الاستقبال أي لمن الذين أرسلوا على صراط مستقيم، وأن يكون حالا من عائد الموصول المستتر في اسم الفاعل، أو حالا من نفس المرسلين"[2].

والملاحظ انتقاء المفسر لما يرجحه من أوجه إعرابية مما يؤدي إلى معنى مغاير, ثمّ يعرض لما يؤدي إليه كل وجه من معنى.

4-وفي قوله تعالى:﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾[يس:١٢] , يقول في مجيء (كل) منصوبة وما يؤديه النصب والرفع من معنى:"..بنصب (كل) ولم يقل (وكلُ شيء) بالرفع ذلك أن المعنى بنصب (كل) أننا أحصينا كل شيء في كتاب مبين.

وأمّا بالرفع فيحتمل معنين:

المعنى الأول: وهو ما ذكرناه بالنصب فيكون (كل) مبتدأ وجملة (أحصيناه) خبرا له.

والمعنى الآخر: أن تكون جملة (أحصيناه) نعتا لشيء والخبر (في إمام مبين) فيكون المعنى (أننا كل شيء أحصيناه) (في إمام مبين) أي أن الشيء الذي أحصيناه إنما هو في إمام مبين[3].

وعلى هذا المعنى يتحدد معنى باطل لهذا الوجه الإعرابي فيقول: ومعنى ذلك أن الأشياء على قسمين: قسم محصى وهو في إمام مبين, وقسم غير محصى وهو ليس كذلك, وهذا المعنى باطل لا يمكن أن يراد[4].

5-ومن أمثلة ذلك أيضا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴾[يس: ٥٥] وفي هذا الموضع الذي يحتمل وجوها من الإعراب يظهر لنا جليا مدى حرص المفسر على

[1]- المصدر السابق: 2/ 7.

[2]- روح المعاني: مصدر سابق, 385/11.

[3]- على طريق التفسير البياني, 46/2-47.

[4] - المصدر السابق: 47/2.

تحديد معنى الآية انطلاقا من تلك الأوجه, فيقول: إن هذا التعبير يحتمل أن يكون قد أخبر عن أصحاب الجنة بخبرين وهما أنهم في شغل وأنهم فاكهون, فيكون (في شعل) خبرا أول و(فاكهون) خبرا ثانيا على النحو الآتي:

إن أصحاب الجنة (في شغل), (فاكهون).

كما يحتمل أن يكن الخبر هو (فاكهون) و(في شغل) متعلقا به, أي أنهم فاكهون في شغل. أي: أن أصحاب الجنة (فاكهون في الشغل) أي متمتعون بالشغل.

وبهذا جمع عدة معان وهي: أنهم في شغل, وأنهم فاكهون على العموم سواء كان ذلك أم في غيره وأنهم فاكهون في الشغل[1].

ولا يكتفي الدكتور بهذا القدر, بل يفترض تعبيرا صحيحا في اللغة العربية ليبين أن ما جاء به القرآن الكريم أولى وأبلغ حيث يقول: إنّه يصح في العربية أن يقال (إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شغل فاكهين) فيكون الخبر (في شغل) و(فاكهين) حالا من الجار والمجرور. غير أنّه ما قاله أولى ذلك لأنّه لو قالها بالنصب لكان المعنى أنّهم فاكهون عند شغلهم فيكون التمتع في الشغل, أمّا في غيره فهو مسكوتٌ عنه فقد يكونون فاكهين أو غير فاكهين. فجاء به مرفوعاً ليعم ذلك كل الأحوال والأوقات[2].

6- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[لقمان:٢٤] , يقول: قوله (قليلا) يحتمل أنه وصف للمصدر المحذوف أي مفعول مطلق بمعنى:(نمتعهم تمتيعا قليلا), ويحتمل أنّه وصف للزمان المحذوف أي ظرف زمان بمعنى نمتعهم زماناً قليلاً, وقد حذف الموصوف ليشمل المعنيين أي نمتعهم تمتيعا قليلا زمانا قليلا وهو من التوسع في المعنى, ولو قال (نمتعهم تمتيعا قليلا) لانحصرت القلة في التمتيع, ولو قال (نمتعهم وزمانا قليلا) لانحصرت القلة في الزمان فحذف الموصوف ليشمل المعنيين جميعا[3].

7- وعند قوله تعالى:﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[هود: ١٢٠], وقول (ما نثبت ب فؤادك) بدل من (كلاً) ويحتمل أوجها إعرابية أخرى[4].

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 202/2.

[2]- المصدر نفسه: 2/ 202.

[3]- المصدر نفسه: 2/ 349.

[4]- المصدر نفسه: 3/ 348.

جاء في تفسير القرطبي:" و(ما) بدل من(كلا) المعنى: نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"[1]. وقال الألوسي في أوجه إعرابها:" وقوله عز وجل: ما نثبت به فؤادك قيل: عطف بيان لـ(كلا) بناء على عدم اشتراط توافق البيان والمبين تعريفا وتنكيرا، المعنى هو ما نثبت إلخ.

وجوّز أن يكون بدلا منه بدل كل أو بعض، وفائدة ذلك التنبيه على أن المقصود من الاقتصاص زيادة يقينه صلى الله تعالى عليه وسلم وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار.

وجوّز أيضا أن يكون مفعول (نقص) و(كلا) حينئذ منصوب إمّا على المصدرية أي : كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك الذي نثبت به فؤادك من أنباء الرسل، وإمّا على الحالية من (ما) أو من الضمير المجرور في (به) على مذهب من يرى جواز تقديم حال المجرور بالحرف عليه، وهو حينئذ نكرة بمعنى جميعا أي نقص عليك من أنباء الرسل الأشياء التي نثبت بها فؤادك جميعا[2].

ونلمس أن السامرائي يعرض عن ذكر الأوجه الإعرابية إذا كانت لا تؤدي معنى زائد للآية أو تكشف عن سر من أسرار التعبير, أو يؤدي ذلك إلى معنى فاسد, لأنّ وكما ذكرنا أنّ الصناعة النحوية ليست هدفا في حد ذاتها عند الدكتور حفظه الله تعالى.

3-الصرف: علم يبحث في بنية الكلمة من حيث بنائها ووزنها وما يطرأ على تركيبها من تغيير. موضعه: الاسم غير المبني، والفعل غير الجامد. ليس منه الحروف[3].

وقد اعتنى المفسر ببنية الكلمة, وصيغ الأفعال وما تؤديه من معنى عناية كبيرة, وخصص لها في كتابه " من أسرار التعبير القرآني" ثلاثة مباحث, تناول فيها الأبنية القرآنية ودلالتها وفصل القول في هذا الموضوع في كتابه " معاني الأبنية في اللغة العربية", وسنقدم هنا أمثلة لذلك, ومن أراد الاستزادة ومعرفة الخطوط التعبيرية للقرآن الكريم في أبنية الصفات فليراجع الكتابين المذكرين.

---

[1]- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن القرطبي تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية – القاهرة, ط:2, 1384هـ - 1964 م, 9/ 116.

[2]-روح المعاني: مصدر سابق, 6/ 359.

[3]- المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف: عبد الله بن يوسف الجديع العنزيك: مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, ط:3, 1428 هـ - 2007 م, ص: 12.

أولا: أبنية الصفات:

1- عالم- علاّم: قوله:﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾و﴿ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾

فإنه إذا أفرد الغيب جاء باسم الفاعل فقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾, وإذا جمع الغيب جاء بصيغة المبالغة فقال: ﴿ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾, وذلك حيث وقع في القرآن الكريم وذلك لتناسب المبالغة في العلم كثرة الغيوب فإنه ورد قوله ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾في ثلاثة عشر موضعا من القرآن الكريم وورد قوله ﴿ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾في أربعة مواطن[1].

2- أحد- واحد: قوله: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[الإخلاص: ١].

يقول: إنّ (أحد) صفة مشبهة على وزن (فعل) مثل بطل وحسن, أما (واحد) فعلى زنة اسم الفاعل من (وحد), والصفة المشبهة أثبت من اسم الفاعل فأحد أثبت من واحد وأدوم فالواحد قد تزول وحدانيته إذا كان له نظير فتقول: كنت واحد فصرنا اثنين, وكان واحدا فصاروا جمعا, وقد يبقى على وحدانيته إذا لم يكن له نظير.

أما (أحد) فهي تدل على الثبات والدوام ووحدانيته لا تتغير ولا تزول فجاء بالصيغة الدالة على دوام الأحدية وعدم تغيرها وهذا مناسب لقوله (لم يلد ولم يولد)[2].

3- الكوثر- الكثير- الكَيْثَرْ:

يقول: (الكوثر) فوعل من الكثرة وهو وصف يفيد المبالغة والإفراط فيها ..و(الكثير) فإنها تفيد الكثرة فقط غير محددة بشيء.و(الكيثر) على وزن (فيعل) كصيرف وصيقل غير أنه قال (الكوثر) ولم يقل (الكيثر) لأن الواو أقوى من الياء فأعطى الأقوى لقوة الوصف[3].

4- ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾[الليل: ٧].

اليسرى صفة وهي اسم تفضيل مؤنث الأيسر كالحسنى مؤنث الأحسن والكبرى مؤنث الأكبر وقد ذكر الصفة ولم يذكر لها موصوفا لقصد الإطلاق نظير الحسنى[4].

5- ﴿ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان: ٣].

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 1/ 38.

[2]- المصدر نفسه: 1/ 62.

[3]- المصدر نفسه: 1/ 81-83.

[4]- على طريق التفسير البياني: 1/ 131.

جاء بـ(شاكر) على صيغة اسم الفاعل و(كفور) على المبالغة ذلك أن الإنسان يبالغ في الكفر دون الشكر.ولم يقل (إما شكورا وإما كفورا) ذلك أن الشكور من العباد قليل[1].

6-﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾[يس: ٧٢].

الركوب فعول بمعنى مفعول أي مركوب, وفعول بمعنى مفعول على قسمين:

فالاسم نحو رسول بمعنى مرسل والنقوع لما ينقع والبخور لما يتبخر به.

والوصف نحو قولهم ناقة ذلول أي مذللة وناقة أمون وهي الناقة التي يؤمن فتورها وعثورها[2].

7- قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[لقمان: ١٨].

و(مختال) مفتعل من (خال) يقال: خال الرجل واختال إذا تكبّر..و(اختال) أبلغ من (خال) في التكبر والإعجاب بالنفس لأنه على وزن (افتعل) وإن من معاني (افتعل) المبالغة في معنى الفعل. فالمختال هو المبالغ في التكبر والتباهي والإعجاب بالنفس وفي سائر معاني الوصف[3].

8- قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[هود: ٢٩], يقول: وجاء (بطارد) اسم الفاعل للدلالة على الدوام, أي أن هذه هي حاله الدائمة. ولم يقل (ولا أطرد) أو (لن أطرد) بالفعل فيدل على الحدوث وعلى زمن معين وإنما هو لا يطردهم على سبيل الدوام والثبات[4].

ثانيا: صيغ الأفعال واستعمالاتها ومدلولاتها:

1- يقول في التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾[يس: ١١]: قد تقول:إنه عبر بالفعل الماضي فقال (اتّبع الذّكر وخشي الرحمن) فهذا يخص طائفة المؤمنين ولا يشمل من لم يدخل الإيمان قلبه بعد.

فنقول: إن الفعل الماضي قد يعبر به عن المستقبل كقوله تعالى:﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾[البقرة: ١٥٠], أي: تخرج[5]... جاء في روح المعاني:" واتبع بمعنى يتبع، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع أو المعنى إنما ينفع إنذارك المؤمنين الذين اتبعوا، ويكون المراد بمن اتبع

---

[1]- المصدرنفسه: 1/ 159.

[2]- المصدر نفسه: 2/ 256.

[3]- المصدر نفسه: 2/ 230.

[4]- المصدر نفسه: 3/ 116.

[5]- المصدر نفسه: 31/2.

المؤمنين وبالإنذار الإنذار عما يفرط منهم بعد الإتباع فلا يلزم تحصيل الحاصل، وقيل: المراد من اتبع في علم الله تعالى وهم الأقلون الذين لم يحق القول عليهم"[1].

2- وفي قوله تعالى:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[الليل: ١٧],يعلل الصيغة التي ورد عليها الفعل بالبناء للمجهول موضحا دلالته في الآية فيقول:" لم يقل (سيتجنبها الأتقى) بالبناء للمعلوم ذلك أن تجنب النار أمر عسير ليس ذلك إليه بل ذلك إلى ربه..."[2].

3- وفي استعمال القرآن للفعل (سبّح) بجميع الصيغ التي ورد بها ودلالتها يقول: لقد ورد(التسبيح) في القرآن الكريم بصور شتى فقد ورد بالفعل الماضي نحو (سبح لله) وورد بالمضارع نحو (يسبح لله) وورد باسم المصدر وهو (سبحانه) وذلك ليشمل الأزمنة كلها ويستغرقها, فالماضي يستغرق الزمن الماضي والمضارع يستغرق الحال والاستقبال والأمر يفيد طلب التسبيح في المستقبل والمصدر غير مقيد بزمن أو فاعل فهو يفيد الحدث المطلق فهو يدل على حدوث التسبيح سواء كان هناك من يسبحه أم لا, فاستغرق ذلك الأوقات كلها , وأفاد أنه مستحق التسبيح على الدوام سواء أكان هناك من يسبح أم لم يكن[3].

ومن هذا المبحث نستخلص أهمية علوم اللغة في الكشف عن فهم كتاب الله من جهة, ومدى اعتماد الدكتور على هذه العلوم في تفسيره.

المبحث الثاني: مسلكه في تفسير المفردة القرآنية.

تفاوت علماء البلاغة والإعجاز في نظرتهم للمفردة القرآنية وتباينت آراؤهم حولها, فكون القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما أكد ذلك القرآن نفسه في عدة مواضع, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[يوسف: ٢], وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥], فإن ألفاظه من معدن ما نطقت به ألسنتهم وتداول بينهم, فلا مزية لها إذن حال إفرادها عن باق الكلام. ومن هنا انصبت عنايتهم في إدراك إعجاز القرآن على النظم, وخاصة بعد الإمام الجرجاني الذي "بيّن هذه الفكرة، ووضع قوانينها

[1]-روح المعاني: مصدر سابق, 390/11.

[2]- المصدر نفسه: 1/ 145.

[3]- المصدر نفسه: 202/1.

الواضحة في تحليله الوافي"[1]. وليس يعنينا هنا عرض مذاهبهم وآرائهم في ذلك, إنما الإشارة إلى تطور الاهتمام بالمفردة القرآنية والتي كانت "في نظرهم شيء معجمي، ولم يتدبّروا مواءمتها للموضوع، وما تختصّ به من دلالة خاصة فريدة، فتتملك موضوعها تملّكا نوعيا"[2]. وإن كانت هذه النظرة نسبية بينهم, إلى أن قامت المدرسة البيانية والتي كانت خطتها في تفسير النص القرآني مقسمة إلى جزأين أولها النظر في المفردات, ثمّ النظر في التراكيب, فأحدثت منعطفا مهما في تاريخ اللفظ القرآني المفرد من ناحية الاهتمام به, وإن كان لحقله الدلالي النصيب الأوفر في ذلك, ولعل من أكثر المفسرين البيانيين الذين عنوا بالمفردة القرآنية من مختلف جوانبها, فاضل السامرائي الذي يعد من أوائل من أفردها بالتصنيف فوضع المؤلفات في خدمتها مفصلا في أبنية الكلمة, وبلاغتها في القرآن الكريم واستعمالاتها كما تناول الجوانب الفنية للمفردة القرآنية من حيث بنائها في الجملة,...إلى غير ذلك. وكان له منهج في ذلك نلتمسه من تفسيره مع تسليط الضوء على جوانب عنايته بالمفردة القرآنية من الناحية الفنية, وهذا بيان لمنهجه:

أولا: بيان الدلالة اللفظية للكلمة:

أشرنا سابقا أن المؤلف لم ينتهج في تفسيره منحى المدرسة الأدبية في تتبع الدلالة المعجمية للفظ القرآني, وهذا– والله أعلم– لأهمية الدلالة السياقية عنده, ولذلك نجده غالبا ما يعتمد على كتب التفسير في تحديد معنى اللفظ, دون الرجوع للمعاجم اللغوية, وأكثر اعتماده على لسان العرب في ذلك, كما أنه لا يفصل في مدلولات الكلمة إلا لغرض ما يقتضيه هذا التفصيل, كأنْ ما إذا كانت اللفظة القرآنية تحمل معان عدّة يحتملها السياق أو يحتمل بعضها, ومن ذلك على سبيل المثال في تفسيره للفظ (الفلق) فيقول:

(الفلق) هو الفجر وقيل الصبح وقيل هو الخلق كله وحقيقة الفلق الشق, وهو أصل معاني هذه اللفظة وكل معانيها الأخرى تعود إليه[3].

وبعد هذا الإجمال يورد الأقوال في اللفظ مبينا سبب اختيار القرآن له,جاء في لسان العرب:" الفلق الشق..."[4].

---

[1]– جماليات المفردة القرآنية: أحمد ياسوف: دار المكتبي – دمشق, ط:2, 1419 هـ - 1999م, ص: 38.

[2]– المرجع نفسه: ص:44.

[3] – على طريق التفسير البياني: 29/1.

[4] – لسان العرب: مصدر سابق, ص:3462.

وجاء في الكشاف:" الفلق والفرق: الصبح، لأن الليل يفلق عنه ويفرق..[1].

وجاء في التفسير القيم:" واعلم أن الخلق كله فلق... الله عز وجل فالق الإصباح, وفالق الحب والنوى وفالق الأرض عن النبات.. ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة فلقا وفرقا.. ومنه فلقه البحر لموسى، وسماه فلقا"[2]. ومن ذلك يتبين أن أشهر معاني الفلق:

1- الصبح وهو أشهر معنى له وخص به عرفا[3].

2- جميع المخلوقات وفلق الصبح من ذلك.

3- بيان الحق بعد إشكال.

ويقول بعد أن يعرض لأسباب تخصيص الفلق بالذكر واختياره بدل لفظ الصبح: أن لفظ (الفلق) أعم من لفظ الصبح وأن لها أكثر من معنى ويمكن أن تكون معانيه مرادة كلها, فلفظ الفلق يفيد توسعا في المعنى[4].

ويؤكد ذلك عند تفسيره لفظ (الضحى) فلا يحتمل سياق اللفظ إلا معنى واحدا عنده, "وهو وقت ارتفاع الشمس بعد شروقها"[5], فاقتصر على ذكره. وذلك على غرار ما فعلت عائشة بنت عبد الرحمن في تفسيرها للفظ نفسه[6].

أما إذا لم تكن هناك ضرورة من التوسع في الدلالات اللغوية فإنه كما ذكرنا يعرض لمعنى اللفظ على الأغلب مستعينا بالتفاسير وهذا الأكثر في تفسيره أومن كتب اللغة مكتفيا بتحديد معناه ذلك نحو تفسيره للفظ (تجلى) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾[الليل: ٢], يقول نقلا عن الكشاف والبحر المحيط: أي انكشف وظهر بزوال ظلمة الليل وطلوع الشمس[7].

---

[1] – الكشاف: مصدر سابق, 820/4.

[2]– تفسير القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية , تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان, دار ومكتبة الهلال – بيروت, ط:1, 1410هـ, ص: 626-627.

[3]–روح المعاني: مصدر سابق:518/15.

[4]– على طريق التفسير البياني: 32/1. (انظر أيضا:64/1, 82/1, 2/ 101-104, 217/2...وغيرها).

[5] – المصدر نفسه: 1/ 110.

[6] – التفسير البياني للقرآن الكريم:مرجع سابق, 1/ 29-31.

[7] – الكشاف: 4/ 761, البحر المحيط: 492/10.

ومن ذلك أيضا: في معنى (العرجون) يقول: هو عود العذق مابين شماريخه إلى منبته من النخلة"[1]. ينقل ذلك عن الكشاف أيضا.

ثانيا: بيان الدلالة الصناعية (الصرفية) للكلمة:

وهي الدلالة المستفادة من صيغة الكلمة, وقد سبق الكلام عن الدلالة الصرفية في هذا الفصل في " أبنية الصفات" فلا حاجة لإعادته.

ثالثا:العدول عن المفردة القرآنية لغيرها أو(الاحتمالات اللفظية):

وذلك لبيان خصوصيتها في الاستعمال القرآني وهذا الأسلوب اتبعه المفسر ليبين أن كل مفردة من مفردات القرآن لها دلالتها الخاصة التي يقتضيها السياق والمقام الذي قيلت فيه, وجاء هذا المنهج على قاعدة (قال كذا ولم يقل كذا), وهي طريقة عرض يبرهن بها عن نفي الترادف في القرآن الكريم, وأن هذه الكلمة لا يمكن أن يقوم مقامها سواها, وهناك شكل آخر لهذا العدول وهو الإتيان بصيغة أخرى غير الصيغة القرآنية ليبرهن على أن هذه الأخيرة هي الأنسب, وهذا من أسس منهجه في تفسير المفردة القرآنية والمواضع كثير والأمثلة مستفيضة ومنها:

– أثناء تفسير قوله تعالى:﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[الفلق: ٥], يقول: وقال ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ ﴾ولم يقل (من شر حسود), لأن كلمة حاسد أعم لأنه يشمل الحسود والحاسد..فإن الحسود إذا حسد كان حاسدا في حينه[2]. يبين بذلك أن الصيغة التي جاءت في القرآن الكريم أشمل.

– ومن ذلك أيضا في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[الإخلاص: ٢], وقد تقول: ولم لم يقل: الله المصمود أو المتجه إليه ونحو ذلك؟.

والجواب: أن (الصمد) له أكثر من معنى من معاني الكمال وهو الصمد بكل هذه المعاني فلو قال(المصمود) أو (الملتجأ إليه) إليه ونحو ذلك لم يؤد هذه المعاني, فالمقصود أو الملجأ هو معنى من معاني الصمد[3].

[1] – الكشاف: مصدر سابق, 17/4.

[2] – على طريق التفسير البياني: 1/ 38.

[3] –على طريق التفسير البياني: 1/ 65.

ومن ذلك العدول عن صيغة الفعل الماضي للمضارع, في قوله تعالى:﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ [الليل: ١٤], ليبين أن هذه الصيغة يقتضيها السياق, فيقول: وقال: (فأنذرتكم) بالماضي ولم يقل (فأنذركم), ذلك لأنه أنذرهم بأمر واحد أخبرهم به وهي النار[1].

-ومن العدول عن اللفظة لمرادفتها أو لما يبدو أنها مرادفة لها في تفسيره لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس: ٥], يقول: وقال (في صدور الناس) ولم يقل (في قلوب الناس), ذلك أن الصدور هي ساحة القلب ومنها تدخل الواردات إليه فهي كالدهاليز له ...فلم يقل (يوسوس في قلوب الناس) فتكون الوسوسة في القلب فقط ويكون الصدر نظيفا خاليا منها فيطرد ما في الصدر من نور وواردات رحمانية ....الخ"[2]

-ويرى أن القرآن الكريم أتي بكلمة (خامدون) في قوله تعالى:﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾[يس: ٢٩], بدل هامدون لأن ذلك أنسب من عدة نواحي, ومما ذكره:" أن في ذلك سرعة سكونهم وانقطاع حركتهم, وهو مناسب لقوله ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةً وَٰحِدَةً ﴾, وفيه إشارة إلى البعث, كما فيه صورة فنية أخرى, وهي صورة الجمر الذي يغطيه الرماد وهي شبيهة بحالة الجثة, ومن معانيه الموت أيضا".[3]

- وأختم بتفسيره لقوله تعالى:﴿ وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ﴾[لقمان: ١٠], حيث يقول في اختيار القرآن للفظ (الرواسي) على (الجبال): واختار لفظ (الرواسي) دون الجبال مثلا لأن المقصود بالرواسي الثوابت وليس في لفظ الجبال ما يدل على ذلك[4].

والهدف من ذلك الوقوف على بلاغة المفردة القرآنية وأن اللفظ القرآني بل الحرف في القرآن لا يؤدي معناه في موضعه إلا هو. حيث يتضمن معنى في نفسه يناسب السياق الذي جاء فيه, تقول عائشة بنت الشاطئ "والقرآن يستعمل اللفظ بدلالة معينة,لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ"[5].

---

[1] - المصدر السابق: 1/ 143.

[2] - المصدر نفسه: 1/ 53.

[3] - المصدر نفسه (بتصرف): 2/ 103-104.

[4] - المصدر نفسه: 2/ 299.

[5] - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: مرجع سابق, ص: 215.

رابعا: تعليل اختيار القرآن للفظ: إنّ اهتمام السامرائي بالمفردة القرآنية لا يتوقف في حدود تحديد دلالتها اللفظية والصناعية, وتبيين خصوصية اللفظ القرآني عن غيره من الألفاظ, وإنّما نجده يُولي عناية كبيرة بتعليل سبب اختيار القرآن الكريم للكلمة, وإن كان كل لفظ في موضعه اقتضاه السياق الذي جاء فيه, إلا أن هناك تعليلات أخرى قد تكون تابعة لهذا التعليل العام, منها مناسبة اللفظ لما قبله وما بعده, ومنها شمول اللفظ على عدة معاني, ومنها مناسبة البناء الصوتي للمعنى المراد ومن ثمّ مناسبته للسياق, ومنها خصوصية المعنى الدال عليه اللفظ.....

-فمما ناسب السياق على سبيل المثال اختيار لفظ (الرب) في سورة (الفلق) حيث يقول:" واختيار لفظ (رب) وإضافته إلى الفلق أنسب شيء ههنا, فالرب معناه المالك والمربي والسيد والقيم والمعلم والمرشد...فاختيار لفظ (الرب) مناسب من جهتين:

من جهة المستعاذ منه فإنه مالكه وخالقه وربه المسيطر عليه, ومن جهة المستعيذ به فإنه مربيه والقائم على حفظه ورعايته, ولذ كثر لفظ (الرب) مع الاستعاذة لما فيه من معنى التربية والحفظ والقيام بالأمر"[1].

-ومثال تعليله بالتناسب بين اللفظ والمعنى نجده في اختيار القرآن للفظ (كفوا) فيقول في ذلك: أنه قال في القراءة المتواترة (كفوا) وهو إبدال عن (كفء) وذلك أن هذه الصورة التعبيرية لا نظير لها في العربية كما هو معلوم إذ لا يكون في الأسماء المعربة في العربية اسم في آخره واو لازمة قبلها ضمة.

وإذا حصل ذلك قلبت الواو ياء قبلها كسرة كالتسامي والتداعي, ولكن جاز هذا في الأمور العارضة لإبدال كما في هذا فجاءت على خلاف الأسماء المعربة في العربية ومما لا نظير له في الأسماء المعربة, فجاء بكلمة لا نظير لها في العربية لمن ليس له نظير فكان تناسب بين المفردة والمعنى, ولو جاء بأي كلمة أخرى لم تؤد هذا الأمر.[2]

-وقد يكون اختيار القرآن للفظ لشموله عدة معان, كلفظ (الكوثر) ولفظ (الفلق) وقد تكلمنا عنهما سابقا.

خامسا: تتبع مواطن اللفظ في القرآن الكريم:وهذا ليس بالكثير في تفسيره, وتكاد تكون المواطن التي تتبع فيها اللفظ معدودة, وغالبا ما يفعل ذلك لغرض.

[1]- على طريق التفسير البياني: 32/1.

[2]- المصدر نفسه: 1/ 73.

–ومن هذه المواضع التماسه للفرق بين لفظ (آتيناك) (وأعطيناك), فيتتبع ورودهما في القرآن الكريم لتأكيد اختصاص كل لفظ بمعنى معين, فيقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾.عاقدا مقارنة بين لفظ الإيتاء و لفظ الإعطاء متتبعا ورود كل لفظ في القرآن الكريم:

إن (الإيتاء) أوسع استعمالا من (الإعطاء) فهو يستعمل في الأشياء المادية والمعنوية ويستعمل غالبا في الأشياء العظيمة ولما لا يحسن فيه استعمال الإعطاء, قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ ﴾[الأنبياء: ٥١], وقال:﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾[طه: ٩٩], وقال:﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾[الأحزاب: ٦٨], وقال:﴿ فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِّعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾[الأعراف: ٣٨]...

ونحو ذلك قوله تعالى:﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ ﴾ وقوله ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾[الكهف: ٩٦], فإنه لا يحسن أن يقال (أعطوني زبر الحديد) فإن الإعطاء يفيد التمليك دون (آتوني)..إلى غير ذلك من المواضع التي تتبعها المفسر لإعطاء لفظ الإيتاء معناه الخاص الذي أريد له في الاستعمال القرآني, وهو معنى أوسع من معنى الإعطاء الذي يستعمل غالبا لما يفيد التمليك.

فإنك إن أعطيت أحدا شيئا فقد ملكته إياه دون الإيتاء فإنه لا يكون تمليكا, والإعطاء يكون للأمور المادية غالبا وذلك كقوله تعالى:﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾[الليل: ٥ – ٦] وقال:﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ ﴾[التوبة: ٢٩], وقال:﴿ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾[التوبة: ٥٨], وقال:﴿ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴾[النجم: ٣٤].

فاتضح أن الإيتاء يكون بمعنى الإعطاء وقد يكون لما يحسن فيه الإعطاء[1].

–كما تتبع مواطن اللفظ للوقوف على سبب اختيار التعبير الذي وردت به في القرآن الكريم, فيقول مثلا في إيراد لفظ (أعوذ) دون غيرها من الصيغ: ولم قال ههنا (أعوذ) ولم لم يقل (إني أعوذ) كما قال في مواطن أخرى؟ فقد قال في سورة غافر على لسان سيدنا موسى:﴿ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾[غافر: ٢٧], وقال في سورة الدخان على لسان سيدنا موسى أيضا:﴿ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ﴾[الدخان: ٢٠], وقال

[1]– على طريق التفسير البياني: 1/ 78-79 .

على لسان سيدنا نوح:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾[هود: ٤٧], وقال على لسان مريم:﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾[مريم: ١٨].. [1]إلى آخر ما ذكر.

ومن ذلك تتبعه للفظ (البأس) الوارد في قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ ﴾ [الحديد: ٢٥], للوقوف على دلالته في القرآن الكريم حيث يرى أنه يكون في الحرب حيث الردع والعذاب والمشقة , (البأس) معناه الشدة في الحرب والبأس العذاب[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ ﴾[الإسراء: ٥], أي أشداء في الحرب, وقال:﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ ﴾[الفتح: ١٦], وقال:﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾[النساء: ٨٤].. [3].

إلى آخر ما ذكر من المواضع ثم قال: فأنت ترى أن البأس إنما يكون في الحرب أو نحوها[4].

وقد يتتبع مواطن اللفظ في القرآن الكريم ليبين أن هذا اللفظ يرد في سياق معين أو يكثر وروده في سياق معين, من ذلك مثلا لفظ (الرحمن) والذي كثيرا ما يذكر في مشاهد الآخرة[5].

المطلب الثاني: الاهتمام بالجوانب الفنية للمفردة القرآنية: عرضنا سابقا لجهود فاضل السامرائي في المواضيع المتعلقة بالمفردة القرآنية حسب ما جاء في مصنفاته من تقديم وتأخير, وذكر وحذف, وإبدال ...إلى غير ذلك من المواضيع, ولاحظنا أن المؤلف تكلم عنها بجانبيها التنظيري والتطبيقي ونود هنا أن نسلط الضوء على مسلكه في عرضها في تفسيره ونصيبها منه.

بعد الاستقراء والوقوف على ما أمكننا الوقوف عليه من هذه المواضيع وهي كثيرة,لاحظنا اهتمامه البالغ بالصورة التي جاءت عليها الكلمة ضمن التعبير التي ذكرت فيه, أو بهيئة الكلمة في حد ذاتها من تعريف وتنكير وإفراد وجمع وتثنية..وانصب اهتمامه غالبا في كل موضع على إبراز الأغراض

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 1/ 26-27.

[2] - لسان العرب: مصدر سابق,3/ 199.

[3]- المصدر السابق: 1/ 293-294.

[4] - المصدر نفسه: 1/ 294.

[5]- المصدر نفسه: 2/189-190.

الفنية, وإتباع أسلوب التعليل للتعبير القرآني فمن ذلك على سبيل المثال في:

أ-التنكير والتعريف: فنجده مثلا يقف عند تنكير اللفظ وتعريفه, وما يفيده هذا أو ذاك فيقول في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾[قريش:4]:" ونكر الجوع والخوف لإطلاقهما فيشمل كل جوع وخوف, ولو عرفهما لاحتمل أن يكون ذلك للعهد فيشمل إطعاما من جوع معين وإيمانا من خوف معين, كأن يكون الخوف من أصحاب الفيل مثلا, فنكر ذلك لإطلاق الجوع والخوف ويعممها, وقيل إن التنكير فيهما للشدة والتعظيم أي أطعمهم من جوع أي جوع ومن خوف أي خوف[1].

وقال في تعريف لفظ (الفوز) في قوله تعالى:﴿ ۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[الصف: ١٢]: وقال (ذلك الفوز) ولم يقل (ذلك فوز) للدلالة على قصر الفوز عليه وأن كل ما عداه ليس بفوز...[2].

وجاء في تعريف الوصفين في قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾[هود: ٨٧], قوله: "وتعريف الوصفين للدلالة على أنه معروف بهاتين الخلتين أي إنك المعروف بهاتين الخصلتين, ذكروا ذلك تهكما أو حقيقة[3].

ب- التقديم والتأخير: ويبين سبب تقديم لفظ (مسكين) عن لفظ (اليتيم) في قوله تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾[الإنسان: ٨], فيقول في ذلك:" قدم المسكين على اليتيم لأن المسكين محتاج على الدوام وإطعامه قد يكون على الوجوب وقد يكون على التطوع فهو من الأصناف المذكورين في مصاريف الزكاة.

أما اليتيم فقد لا يكون محتاجا وقد يكون غنيا بخلاف المسكين ولذا لم يدخل فيمن تصرف إليهم الزكاة.أما الأسير فإنه قد يكون كافرا. فكان التقديم بحسب الرتبة. فقدم المسكين على اليتيم واليتيم على الأسير[4]. ويوضح لنا فيما يكون التقديم والتأخير من أغراض في قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ ﴾[يس: ١٢], فيقول:" إن التقديم والتأخير لا يكون

---

[1]- على طريق التفسير البياني: 105/1 .

[2]- المصدر نفسه: 1/ 230.

[3]- المصدر نفسه: 3/ 300.

[4]- المصدر السابق: 168/1.

دائما مبنيا على السبق في الزمان أو على الأشرف وإنما هو المبني على العناية والاهتمام وهذه تختلف بحسب السياق

والمقام فقد يقدم المتأخر أحيانا أو بالعكس ولذا نجد في القرآن تقديم الركوع على السجود مرة وتقديم السجود على الركوع مرة أخرى ...وهنا قدم الإحياء على الكتابة لأنه أهم من عدة وجوه..[1].

3- الحذف والذكر: ومن ذلك أيضا في الوقوف على الغرض من حذف المفعول من الأفعال الثلاثة (فآوى وهدى وأغنى) وكان الأصل أن يقال (فآواك وهداك وأغناك) يقول بعد ذكر أقوال المفسرين: " والذين نراه أنه حذف لكل ذلك لظهور المراد ورعاية الفاصلة وسعة الكرم ذلك أنه لو قال (ألم يجدك يتيما فآواك) لكان الإيواء منحصرا به صلى الله عليه وسلم فحذف المفعول للإطلاق ليدل على أنه آواه وآوى به خلقا كثيرا من اليتامى والمحتاجين..وآوى له أي لأجله من آوى فإن كثيرا من الموسرين يفعلون ذلك حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

- ومن الحذف أيضا الحذف من بنية الفعل, فيقول في قوله تعالى:﴿ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[هود: ٣], في سبب حذف التاء من (تولّوا) أي تتولوا حذفت إحدى التاءين تخفيفا, ومن الملاحظ في التعبير القرآني أنه حيث ذكر التاءين في هذا الفعل كان الموقف أشد, وإذا كان أخف خفف بحذف إحدى التاءين[3].

-ومن ذلك أيضا في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[هود: ٢٤], حيث جاء الفعل بحذف (تتذكر) بحذف التاء فيقول في ذلك: وقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾بحذف إحدى التاءين من الفعل ولم يقل (تتذكرون) كما في آيات أخرى ذلك لأن هذا الأمر من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى قدر طويل من التذكر والتأمل, فلما كان الأمر لا يحتاج إلى وقت طويل من التأمل والتفكير للإجابة اقتطع من الفعل[4].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا الاهتمام البالغ للمؤلف بالكلمة القرآنية باعتبارها الوحدة البنائية الأولية للجملة, ويمكننا أن نستنتج أيضا بأن الدكتور السامرائي من خلال ما قدمه من جهود في

---

[1]- المصدر نفسه: 2/ 44.

[2]- المصدر نفسه: 118/1 .

[3]- المصدر السابق: 13/3.

[4]- على طريق التفسير البياني: 78/3.

جهود لخدمة اللفظ القرآني أن إعجاز القرآن الكريم متمثل في لفظه كما هو معجز بنظمه.

المبحث الثالث: أهم المآخذ على تفسيره:

هنا يقف بنا جهدنا في عرض جهود الدكتور فاضل السامرائي البيانية ولم يبق إلاّ أن نشير إلى بعض ما انتقد عليه –حفظه الله تعالى– مما وقفنا عليه, وإن كان من الضروري والإنصاف أن ننوه أولاً على ما قام به من خدمة لكتاب الله عز وجل عموما ومن الناحية البيانية على وجه الخصوص, إلاّ أنّ ما قدمناه فيما سبق كاف لإبراز ذلك, فمؤلفاته التي تتميز بسلاسة تعبيرها ووضوح فكرتها وحسن تبويبها, وتنوع موضوعاتها والتي تنصب جميعها في خدمة البلاغة القرآنية وإظهار إعجاز كتاب رب العالمين, كل ذلك يتحدث عن إيجابية هذه الدراسات التي جاء تفسيره متمما لها, ومع ذلك لا يخلو مجهود بشري من نقص أو وهم أو غفلة أو خطئٍ في التقدير أو التنظير, وإن كنت لم أقف على قراءة نقدية شاملة لهذا التفسير " على طريق التفسير البياني" وذلك حسب جهدي في تحصيل ذلك , إلاّ أنني وجدت من انتقد بعض قواعده التي اعتمد عليها في تعليلاته, والتي طبقها في جميع كتبه. وسأذكر القواعد ثمّ أتبعها بالنقد:

–القواعد المقررة:

القاعدة الأولى: وخاصة ب"الاقتطاع من الفعل" وقد عرضت سابقا في جهود السامرائي في كتابه" بلاغة الكلمة في القرآن الكريم"ما قرره من قواعد فيما يخص ذلك, وأوّل هذه القواعد هي:

أن القرآن الكريم إنّما يحذف من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث, أو في مقام الإيجاز والاختصار بخلاف مقام الإطالة والتفصيل[1], وقد سار المؤلف على هذه القاعدة في تفسيره, ومن أمثلة ذلك ما ذكرناه في الحذف من بنية الفعل, ونمثل لذلك أيضا بما قاله في تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[هود: ٣٠], حيث يقول: وقال (أفلا تذّكرون) ولم يقل (أفلا تتذكرون) أي إن هذا الأمر لوضوحه وظهوره لا يحتاج إلى طول تذكر, وإنما هو أمر ظاهر. فإنهم عباده وهو ملاقوه وهو أعلم بحالهم[2].

[1]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: مرجع سابق, ص:9.

[2]– على طريق التفسير البياني: 3/ 119

ومن ذلك أيضا في قوله تعالى:﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾[هود: ٤٤], حيث قال: وقال (ابلعي) ولم يقل (ابتلعي) لأن ابتلع على وزن (افتعل) الذي يدل على التكلف والاجتهاد وهو يحتاج إلى وقت أطول, وإنما قال (ابلعي) الذي هو أقصر بناءا وزمانا فتبلعه في أقصر وقت[1].

وقد أكثر الدكتور من التمثيل لهذه القاعدة من القرآن الكريم في كتابه المذكور آنفا.

القاعدة الثانية: إذا اجتمعت صيغتان من هذا البناء في اللغة (يتفعّل) و (يفّعّل) استعمل (يتفعّل) لما هو أطول زمنا من (يفّعّل) وذلك لأنّ الفك أطول زمنا في النطق, فهو ملائم للطول في الحديث.. وما كان على وزن (يفّعّل) يأتي به القرآن فيما يحتاج إلى المبالغة في الحديث وذلك أن التضعيف كثيرا ما يؤتى به للمبالغة[2]. ثمّ يُجمل القول في ذلك وأنّ القرآن يفرق بين الصيغتين فيستعمل كل صيغة في مقام فيقول: وهكذا يفرّق القرآن الكريم بين الصيغتين: وعلى هذا فإنه يستعمل بناء (يتفعّل) لما هو أطول زمنا, وقد يستعمله في مقام الإطالة والتفصيل, ويستعمل (يفّعّل) للمبالغة في الحدث والإكثار منه[3]. ومثل لهذه القاعدة من تفسيره بقوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[يس: ١٨], فيقول مقارنا بين هذا الموضع وقوله تعالى في سورة النمل:﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ ﴿٤٧﴾ ﴾:" ذكرنا في كتابنا (بلاغة الكلمة في التعبير القرآني) أن (اطّيّر) ونحوه كادّبّر واطّهّر أبلغ من (تطير) ونحوه وذلك لمكان التضعيف في الفاء زيادة على تضعيف العين فدلّ على أن التطيّر في سورة النمل أشد منه مما في هذه الآية, يدل على ذلك أنهم في هذه الآية هددهم بالرجم والتعذيب إن لم ينتهوا وأما في سورة النمل فقد تعاهدوا وتقاسموا بالله على قتله مع أهله﴿ قَالُواْ تَقَٰسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ﴿٤٩﴾ ﴾فدل على أن تطيرهم في سورة النمل أقوى وأشد[4].

– ومن أمثلة ذلك أيضا من السورة نفسها في تفسيره لقوله تعالى:﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴾[يس:٤٩] , حيث يقول في تفسير لفظ (يخصّمون): ومعنى (يخصّمون) (يختصمون)غير أنّه أبدل من التاء صادا وضعّفها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين فصار يخصّمون.

---

[1]– المصدر نفسه: 157/3

[2]– بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: مرجع سابق, ص:38

[3]– المصدر نفسه: ص:38-39

[4]– على طريق التفسير البياني: 2/ 61

وسبب هذا الإبدال والتضعيف – والله أعلم– إنّ التضعيف يدل على المبالغة فأبدل وضعف للدلالة على المبالغة في الاختصام[1].

نقد القواعد: جاء في كتاب " العموم الصرفي في القرآن رضا العقيدي نقدا مفصلا للقاعدتين المذكورتين آنفا حيث ذهب إلى بطلانهما قائلا:" والقاعدتان كلتاهما باطلة لا شك في بطلانهما, لأنهما تقومان على أساس القول بالتباين الصرفي بين صيغة عامّة وصيغة خاصة"[2].

وينصب اعتراضه على ما تؤديه هذه القواعد من قطع الصلة بين الصيغتين التامة والناقصة, مما يفضي بالقول بالتباين الصرفي, وهذا مخالف لمدلول الصيغة التامة, حيث يقرر تحت مبحث " قواعد وضوابط" في حديثه عن "الصيغة التامة في القرآن الكريم" أنّه إذا كانت الصيغتان مستعملتين فإنّ الأولى أعمّ من الثانية..فالصيغة التامة تستعمل استعمالا مطلقا من أي قيد, والصيغة الناقصة تستعمل استعمالاً خاصاً مقيداً بقيدٍ من قيود التقليل المعنوي[3].والصورة التقليلية المقصودة كالقلة والقصر, والخفة والسهولة و...تحددها القرائن السياقية والمقامية. ورغم عموم الصيغة التامة وخصوص الصيغة الناقصة إلاّ أنّهما تشتركان في المعنى الصرفي, كما ذكر ذلك رضا العقيدي فيقول: وتشترك الصيغة التامة والناقصة في المعنى الصرفي الذي تدل عليه الزيادة والفرق بين الصيغتين ليس في نوع المعنى الصرفي, بل في كيفيته أو كميته[4].

ويرى أن التضعيف في (يفّعّل) تضعيف صوتي, لا تضعيف صرفي[5]. وهذا الأخير هو الدال على معنى المبالغة كما في (جرح وجرّح), لا الأوّل الناشئ من حذف فتحة تاء (يتفَعّل), فالتضعيف هنا لا علاقة له بمعنى المبالغة ولا بأي معنى صرفي[6]. كما أنه وحسب استقرائه فإن التفريق بين الصيغتين قول مستحدث من الدكتور فاضل السامرائي حيث لم يقل به أحد من القدامى أو المحدثين– وإن كان لا يدعي الاستقراء التام– إلا أنّه وجد معظم العلماء أهملوا التفريق بين الصيغتين, فمنهم من قال بالترادف بين بعض أفعال هاتين الصيغتين صراحة ومنهم من أرجع الحذف إلى

[1] – على طريق التفسير البياني: 2/ 175

[2]– العموم الصرفي في القرآن: مرجع سابق, ص: 128

[3]– انظر: المرجع نفسه, ص: 124

[4]– المرجع نفسه: ص: 125

[5]– المرجع نفسه: ص:125

[6]– المرجع نفسه: ص: 129

أغراض صوتية بحتة, كالتخفيف وهذا ما اختاره جمهور المفسرين لتقارب مخرج التاء مع مخرج الطاء[1].
ولم يقف إلا على عبارات يسيرة ظاهرها القول بالتباين الصرفي بين الفعلين " استطاع واسطاع" عند بعض القدامى[2].

من ذلك ما جاء في ملاك التأويل لأبي جعفر الزبير في سبب حذف التاء قوله: أن أستطاع واستاع واسطاع، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفاً، فجيء أولاً بالفعل مخففاً عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السدّ والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تاماً مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب. وأيضاً فإن الثاني في محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على السد وتمكنهم منه فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى، فلنكتف بهذا، والله سبحانه أعلم بما أراد[3].ثمّ يصل إلى أن الصواب هو الموقف الوسط فبين الصيغة التامة والصيغة الناقصة تشابه وتخالف[4]...وبعد تحديد القاعدة الصرفية وعرض ما قرره المفسر من قواعد عليها والقول ببطلان مذهبه, يتعرض للأمثلة التي أوردها في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" بالنقد. فمما قاله فيما عرضناه من أمثلة في هذا المبحث ردا عن الدكتور السامرائي:

1- في موضع (اطّير) و(تطّير) حيث يقول :وهذه الموازنة غير دقيقة لأنّ الرجم من اشد صور القتل قسوة , فالقتل في آية (يس) أشد من القتل في آية (النمل), فهم لم يقسموا على قتله رجما, ولم يقصدوا إلى ذلك و إنّما قصدوا وأهله ليلا خفية, ثم إن القتل في آية يس مقرون بالتعذيب بخلاف القتل في آية النمل فليس معه تعذيب.

ويكفي أن ترجع إلى قوله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف: ١٣١],

[1]- انظر: الكشاف:(51/4), التفسير الكبير:(252/10), ابن جزي:(966/1), فتح القدير:(427/4), روح المعاني:(411/11).

[2]- المرجع السابق: ص:126

[3]- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي, دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, 2/ 324.

[4]- المرجع السابق: ص: 129

لنجد أن الصيغة الناقصة يطّيروا استعملت في سياق خالي من القتل[1].

2- ومنه أيضا قوله في (يخصّمون) و(يختصمون) فيقول فيما قاله السامرائي:اشتمل هذا النص على أكثر من وهم اذكر هنا أظهرها فقوله والتضعيف يفيد القوة والتكثير والمبالغة ... هذا وهم كبير فالتضعيف في يخصّمون ليس تضعيفا صرفيا بل هو تضعيفا صوتي ناشئ من إدغام التاء في الصاد. وقوله:" ولا يدل الأصل يختصمون على هذه المبالغة والقوة ", والصواب أن صيغة الفعل المزيد (اختصم) تدل على معنى صرفي مركب من معنيين, هما معنى (التشارك) ومعنى (المبالغة) فالتشارك في (اختصم) مقيد بمعنى المبالغة, باختلاف التشارك في (تخاصم) فهو مطلق من هذا القيد, وتشترك الصيغتان التامة (يختصمون) والناقصة(يخصّمون) في هذا المعنى المركب (التشارك و المبالغة) والفرق بينهما أن الصيغة التامة هي الأصل, وان الأصل اعم من الفرع, وان الفرع يستعمل للدلالة على صورة من صور التقليل المعنوي تنصيصا[2].

وعلى هذا النحو الذي ذكرنا قام رضا العقيدي بنقض هاتين القاعدتين اللتين قررهما فاضل السامرائي في الحذف من بنية الفعل والإبدال. وبتتبع الكثير من الأمثلة المتعلقة بالحذف من الفعل التي أوردها المفسر في تفسيره وقول المفسرين فيها, ظهر أن البعض يكتفي بالإشارة إلى حذف التاء والبعض يذكّر أنّها حذفت تخفيفا, كما أنني لم أقف على من أشار من المفسرين إلى كون التضعيف في (يفّعّل) تضعيفا صرفيا مفرقا بين الصيغتين ومتخذا ذلك قاعدة باستثناء ما ذُكر سابقا. والله أعلم.

[1]- العموم الصرفي في القرآن : مرجع سابق, ص: 151

[2]- المرجع نفسه: ص: 151-153.

خاتمـــة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي ختام هذه الدراسة التي لم يسعني الجهد ولا الوقت للوقوف فيها على دقائق ما قدمه فاضل السامرائي للكشف عن أغوار التعبير القرآني, وسبر آرائه في جميع جزئيات المسائل البيانية, والتي تعتبر تأصيلاً نظرياً يخدم هذا الاتجاه, إلاّ أنّني حاولت جاهدةً أن أكشف عن جهود أحد أهم شخصيات هذا اللون التفسيري. وأن أقف على أصول منهجه وطريقته التي أثارت اهتمام الكثير من العامّة بأساليب القرآن وأسراره, بعد أن كان هذا العلم حكراً على أهله من ذوي الاختصاص.

كما أنّه ومما تصبو إليه هذه الدراسة تقديم لمحة عن المدرسة الأدبية, مع التركيز على أصولها الحديثة ومحاولة رصد ما أسهمت به من دراسات وأفكار حول القرآن الكريم.

وأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج:

1- من خلال الاطلاع على المحاولات البيانية الأولى يمكن القول أنّها ورغم تبنيها لأصول المنهج, إلا أنّها نقضت في تطبيقاتها ما تبنته نظراً للقيود الصارمة التي فرضت عليها, ممّا أدى بعد ذلك إلى تفرع الدراسات الأدبية سداً للثغرات حينا, وهروبا من قيود " أمين الخولي" حينا آخر.

2- إنّ أهم ما أضافه السامرائي محاولته في أن يحدث في توجهه ومسلكه تواصلا بين المدونات التفسيرية التي اشتغلت عن القرآن الكريم وإلغاء المذاهب التي اندرجت تحتها فأحدث ألفة بين القدماء من خلال تجريد تفسيره من الخلافات والنزاعات التي ملأت مصادرهم.

3- إن الرؤية البيانية للتفسير عند السامرائي تميزت عن سابقيها بعدة عناصر أضاف بها للحقل البياني التفسيري رونقا جديدا, ولعل أهمّها من ناحية العرض أسلوب الحوار مع القارئ, واستحضار ما يمكن أن يجول في ذهنه من تساؤلات وإشكالات حول النص القرآني, مما يوحي للقارئ لتفسيره بتبادل الأفكار مع المفسر- وإن كان هذا الأسلوب قد استوحاه ممن سبقه-

4- وتتمثل طريقته في عملية التفكيك للنص القرآني ثمّ النظر إلى النص من حيث البناء: تقديما وتأخيرا, ذكرا وحذفا, وصلا وفصلا...ثمّ تحليل جزئيات النص: حرفا وكلمة, وجملة, - مع التنويه أنّ

ذلك يكون حسب النص المدروس ليصل في آخر المطاف إلى أنّ التعبير القرآني تعبير مقصود, معجز بجميع تلك الجزئيات ومعجز بنظمه. مثبتاً تناسق القرآن وانسجامه، مظهراً كثيراً من أسراره وخصائصه.

5- أمّا من الناحية التفسيرية وبعد النظر في ما عرض له من مسائل, يمكننا أن نقول: إذا كان السامرائي بالنسبة لأهل اللغة مهذب النحو العربي, فإنّه يعتبر في الحقل التفسيري رائدا في تعليل التعبير القرآني, حيث لا يكاد يعرض لأساليب القرآن وخصائصه التعبيرية وأسباب اختياراته إلا وقد قدّم بين يدي ذلك تعليلا لها.

6- اهتمامه بالسياق حيث يعتبر الوجه التعليلي الأبرز لما تستقر عليه مدلولات الألفاظ, ومعاني الآيات, وعلى ما يتناسب وخواتيم رؤوس الآي, وعلى ما يتقدم ويتأخر, وما يذكر ويحذف من النص القرآني, كل ذلك يحتكم إلى السياق لذا يوليه السامرائي الأولوية في تعليلاته.

7- تأثره في تفسيره بعِلمين: علم اللغة التي بنى آراءه على قواعدها, وعلم المتشابه اللفظي, حيث كان يكثر من إيراد المتشابهات والمقابلات, خاصة في القصص القرآني مما يفي له بتحقق أغراضه التفسيرية للقصة القرآنية من نفي للتكرار, وأن كل لفظ وكل تعبير وضع وضعا فنيا مقصودا...

8- ومن خلال ما قدمه الدكتور السامرائي في دراسة القصة في الجزء الثالث, يتبيّن أنّ للقصة القرآنية مجالات دراسة متعددة, تجعلنا نؤكد أنّ الهدف من القصص القرآني ليس مجرد عرض تاريخي لأمم خلت لترسيخ العقيدة في القلوب لأمم حاضرة أو آتية, إنّما تعتبر من أهم المواضيع القرآنية للوقوف على إعجاز القرآن, لما تضمنته من مباحث بلاغية وفنية واسعة.

9- ولعل آخر ما نسجله من استنتاجات حول ما اتّسم به منهج السامرائي في تفسيره " على طريق التفسير البياني", هو اعتداده بآرائه وعرضها دون التعرض للخلافات أو الآراء المتضاربة, وذلك لاحتكامه لقواعد اللغة لا لأقوال من سبقوه وإن كان لآرائهم في تفسيره نصيبٌ وافرٌ, إلاّ أنّه ينتقي منها ما لا يخالف ما اعتمد عليه من قواعد.

10- ولأنه جهد بشري، فلا يخلو من نقص ولا يسلم من نقد, و ما تعرضت إليه دراساته من نقد في بعض قواعدها يحتاج إلى زيادة بحث وتثبت, وهذا ما لم يسعفني تحقيقه.

أما عن توصياتنا:

فأوصي طلبة الدراسات القرآنية بتعزيز الدراسات البيانية في قسم التفسير خاصة, وذلك من خلال تناول الجهود الحديثة في المدرسة البيانية, ومنها جهود الدكتور السامرائي والتي أعترف أنها تحتاج إلى دراسة أكثر عمقا مما قدمته في دراستي هذه, والتي حاولت فيها ولضيق الوقت أن أضع هذه اللبنات بين يدي طلبة العلم, وألفت الأنظار إليها, فهي لا تزال مجال بحث خصب وواسع.

ومما أوصي به أصحاب الهمم بشكل خاص ما انقدح في ذهني خلال سيري في هذه البحث, واعتبره مكملا ومؤصلا له " القواعد اللغوية التي اعتمد عليها الدكتور في تفسيره"

أماّ اقتراحي: فأتقدم به إلى إدارة جامعة الأمير عبد القادر عامة وإدارة أصول الدين خاصة والمتمثل في:

- تبني مشروع للتفسير البياني, ينهض به طلبة" ليسانس" و" الماستر", من خلال منهجية متفق عليها بين أساتذة التفسير في الجامعة, خاصة أن الكثير من الاختيارات تحكمها العشوائية, ثمّ تضم هذه البحوث لبعضها بعضا وتنقح من قبل المختصين وتطبع, بل من قبل الجامعة لتكون جامعة الأمير عبد القادر الرائدة في تبنى مشروع تفسيري بياني للقرآن الكريم كله.

- وفي نهاية هذا البحث الذي لا "نزعم فيه الكفاية الكاملة والقدرة الموفورة". اللهَ نسأل حسن مقاصدنا,وتسديد أعمالنا, وأن يستخدمنا في ما يحب ويرضى. وصلى الله وسلم على المصطفى المجتبى وعلى آله وصحبه ومن سار على خطاه.

والحمد لله أولا وآخرا

الفهارس العلمية

- ✓ أولًا: فهرس الآيات القرآنيـــــة.
- ✓ ثانيا: فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ✓ ثالثا: قائمة المصادر والمراجـــع.
- ✓ رابعا: فهرس المـــــوضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحـــــة		
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	05	67
البقـــــرة		
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ... ﴾	23	21
﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾	59	94
﴿ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾	60	103
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ... ﴾	63	103
﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾	116	70
﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ... ﴾	143	92
﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	144	92
﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾	147	92
﴿ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾	149	92
﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾	150	91
﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	150	156
﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾	173	67
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ... ﴾	179	112

﴿ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾	206	98
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن ... ﴾	217	102
﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ ... ﴾	259	120
آل عمـــــــــــران		
﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ... ﴾	27-26	64
﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾	27	64
﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾	41	103
﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ... ﴾	52	70
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ... ﴾	96	97
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	103	91-29
﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ... ﴾	111	102
﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	111	62
﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ ... ﴾	117	61
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ... ﴾	118	30
﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ... ﴾	120	102
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾	34-133	114
﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ	138	11
النســـــــــــاء		
﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ..... ﴾	02	90
﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	03	148
﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ... ﴾	11	98

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ...	22	72
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... ﴾	23	96
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ... ﴾	48	85
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾	48	89
﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ ... ﴾	84	164
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾	116	77
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	136	119
المـــــــــــــائدة		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	02	62
﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	03	67
﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴾	03	91
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ...	17	72
﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ... ﴾	17	72
﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾	31	18
﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾	44	92
﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾	54	102
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا ... ﴾	60–57	74
﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾	60	74
﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ... ﴾	116–18	84
﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ ..... ﴾	118	83
الأنعـــــــــــــام		

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ ... ﴾	46	71
﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ... ﴾	47	71
﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ ... ﴾	57	119
﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ... ﴾	78	66
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾	82	24
﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ ... ﴾	84	133-68
﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ... ﴾	95	63
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ... ﴾	95	64
﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ﴾	99	99
﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ ﴾	141	99
﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ ﴾	151	98
الأعـــــــــــراف		
﴿ فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ ﴾	38	163
﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ... ﴾	45-44	126
﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾	54	151
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ ﴾	57	61
﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ... ﴾	77	143
﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ ... ﴾	131	170
﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ... ﴾	143	104
﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾	160	103
﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ ... ﴾	171	103

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾	172	106
﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ ... ﴾	193	64
الأنفـــــــــــال		
﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ ... ﴾	46	29
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ... ﴾	72	124
التوبـــــــــــة		
﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ ﴾	29	163
﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ ... ﴾	55	80
﴿ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ ... ﴾	58	163
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ ... ﴾	65	119
﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ ... ﴾	85	80
يـــــــــــونس		
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ... ﴾	22	61
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾	76	65
هـــــــــــود		
﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾	03	166
﴿ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾	06	114
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴾	07	134
﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ... ﴾	14	21
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	15	122
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ... ﴾	19-18	126

﴿ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ ... ﴾	24	166
﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾	28	124
﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالٗا... ﴾	29	116
﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ ﴾	29	156–116
﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ ... ﴾	30	167
﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾	44	168–116
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾	47	164
﴿ وَءَاتَىٰنِي مِنۡهُ رَحۡمَةٗ ﴾	63	124
﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ ﴾	70	146
﴿ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ ﴾	76	150
﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾	87	165
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ ... ﴾	100	146
﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ﴾	120	153
يـــــــــــوسف		
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾	02	96
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ ... ﴾	50	157
الرعـــــــــــد		
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾	06	62
﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ ﴾	41	119
إبراهيـــــــــم		
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ... ﴾	34	77

الحجـــــــر		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ... ﴾	10-11	75
النحـــــــــل		
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ... ﴾	18	77
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ... ﴾	44	24
﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ... ﴾	112	97
الإســـــــــــراء		
﴿ بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ ... ﴾	05	164
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ ... ﴾	32	72
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ ... ﴾	88	21
الكهـــــــــف		
﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ ... ﴾	63	100
﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾	78	91
﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾	82	91
﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ ﴾ ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴾	96	163
﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴾	97	89
﴿ قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴾	103	74
مريـــــــــــم		
﴿ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾	02	79
﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾	10	103
﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾	18	164

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ ... ﴾	31	98
طـــــــــــــه		
﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾	06	70
﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ﴾	30-29	77
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا ... ﴾	44-43	78
﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾	45	78
﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	46	78
﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾	47	99
﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ ... ﴾	53	79
﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾	67	78
﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾	70	77
﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾	71	97
﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ ... ﴾	90	78
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ... ﴾	93-92	78
﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾	99	163
الأنبيـــــــــــاء		
﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾	36	96
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾	51	163
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾	55	119

الحـــــــــــج		
﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ... ﴾	72	74
﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ..... ﴾	72	74
المؤمنـــــــــون		
﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ ﴾	67	98
النـــــــــور		
﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ ﴾	55	94
الفرقـــــــــان		
﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ... ﴾	25	55
﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ... ﴾	33	9
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ... ﴾	43	54
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ ... ﴾	44	55
الشعـــــــــراء		
﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾	13	78
﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	16	99
﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ... ﴾	46	77
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ... ﴾	22-221	90-74
﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾	48-47	77
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ..... ﴾	08-105	140
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ... ﴾	95-192	157
النمـــــــــل		

﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ ... ﴾	51	143
القـــــــــصص		
﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾	46	119
العنكبـــــــوت		
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ ... ﴾	08	92
﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ ... ﴾	56	98
الـــــــــروم		
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ... ﴾	46	61
لقمـــــــــان		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ... ﴾	06	120
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ...	9–8	125
﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ ... ﴾	10	161
﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾	12	24
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾	18	156
﴿ نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلٗا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾	24	153
﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ... ﴾	25	150
﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ ... ﴾	28	125
الأحـــــــــزاب		
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ ... ﴾	04	95
﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ ... ﴾	10	93
﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ... ﴾	52	90

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ... ﴾	66	93
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا... ﴾	68	77
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ... ﴾	68	163
سبـــــــــأ		
﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ... ﴾	05	18
فاطـــــــــر		
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟... ﴾	28	106
يـــــــــس		
﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	02	145
﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	04	150
﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾	06	119
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ... ﴾	11	156
﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾	12	152
﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ... ﴾	12	165
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا ﴾	14	119
﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ ... ﴾	18	168
﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ... ﴾	23	125
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾	29	161
﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾	32	150
﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ... ﴾	40	113
﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ ... ﴾	46	116

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ... ﴾	49	168
﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ... ﴾	51	150
﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾	55	152
﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ... ﴾	62	136
﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ... ﴾	69	150
﴿ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ ﴾	72	156
﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ... ﴾	77	121
الصـــــافات		
الزمـــــــر		
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ... ﴾	10	92
﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ... ﴾	51	18
﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	53	92
غـــــــافر		
﴿ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ... ﴾	27	163
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ ... ﴾	61	65
فـــــصّلت		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ... ﴾	30	90
الشـــــــورى		
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ... ﴾	13	91
الـــــــزخرف		
﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ... ﴾	7-6	75

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا ... ﴾	10	79
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ... ﴾	26	66
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ... ﴾	46	99
﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ... ﴾	83	119
الدخـــــــان		
﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾	09	119
﴿ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾	20	163
الأحقـــــاف		
﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	24	61
الفتـــــــــح		
﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ... ﴾	10	100
﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ... ﴾	11	72
﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا ...	11	72
﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ ... ﴾	16	166–101
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم ... ﴾	24	97
الحجـــــرات		
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ... ﴾	15	124
الـــــذاريات		
﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ... ﴾	44	144
الطـــــــور		
﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ... ﴾	34–33	21

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ... ﴾	38	98
النجـــــــم		
﴿ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴾	34	163
القمـــــــر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	17	32
﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾	20	99
الرحمـــــــن		
﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	04	11
﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾	37	55
الواقعـــــــة		
﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ... ﴾	6–3	55
الحديـــــــد		
﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ ... ... ﴾	10	149
﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ﴾	13	149
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	16	113
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ... ﴾	20	119
﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾	21	115
﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾	25	164
﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾	27	149
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾	28	119
المجادلـــــــة		

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم ... ﴾	02	95
الصـــــــف		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ... ﴾	3-2	123
﴿ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ﴾	06	149
﴿ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾	11	123
﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ ... ﴾	12	124
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾	12	165
الطـــــــلاق		
﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ... ﴾	04	96
الحاقـــــــة		
﴿ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴾	06	61
﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ خَاوِيَةٖ ﴾	07	99-18
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ... ﴾	16-13	55
المعـــــــارج		
﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴾	9-8	55
المزمّـــــــل		
﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾	08	65
﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ ... ... ﴾	18	98
القيامـــــــة		
﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾	14	86
﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴾	16	86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾	19	11
الإنســـــــان		
﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾	03	151
﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	03	155
﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	08	165
﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ... . ﴾	16–15	93
﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾	24	118
﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾	28	148
التكويـــــــر		
﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ... ﴾	6–1	55
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾	18–17	35
الانفطـــار		
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ... ﴾	4–1	55
الانشقـــاق		
﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ... ﴾	5–1	55
الفجـــــــر		
﴿ وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	2–1	35
﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	13	143
البلـــــــــد		
﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾	02	87
الشمـــــــس		

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾	04	151
﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾	05	148
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم ... ﴾	14	143
الليـــــــــل		
﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾	01	151
﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾	02	159
﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾	03	148
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	6-5	163
﴿ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾	06	120
﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴾	07	155
﴿ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾	11	148
﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴾	14	161
﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾	17	157
الضحـــــــــى		
﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾	02	34
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾	03	145
﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾	05	134
القـــــــــدر		
﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم ... ﴾	04	90
الزلزلـــــــــة		
﴿ إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴾	2-1	55

قـــــــريش		
﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾	03	148
﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾	04	165
الكوثـــــــر		
﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	01	163-34
الإخـــــلاص		
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	01	155
﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾	02	160
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	04	112
الفلـــــــق		
﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾	03	144
﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	05	160
النّـــــــاس		
﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾	04	122
﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾	05	161

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأعلام المترجم لهم

العـــــــــــــلم	الصفحة
– ابن قتيبة الدينَوَريّ	26
– أمين الخولي	36
– بأبي الأصبع	28
– جمال الدين الأفغاني	29
– سيد قطب	53
– عائشة بنت الشاطئ	42
– عبد القاهر الجرجاني	12
– علي بن عيسى الرماني	12
– محمد دراز	50
– محمد عبده	32
– مصطفى صادر الرافعي	50
– معمر بن المثنى	26
– يحيى بن زياد . الفراء	26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرآن الكريم

1- إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى : 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

2- أحمد أبو زيد: التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي, مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء, 1992.

3- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: 708هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل, دار الكتب العلمية، بيروت.

4- أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: 1176هـ): الفوز الكبير في أصول التفسير, عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي, دار الصحوة القاهرة, ط:2, 1407هـ/ 1986م.

5- أحمد بن عبد العزيز بن مقرن القصير: الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم (عرض ودراسة): دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية- ط:1.

6- أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة, دار الفكر, ت: عبد السلام محمد هارون, ط: 1399هـ/ 1979م.

7- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ): معجم مقاييس اللغة, ت: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, 1399هـ/1979م.

8- أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية, دار المكتبى – دمشق, ط:2, 1419 هـ 1999م.

9- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ): تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة, دار طيبة, ط: 2, 1420هـ/1999م.

10- أمين محمد عطية باشا: الصدق والواقعية في القصة القرآنية.

11- أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (1094هـ): الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية, ت: عدنان درويش – محمد المصري مؤسسة الرسالة, ط:2, 1419هـ/ 1998م.

12- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن, دار التراث- القاهرة- ت: محمد أبو الفضل إبراهيم, (د.ط), (د.ت).

13- بدوي طبانة: البيان العربي: دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية, مكتبة الإنجلو المصرية, ط: 2, 1377هـ/ 1958م.

14- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ): مقدمة في أصول التفسير, دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان, ط: 1490هـ/ 1980م.

15- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, ت: عادل أحمد عبد الوجود- علي محمد معوّض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي, مكتبة العبيكان, ط:1, 1418هـ/1998.

16- جعفر السبحاني: المناهج التفسيرية في علوم القرآن, (د.ط) مؤسسة الإمام الصادق

17- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: الإتقان في علوم القرآن, ت: أحمد بن علي, دار الحديث- القاهرة- ط:1427هـ/ 2006م.

18- الحسن بن رشيق القيرواني (المتوفى: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر والأدب, ت: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط:5, 1401هـ/ 1981م.

19- الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ): المفردات في غريب القرآن, دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت, صفوان عدنان الداودي, ط:1, 1412هـ.

20- حنفي محمد شرف: إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق, الكتاب الرابع, 1390هـ/ 1970م.

21- خالد بن سليمان المزيني: المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية, دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية, ط: 1, 1427هـ/2006م.

22- خالد بن عثمان السبت: مختصر في قواعد التفسير, دار ابن القيم- دار ابن عفان, ط:1, 1426هـ/2005م.

23- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة, المعاني والبيان والبديع, مختصر تلخيص المفتاح, دار إحياء العلوم-بيروت- ط:4, 1998م.

24- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ): الأعلام, دار العلم للملايين, ط:15, مايو 2002

25- دائرة المعارف الإسلامية: أحمد الشنتناوي, إبراهيم زكي خورشيد, عبد الحميد سونس, دار المعرفة, بيروت, لبنان.

26- رجب البيومي: خطوات التفسير البياني.(د.ط) الشركة المصرية للطباعة.

27- رضا هادي حسون العقيدي: العموم الصرفي في القرآن, المركز التقني بغداد, ط:2, 1434هـ/2013م.

28- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, ت: محمد خلف الله أحمد- محمد زغلول سلام, دار المعارف –مصر- ط:3. (د.ت)

29- سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني, دار وضاح, الأردن, عمان.

30- سيد قطب (ت1385هـ): في ظلال القرآن, دار الشروق - بيروت- القاهرة, ط:17 ,1412هـ.

31- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن, دار الشروق, القاهرة, ط:17, 1425هـ/2006م.

32- شكري محمد عياد: يوم الدين والحساب, دار الوحدة, ط: 1, 1980م.

33- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى : 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.تح: علي عبد الباري عطية, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1, 1415هـ.

34- صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني , دار عمار, ط:1, 1421هـ/2000م

35- عائشة بنت عبد الرحمن: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق(دراسة قرآنية لغوية بيانية), دار المعارف, القاهرة, ط:3.(د.ت)

36- عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: 1419هـ): التفسير البياني للقرآن الكريم, دار المعارف –القاهرة- ط:7.

37- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, تح: عبد السلام عبد الشافي محمد, دار الكتب العلمية – بيروت, ط:1, 1422هـ.

38- عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي, وكالة المطبوعات-الكويت- ط:3, 1977.

39- عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ): البلاغة العربية, دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت, ط:1, 1416 هـ - 1996 م.

40- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ): القواعد الحسان لتفسير القرآن, مكتبة الرشد، الرياض, ط:1, 1420 هـ - 1999 م.

41- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية, مكتبة وهبة, ط: 1, 1413هـ/ 1992م.

42- عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير في القرآن (حروف القرآن), شركة مكتبات عكاظ, المملكة العربية السعودية, ط:1, 1403هـ/ 1983م.

43- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز, قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر, مكتبة الخانجي-القاهرة- ط:5, 2005م.

44- عبد الكريم الخطيب: إعجاز القرآن- الإعجاز في دراسات السابقين- دار الفكر العربي, ط:1, 1974.

45- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف, دار المعرفة, بيروت, لبنان, ط: 2, 1395هـ/ 1975م.

46- عبد الله بن يوسف الجديع العنزي: المقدمات الأساسية في علوم القرآن, مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا, ط:1, 1422 هـ - 2001 م, ص: 421).

47- عبد الله بن يوسف الجديع العنزيك: المنهاجُ المختَصر في عِلمي النَّحو وَالصَّرف, مؤسَسَة الريَّان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان, ط:3, 1428 هـ - 2007 م.

48- عدنان محمد زرزور: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه, دار القلم, دار الشاميه - دمشق بيروت, ط: 2, 1419هـ/ 1998م.

49- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي(ت660هـ): الإمام في بيان أدلة الأحكام, تح: رضوان مختار بن غربية, دار البشائر الإسلامية – بيروت, ط:1, 1407هـ - 1987م.

50- عفت الشرقاوي: اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث, كلية الآداب-جامعة عين شمس.

51- علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات, دار الكتاب العربي-بيروت- ت: إبراهيم الأبياري, ط:1, 1405هـ.

52- عمار ساسي: الإعجاز البياني في القرآن الكريم-دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات, جدار للكتاب العالمي, الأردن- عالم الكتب الحديث, الأردن, (د.ط)2007م.

53- عمر بن بحر الجاحظ (255هـ): البيان والتبيين, ت: عبد السلام محمد هارون, مكتبة الخانجي –القاهرة-ط:7, 1418هـ/ 1998م.

54- غازي عناية: أسباب النزول القرآني, دار الشهاب-باتنة, الجزائر, ط:1, 1407هـ/1987م.

55- فاضل السامرائي: التعبير القرآني, دار عمار-عمان- ط:4, 1427هـ/2006م.

56- فاضل السامرائي: لمسات بيانية في نصوص التنزيل, دار عمار, ط: 3, 1423هـ/ 2003م.

57- فاضل صالح السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني, شركة العاتك, مصر, ط:2, 2006م.

58- فاضل صالح السامرائي: على طريق التفسير البياني, كلية الآداب والعلوم-جامعة الشارقة- 1423هـ/ 2002م.

59- فاضل صالح السامرائي: معاني الأبنية في العربية, دار عمار- عمان- ط: 2, 1428هـ / 2007م.

60- فضل عباس وسناء فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم, (د.د),(د.ط),(د.ت).

61- فضل عباس: البلاغة العربية فنونها وأفنانها, درا لفرقان, ط:4, 1417هـ/ 1997م.

62- فهد الرومي: اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية, ط:1, 1407هـ- 1986م.

63- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم, ط:12, 1424هـ/2003م.

64- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير, (د.د), الرياض, ط:2, 1403هـ/ 1983م.

65- مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية –المقدمة لمحمود محمد شاكر- دار الفكر المعاصر, بيروت, دار الفكر, دمشق, ترجمة: عبد الصبور شاهين, ط:4, 1420هـ/ 2000م.

66- ماهر شعبان عبد الباري: التذوق الأدبي: طبيعته- نظرياته- مقوماته- معاييره- قياسه, دار الفكر, عمان, الأردن, ط: 3, 1432هـ/.2011.

67- محمد إبراهيم شريف: اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم, دار السلام, ط:1, 1429هـ/2008م.

68- محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى, القرآن- نزوله-كتابته-جمعه- إعجازه- جدله- علومه- تفسيره- حكم الغناء به, دار الفكر العربي, (د.ط), (د.ت).

69- محمد أبو شهبة(1403ه): الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير, مكتبة السنة, ط:4.

70- محمد أحمد خلف الله: الفن القصصي في القرآن الكريم, مكتبة الأنجلو المصرية, ط: 3.

71- محمد البهي (المتوفى: 1402ه): الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي, مكتبة وهبه, ط:10.

72- محمد التونجي: المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم, دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان, ط:1, 1424ه/ 2003م.

73- محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن, دار عمار, ط:2, 1421ه/ 2000م.

74- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393ه): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد», الدار التونسية للنشر-تونس- 1984م.

75- محمد الفاضل بن عاشور: التفسير ورجاله, سلسلة البحوث الإسلامية, ط: 2, 1417ه/1997م.

76- محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله: بدائع الفوائد, ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج, مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة, ط:1, 1416 -1996.

77- محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751ه): تفسير القرآن الكريم, تح: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان, دار ومكتبة الهلال – بيروت, ط:1, 1410ه.

78- محمد بن أحمد ابن عقيلة المكي: الزيادة والإحسان في علوم القرآن, جامعة الشارقة, ط:1, 1427ه/ 2006م.

79- محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671ه): الجامع لأحكام القرآن, تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية القاهرة, ط:2, 1384ه - 1964 م.

80- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ): تهذيب اللغة, تح: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي – بيروت, ط:1, 2001م.

81- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ): التسهيل لعلوم التنزيل, ت: الدكتور عبد الله الخالدي, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت, ط:الأولى - 1416 هـ.

82- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري : الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه , تح: محمد زهير بن ناصر, درا طوق النجاة, ط:1, 1422هـ.

83- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن, ت: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, ط:1, 2000/1420م.

84- محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : 1377هـ): النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. دار القلم للنشر والتوزيع, 1426هـ- 2005م.

85- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ): فتح القدير, دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت, ط:1, 1414هـ.

86- محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (606هـ): مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط:3, 1420هـ.

87- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس, دار الهداية, ت: مجموعة من المحققين, (د.ط), (د.ت).

88- محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ): تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة), تح:مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية, بيروت، لبنان, ط:1, 1426 هـ - 2005 م.

89- محمد بن محمد بن مصطفى, أبو السعود العمادي (المتوفى : 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

90- محمد بن مكرم, ابن منظور: لسان العرب, دار المعارف- القاهرة- ت: عبد الله الكبير- محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (د.ط),(د.ت).

91- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ): البحر المحيط في التفسير, ت: صدقي محمد جميل, دار الفكر –بيروت- 1420هـ.

92- محمد حسين أبو الفتوح: أسلوب التوكيد في القرآن, مكتبة لبنان, ط:1, 1995م.

93- محمد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ): التفسير والمفسرون, مكتبة وهبة، القاهرة.

94- محمد حسين الذهبي: بحوث في علوم التفسير والفقه والدعوة, دار الحديث, القاهرة, 1426هـ/ 2005م.

95- محمد حسين الصغير: المبادئ العامّة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق, دار المؤرخ العربي-بيروت-لبنان- ط:1, 1420هـ/ 2000م.

96- محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار), الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1990م.

97- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده, مطبعة المنار, مصر, 1350هـ/ 1931م, ط:1.

98- محّمد سَعيد رَمضان البوطي: من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل, موسسة الرسالة – بيروت, 1420 هـ - 1999 م.

99- محمد عبد العظيم الزرقاني (1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن, مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه, ط: 3, (د.ت).

100- محمد عبده: تفسير القرآن الكريم (جزء عم), مطبعة مصر, ط: 3, 1341هـ.

101- محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة, المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف, (د.ط), (د.ت).

102- محمد لطفي الصبّاغ: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير, المكتب الإسلامي, ط:3, 1410هـ/ 1990م.

103- محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: مطابع أخبار اليوم التجارية.

104- محمود أحمد الصغير: الأدوات النحوية في كتب التفسير, دار الفكر, دمشق و دار الفكر المعاصر, بيروت, ط: 1, 1422هـ/ 2001م.

105- محمود بن حمزة الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ): أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان, تح: عبد القادر أحمد عطا, دار الفضيلة, القاهرة.

106- محمود محمد شاكر: مداخل إعجاز القرآن, مطبعة المدني- دار المدني-جدة- ط:1, 2432هـ/2002م

107- مساعد الطيار: التفسير اللغوي للقرآن الكريم, دار ابن الجوزي, ط: 1, 1432هـ.
108- مصطفى صادق الرافعي(1356هـ): إعجاز القرآن والبلاغة النبوية, دار الكتاب العربي- بيروت- ط: 8, 1425هـ/ 2005م
109- مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن, دار مسلم, ط: 2, 1416هـ/ 1996م.
110- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي, دار القلم, دمشق, ط: 1, 1410هـ/ 1989م.
111- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته: أحمد مختار عبد الحميد عمر, الرياض, ط:1, 2002م.
112- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف عصر, دار الفضيلة.
113- مكي بن أبي طالب القيرواني المالكي (المتوفى: 437هـ): مشكل إعراب القرآن, تح: حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة – بيروت, ط:2, 1405.
114- مناهج جامعة المدينة العالمية: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم, جامعة المدينة العالمية.
115- نبيل أحمد صقر: منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير, الدار المصرية – القاهرة, ط:1, 1422هـ/ 2001م.
116- نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن, مؤسسة الرسالة, ط:2, 1400هـ/ 1980.
117- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي, أبو يعقوب (المتوفى: 626هـ):مفتاح العلوم, دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان- ط:2, 1407هـ/ 1987م.

الرسائل والبحوث:

1-أسماء بنت عمر حسن فدعق: منهج سيد قطب في ظلال القرآن, إشراف: عبد الباسط إبراهيم بلبول, جامعة أم القرى, كلية أصول الدين, 1416هـ.
2-توفيق علي علي زبادي: جهود الدكتور فاضل السامرائي في التفسير البياني, بحث قدّم في: المؤتمر القرآني الدولي السنوي(مقدس:2), جامعة مالايا بماليزيا, 22-23-2012م.

والمجلات والمواقع:

1- مجلة الوعي الإسلامي: التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط, د/ عثمان أحمد عبد الرحيم, الإصدار: الحادي عشر-الكويت.
2- موقع ويكيبيديا الإخوان المسلمين:

3- http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title
4- موقع إسلاميات: http://islamiyyat.com/2009-02-03
5- موقع أهل التفسير على الرابط: http://vb.tafsir.net/tafsir19307

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

مقدمة:.....**أ–ز**

تمهيد:.....**2–7**

الفصل الأول: التفسير البياني وعلاقته بالإعجاز البياني, وتطور منهجيته في العصر الحديث.

المبحث الأول: التعريف بالتفسير البياني والفرق بينه وبين الإعجاز البياني.

المطلب الأول: تعريف التفسير:.....**9**

لغة:.....**9**

اصطلاحاً:.....**10**

المطلب الثاني: ماهية البيان:.....**10**

لغة:.....**10**

اصطلاحا:.....**11**

المطلب الثالث: تعريف التفسير البياني:.....**13**

المطلب الرابع: الفرق بين التفسير البياني والإعجاز البياني:.....**15**

البيان القرآني موضع التحدي:.....**16**

تعريف الإعجاز:.....**18**

لغة:.....**18**

اصطلاحاً:.....19

المعجزة:.....19

تعريف الإعجاز البياني:.....20

نتيجة:..... 21

رأي الدكتور فاضل السامرائي في الإعجاز:.....22

المبحث الثاني: تطور المنهج البياني في العصر الحديث:.....24

تمهيد:.....24

المطلب الأول: نشأت المدرسة الأدبية في العصر الحديث:.....29

ترجمة الإمام محمد عبده:.....31

قواعد منهجه: 32

أنموذج من تفسيره.....34

المطلب الثاني: تبلور الأصول النظرية للمنهج البياني:.....36

ترجمة أمين الخولي:.....36

مراحل التأسيس للمنهج عند أمين الخولي:.....36

ما قبل المنهج (التخطيط للمنهج):.....37

التأصيل للمنهج:.....39

الخطة العامة للمنهج الأدبي:.....40

المطلب الثالث: مرحلة التطبيق: 42

ترجمة عائشة بنت عبد الرحمن.....42

تطبيقها للمنهج:.....43

أنموذج من تفسيرها:.....44

التفسير البياني عند محمد شكري عياد:.....46

أنموذج من تفسيره:.....47

محاولة محمد أحمد خلف الله:.....47

المطلب الرابع: ما بعد مرحلة التطبيق:.....48

من حيث الشكل (المنهج الموضوعي).....51

من حيث المضمون:.....51

المنهج البياني:.....51

منهج التذوق الأدبي: 51

مفهوم التذوق الأدبي وضوابطه:.....52

ترجمة موجزة لسيد قطب:.....53

أنموذج من تفسيره:.....54

المعاجم اللغوية:.....56

الفصل الثاني: الدراسات البيانية عند السامرائي والتعريف بتفسيره ومنهجه فيه.

المبحث الأول:: الدراسات البيانية عند السامرائي.....59

المطلب الأول: كتاب التعبير القرآني:.....59

هدفه من الكتاب:.....60

تقسيمات الكتاب:.....60

طريقته وأسلوبه فيه:.....60

-رأيه في التعبير القرآني:.....60

من خصائص التعبير القرآني:.....60

-البنية في التعبير القرآني:.....63

- التقديم والتأخير:.....67

-الذكر والحذف:.....69

- التوكيد:.....73

-التشابه والاختلاف:.....75

-فواصل الآي:.....76

السمة التعبيرية للسياق:.....79

الحشد الفني:.....80

الحشد الفني في القصص القرآني:.....81

المطلب الثاني: كتاب لمسات بيانية في نصوص التنزيل:.....82

موضوعات الكتاب:.....82

مشكلات الفواصل:.....83

أثر النحو في التفسير: 85

لمسات بيانية من سور قرآنية وآيات قرآنية:.....86

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.....88
مباحث الكتاب:.....89
الذكر والحذف من الكلمة:.....89
الإبدال:.....94
صيغة فعّل وأفعل ودلالتهما:.....98
الوصف:.....99
الحركة غير الإعرابية:.....100
تعاور المفردات (العدول في التعبير القرآني):.....102

المبحث الثاني: التعريف بتفسيره "على طريق التفسير البياني".....104
المطلب الأول: اسمه والباعث على تأليفه:.....105
المطلب الثاني: ما جاء في مقدمة الكتاب:.....105
– تعريف التفسير البياني:.....105
– ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني:.....105
– التشابه والاختلاف في التعبير القرآني:.....108
المطلب الثالث: المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره:.....108
– مصادره من كتب التفسير:.....109
– مصادره من كتب اللغة العربية:.....109
– كتب علوم القرآن:.....110
– كتبه التي اعتمد عليها:.....110
– مسلكه في المسائل الخلافية وطريقة سرد الأقوال:.....126
المبحث الثالث: منهجه في التفسير والقواعد التي اعتمد عليها من خلال تفسيره:..111

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الأسس المنهجية في تفسيره: 111
- الاحتمالات التعبيرية:.....112
- العرض عن طريق طرح الإشكالات والإجابة عنها:.....114
- الموازنة بين النصوص القرآنية:.....114
- استخلاص الوجوه الفنية في الآية:.....115
- التيسير في عرض ما فتح الله عليه في التفسير البياني للعامة والخاصة:.....117
- التعليل لأسرار التعبير القرآني:.....117

المطلب الثاني: القواعد التي اعتمد عليها في تفسيره: 118
-القرآن الكريم:.....118
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:.....120
- اعتماده على القواعد والأصول الثابتة في اللغة:.....121
- النظر في السياق القرآني:.....122
- اعتماد التفسير العلمي:.....126
- مراجعة أمثال التعبير الذي يراد تفسيره:.....127
- اعتماده على كتب السابقين له في التفسير البياني:.....127
- التأمل والتدبر في القرآن الكريم:.....128
- المطلب الثالث: مدى ارتباط منهجه بالأسس المنهجية للمدرسة الأدبية:.....128

الفصل الثالث: مسلك فاضل السامرائي في تفسيره وأهم المآخذ عليه.
المبحث الأول: المسلك العام:.....131
المطلب الأول: مسلكه في الاستدلال بالقرآن والحديث:.....132

المطلب الثاني:علم المناسبة:.....133

المطلب الثالث: مسلكه في تفسير القصة القرآنية: 136

– تعريف القصة القرآنية:.....136

– مسلك فاضل السامرائي في تفسيره القصص القرآني:.....137

– أولا: تقديم القصة:.....137

– نفي التكرار عن القصة:.....138

– ثالثا: تقسيم القصة إلى مشاهد وأحداث والمقارنة بين الأحداث المتكررة في كل قصة:.....141

المطلب الرابع: مسلكه في مسائل علم البيان.....144

المطلب الخامس: مسلكه في عرض علوم اللغة:.....146

– حروف المعاني ووظائفها البلاغية: 147

– المسائل النحوية والإعرابية:.....151

– الصرف:.....154

– أولا: أبنية الصفات:.....155

– ثانيا: صيغ الأفعال واستعمالاتها ومدلولاتها:.....156

المبحث الثاني: مسلكه في تفسير المفردة القرآنية: 157

– بيان الدلالة اللفظية للكلمة:.....158

– بيان الدلالة الصناعية (الصرفية) للكلمة:.....160

– العدول عن المفردة القرآنية لغيرها أو(الاحتمالات اللفظية):.....160

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تعليل اختيار القرآن للفظ:.....162
- تتبع مواطن اللفظ في القرآن الكريم:.....162

المطلب الثاني: الاهتمام بالجوانب الفنية للمفردة القرآنية:.....164

المبحث الثالث: أهم المآخذ على تفسيره:.....167

خاتمة:..... 173

الفهارس:.....177
- فهرس الآيات القرآنية:.....177
- فهرس الأعلام المترجم لهم:.....195
- قائمة المصادر والمراجع:.....196
- فهرس الموضوعات:.....206
- ملخص الرسالة بالعربية
- ملخص الرسالة بالإنجليزية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- Summary for this presentation.

Thank god Lord of the Worlds , god and peace be upon him of noble teachers and the good of his creation wholes , Our master and our Prophet Mohammed and his family and followers with him to the day of judgment , but after :

This study has specialized copywriters " on the road to interpretation chart " Dr.Fadel Al_Samarrai god protect him and it is a book of contemporary late what produced graphs school , his interest in it to understand Al_Quran chart . And savor the sercrets rhetorical guided tracking to the exact expression on .Which helps in understanding , so i care it to highlight on aspects of his approach and his way of interpretative by my studies and that it's orbit in three seasons .

The first chapter according to the definitions of what best known for his interpretation of the chart and the difference between him and the miracle chart .It also offered a historical of the old graphic school , this chapter complement the development of the literary school curriculum in the modern era .

The second chapter i talked it about efforts graphic of Dr. Fadel Al_Samarrai by offering the following of his works (Quran expression , eloquence word in the Quran expression and graphic touches in the texts of the download) ,the Dr which showed interest the Quran words , in addition to the definition and interpretation methodology founded , and rules adopted by it .

The third chapter and allocated to it's course interpretative i talked to several aspects of his behavior , as his way in the interpretation of Quran story , and his way in interpretation of the single Quran .....etc.

Finally , i concluded my studies by a group of results the most important : his vision explanatory graphic free of complexity and excess interpretations , and show his presentation that characterized it make's the interpretation chart of material available to the public and private .

The latest pretext that thank god Lord of the Worlds god and peace be upon him on donated to mercy

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة:

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه, وصلى الله وسلم على أشرف المعلين, وخير خلقه أجمعين سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه والتابعين إليه إلى يوم الدين. أمّا بعدُ:

خُصصت هذه الدراسة لتسليط الضوء على جهود فاضل السامرائي من خلال كتابه " على طريق التفسير البياني" وهو كتاب معاصر من أواخر ما أنتجت المدرسة البيانية ينصب اهتمامه فيه على إفهام إعجاز القرآن البياني, وتذوق أسراره البلاغية على هدي التتبع الدقيق لتعبيره.مما رغبني في الكشف عن قواعد منهجه, وطريقته التفسيرية , كان مدار دراستي على ثلاث فصول

أما الفصل الأوّل فجاء موسوما ب: "التفسير البياني وعلاقته بالإعجاز البياني وتطور منهجيته في العصر الحديث". ذكرت فيه ما اشتهر من تعريفات للتفسير البياني وبينت الفرق بينه وبين الإعجاز البياني. كما عرضت فيه لمحة تاريخية عن المدرسة البيانية القديمة متممة هذا الفصل بتطور منهج المدرسة الأدبية في العصر الحديث.

أما الفصل الثاني وهو المعنون: الدراسات البيانية عند السامرائي والتعريف بتفسيره ومنهجه فيه. تحدثت فيه عن دراسات السامرائي البيانية من خلال عرض لمؤلفاته الآتية (التعبير القرآني, و بلاغة الكلمة في التعبير القرآني, ولمسات بيانية في نصوص التنزيل), بيّنت من خلالها اهتمام الدكتور بالتعبير القرآن, بالإضافة إلى التعريف بتفسيره وأسسه المنهجية, وقواعده التي اعتمد عليها.

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان: مسلك فاضل السامرائي في التفسير البياني وأهم المآخذ عليه. وتحدثت فيه على جوانب عدة من مسلكه, كمسلكه في تفسير القصة القرآنية, ومسلكه في تفسير المفردة القرآنية ..وغيرها. وأخيرا ختمت دراستي بمجموعة من النتائج أبرزها: رؤيته البيانية التفسيرية الخالية من التعقيد وشطط التأويلات, وطريقة العرض الذي تميز بها والتي تجعل من التفسير البياني مادة متاحة للعام والخاص.

وختمته بأهم النتائج والاستنتاجات بالإضافة إلى ما رأيته مناسبا من اقتراحات وتوصيات.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا:

-أنّ أهم ما أضافه السامرائي محاولته في أن يحدث في توجُّهِه ومسلكه تواصلا بين المدونات التفسيرية التي اشتغلت عن القرآن الكريم وإلغاء المذاهب التي اندرجت تحتها فأحدث ألفة بين القدماء من خلال تجريد تفسيره من الخلافات والنزاعات التي ملأت مصادرهم.

– طريقته في التفسير والمتمثلة في التفكيك للنص القرآني ثمّ النظر إلى النص من حيث البناء: تقديما وتأخيرا, ذكرا وحذفا, وصلا وفصلا...ثمّ تحليل جزئيات النص: حرفا وكلمة, وجملة, – مع التنويه أنّ ذلك يكون حسب النص المدروس ليصل في آخر المطاف إلى أنّ التعبير القرآني تعبير مقصود, معجز بجميع تلك الجزئيات ومعجز بنظمه.

–اهتمامه بالسياق حيث يعتبر الوجه التعليلي الأبرز لما تستقر عليه مدلولات الألفاظ, ومعاني الآيات وعلى ما يتناسب وخواتيم رؤوس الآي, وعلى ما يتقدم ويتأخر, وما يذكر ويحذف من النص القرآني كل ذلك يحتكم إلى السياق لذا يوليه السامرائي الأولوية في تعليلاته.

وختاما أتبعت ذلك كله بقائمة للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أثناء بحثي, إضافة لفهرس الآيات والأعلام والموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين, وصلّى الله وسلم على الرحمة المهداة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية